الخـــــلافة فـــي الأدب الأمـــــوي

إعداد الطالب: رائد جميل عكاشة

إشراف: الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب / الجامعة الأردنية

أيار / ٢٠٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: / /٢٠٠٢م

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

١- الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان/ رئيساً .....

٢- الأستاذ الدكتور عبدالجليل حسن عبدالمهدي/ عضواً .....

٣- الأستاذ الدكتور رشدي علي حسن/ عضواً .....

٤- الدكتور ياسين خليل عايش / عضواً .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـــائـــمـــة الـــمـــحـــتـــويـــات

- **المحتويات** ..... **ج**
- **ملخص الرسالة** ..... **و**
- **المقدمة** ..... **ز**
- **الفصل الأول: طبيعة الخلافة** **١**
١- الوراثة **٢**
٢- الجبرية **٣٥**
٣- الشورى **٤٧**
- **الفصل الثاني: صفات الخليفة** **٦٣**
١- أهمية الخليفة **٦٤**
٢- الصفات العربية **٧٠**
أ- السن **٧٠**
ب- معدن المُلك والخلافة **٧٣**
ج- القرشية **٧٨**
د- التراث القبلي **٩٢**
هـ- الحِلْم **١٠٠**
و- الشجاعة **١٠٢**
ز- الكرم **١٠٤**
ح- الفصاحة **١٠٧**
٣- الصفات الإسلامية **١١٠**
أ- العدل **١١١**
ب- التقوى **١١٤**
ج- العلم والفقه في الدين **١٢٤**
د- التراث الإسلامي **١٢٦**
٤- قدسية الخليفة **١٣١**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الفصل الثالث: سلطات الخليفة** ١٣٨
١- السلطة السياسية ١٣٩
أ- ترشيح ولي العهد ١٣٩
ب-تعيين الولاة وعزلهم ١٤٤
ج- اتخاذ قرار الحرب والسلم في الأحداث الكبيرة ١٥٠
د- إحداث التوازن والاستقرار في الأمصار ١٥٧
٢- السلطة الأمنية ١٦٣
٣- السلطة الاقتصادية ١٧٠
٤- السلطة الاجتماعية ١٧٧
٥- السلطة الدينية ١٨٣
٦- طبيعة السلطة ١٩٢
أ- موقف الأمويين ١٩٢
١- السلطة المطلقة ١٩٢
٢- السلطة غير المطلقة ١٩٨
ب- موقف الرعية ٢٠٠
١- الموالون لبني أمية ٢٠٠
٢- المناوئون لبني أمية ٢٠٤
- **الفصل الرابع: الدراسة الفنية** ٢١٣
١- اللغة والأسلوب ٢١٤
- اللغة ومصادرها ٢١٤
أ- التأثر بالقرآن الكريم ٢١٤
ب- الاستمداد من المعجم العربي الموروث ٢١٧
- الأسلوب ٢٢٢
أ- الاحتجاج العقلي ٢٢٢
ب- الرمز والمثل ٢٢٦
ج- السخرية ٢٢٨
٢- الصورة الفنية ومصادرها ٢٢٩
أ- الصورة القرآنية ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الصورة الجاهلية العربية ٢٣٤
ج- الصورة البيئية الواقعية ٢٣٥
الخاتمة ٢٣٩
المصادر والمراجع ٢٤٣
Abstract ٢٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخـــص

عنوان الرسالة: الخلافة في الأدب الأموي

إعداد الطالب: رائد جميل محمد عكاشة

إشراف: الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان

تناولت في هذه الدراسة موضوع " الخلافة في الأدب الأموي" ، وهـو موضـوع مهم بسبب تضمن الأدب الأموي، شعره ونثره، لكثير من الأفكار المتعلقة بالخلافة.

وحاولت في هذه الدراسة أن أعطي صورة واضحة عـن الخلافـة فـي الأدب الأموي ما أمكن ، واتبعت في ذلك المنهج التاريخي التحليلي.

وتكونت الدراسة من أربعة فصول ومقدمة وخاتمة:

أما الفصل الأول فدرستُ فيه طبيعة الخلافة، وقضية الوراثة والجبر والشـورى عند الفرق والأحزاب الإسلامية في ذلك العصر، وبيّنتُ نقاط الالتقاء والتباين بـين هـذه الفرق.

وتحدثتُ في الفصل الثاني عن صفات الخليفة، فوضحتُ أهمية الخليفـة، وأهـم الصفات الواجب توافرها فيه، من عربية وإسلامية، وختمتُ الفصل بحديث عـن قدسـية الخليفة ونظرة الفرق الإسلامية إليها.

وعرضتُ في الفصل الثالث سلطة الخليفـة السياسـية والأمنيـة والاقتصـادية والاجتماعية والدينية، و عرضتُ لحدود هذه السلطة، هل هي مطلقة أو محدودة ؟

ووضحتُ في الفصل الرابع كيف وظّفت الفـرق والأحـزاب الإسـلامية اللغـة والأسلوب والصورة الفنية لخدمة أفكارها السياسية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كنت حريصاً على أن يكون موضوعي لرسالة الدكتوراه، في جانب من جوانب الفكر عند العرب في العصر الأموي لقناعتي أن الأدباء عامة والشعراء خاصة، كانوا يحملون بين ثنايا أدبهم أفكاراً لها قيمتها في ذلك العصر، خاصة أن توجهات الفرق والأحزاب السياسية تبلورت في هذا العصر، فغدا موضوع الخلافة مادة خصبة للشعر والنثر و الفكر على حد سواء.

وأدركتُ أنني اركب المركب الصعب، وأنا أتناول قضية كبيرة وخلافية، تتطلب من الباحث أن يتزود بثقافة دينية وفكرية ولغوية، تعينه على خوض هذا الموضوع الشائك، وكان أن وطنت النفس لأركب هذا المركب، وأعانني على التصدي لهذا الموضوع، أستاذي الدكتور حسين عطوان الذي اهتم بالعصر الأموي اهتماما كبيرا.

فأخذت أجمع المواد والمعلومات من بطون الكتب المختلفة، فوجدت إرثاً عظيماً ممثلاً في كتب التاريخ والفرق والتراجم والأدب واللغة والدواوين الشعرية والسياسة والعقائد، فكان زادي ممثلا في أنساب الأشراف للبلاذري، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرها من أمهات الكتب والدواوين الشعرية، ولكل كتاب من هذه المظان فضل ويد بيضاء على هذه الرسالة .

وأفدتُ مما كتبه المحدثون من نظريات وأفكار تتناول هذا العصر، إذ وجدت دراسات تاريخية محضة، ودراسات تناولت تاريخ الأدب في العصر الأموي، فضلاً عن الدراسات النقدية التي شخّصت العصر أو الخليفة أو الشاعر أو الفرقة. فكانت مكتبة الدكتور حسين عطوان حاضرة أمامي، لتخصصها في مواضيع الفكر السياسي في العصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأموي، ككتاب الشورى في العصر الأموي، وكتاب نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي. وأفدت من كتاب الخوارج والشيعة لفلهوزن، وكتاب السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية لفلوتن.

وقام منهجي في الدراسة علىالمنهج التاريخي والتحليلي، فجمعت مادة الدراسة من مظانها المختلفة، واجتهدتُ ما وسعني الأمر في تحليل النصوص . وواجهتني في ذلك صعوبات كثيرة أهمها، كثرة النصوص المتناثرة بين ثنايا كتب التاريخ والأدب والفرق وغيرها...، فضلاً عن التناقض بين التنظير والتطبيق عند بعض الشعراء.

وجاء البحث في أربعة فصول، يفضي بعضها إلى بعض، فعمدت في الفصل الأول إلى مناقشة طبيعة الخلافة، فتناولتُ موضوع الوراثة والجبر والشورى وموقف الفرق والأحزاب من هذه القضايا.

وبينتُ في الفصل الثاني صفات الخليفة المختلفة العربية والإسلامية، وما أضفي على الخليفة من هالة القداسة .

وعرضتُ في الفصل الثالث سلطة الخليفة، فأظهرتُ سلطاته السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وخصصتُ قسماً للحديث عن السلطة المطلقة للخليفة وكيف نظرت الفرق والأحزاب إلى هذه السلطة.

واهتممتُ في الفصل الرابع بالدراسة الفنية، فوضحتُ أهم الخصائص اللغوية والأسلوبية والتصويرية في الشعر والنثر الخاص بالخلافة، وكيف استغل الخطب والشعراء البعد الفني في خدمة الأفكار السياسية لبني أمية و للفرق والأحزاب السياسية الأخرى.

وبعد، فإني حاولتُ في هذه الدراسة أن أساهم في توضيح بعض معالم العصر الأموي، فإن كنت وفّقتُ فذلك من توفيق الله لي، وإن كنت قصرتُ عن بلوغ الهدف فحسبي أنني اجتهدت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحقّ عليّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور حسين عطوان الـــذي تحمـــل مني الكثير، وقدم لي الكثير من التشجيع والنصح والإرشاد، فكان يأخذ بيدي إذا تعثرت، ويقوّمني إذا مِلْتُ، وكانت كتبه من المراجع التي اعتمدتُ، والله أسأل أن يجزيه عني خير جزاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وبعد،

كنت حريصاً على أن يكون موضوعي لرسالة الدكتوراه، في جانب من جوانب الفكر عند العرب في العصر الأموي، لقناعتي أن الأدباء عامة والشعراء خاصة، كانوا يحملون بين ثنايا أدبهم أفكاراً لها قيمتها في ذلك العصر، لا سيما أن أغلب توجهات الفرق والأحزاب السياسية تبلورت في العصر الاموي، فغدا موضوع الخلافة مادة خصبة للشعر والنثر و الفكر على حد سواء.

و لأن قضية الخلافة قضية خلافية، كان لا بد من التزود بثقافة دينية وفكرية وتاريخية وأدبية، تكون عونا للباحث على إحكام موضوعه. وفَرَض عليَّ تشعب الموضوع وسعته أن أتبع المنهج الاستقرائي التحليلي لإعطاء صورة أكثر شمولية عن الخلافة في هذا العصر.

وتحقيقا لهذه الغاية قسّمت الرسالة إلى أربعة فصول يفضي بعضها إلى بعض، فناقشت في الفصل الأول طبيعة الخلافة، وتناولت موضوع الوراثة والجبر والشورى، وأظهرت موقف الأمويين ومعارضيهم من هذه القضايا، وتبيّن أن النظرة إلى طبيعة الخلافة لم تتخذ طريقا واحدا، فقد تمسك بنو أمية بمبدأ الوراثة في الحكم، وحاولوا أن يوجدوا لهم سندا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاريخيا يعطيهم الحق في المطالبة بالخلافة، فوجدوا هذا السند في عثمان ابن عفان، واتخذوه وسيلة للمطالبة بالحكم، ومثّل معاوية بن أبي سفيان دور وليّ الأمر في ذلك.

ورغب بنو أمية في تثبيت مبدأ الوراثة، فلجأوا إلى استحداث ولاية العهد، لكي تظل الخلافة فيهم، مما أدى إلى نزاع وشقاق في المجتمع الإسلامي،وظهر ذلك جليا في المحاورات والمناظرات والأشعار والخطب والرسائل، ومثلت الثورات التطبيق العملي لهذا النزاع، فاتّهم بنو أمية بتحويل الخلافة إلى نظام ملكي وكسروي.

و عمل بنو مروان على ترسيخ مبدأ الوراثة في الحكم، بتعيينهم ولييّ عهد للخليفة، بعد أن كان هنالك وليّ عهد واحد في العهد السفياني، وشجع بنو أمية الشعراء والخطباء والولاة على نشر مبدأ الوراثة والحض عليه، ففاضت الأشعار والخطب التي تحث الخلفاء على المبايعة لأبنائهم أو أحد أفراد أسرتهم.

ولم يقتصر مبدأ الوراثة على بني أمية وحدهم، بل رأى الشيعة أن الخلافة وراثة في آل البيت، واتّخذوا من علي بن أبي طالب سندا مهما في المطالبة بالحكم، واستغلوا الفقه والنصوص لكي يثبتوا وراثتهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

وأراد الشيعة أن يرسخوا مبدأ الوراثة في آل البيت، فأنتجوا مصطلح الوصي، الذي يعدّ مصطلحا مقاربا لولي العهد في الفكر الأموي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي حديث عن الوراثة داخل البيت العباسي، إبّان الدعوة العباسية، فقد اتخذ العباسيون من وصية أبي هاشم عبد الله محمد بن الحنفية لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أساسا بنوا عليه حقهم في الخلافة، وتمسكوا بمصطلح الوصي لكي تبقى الخلافة فيهم.

ورفضت الفرق والأحزاب الإسلامية الأخرى كالخوارج ومرجئة الجبرية والقدرية مبدأ الوراثة في الخلافة، لأنه يحصر الحكم في فئة واحدة من فئات المجتمع، وهذا يخالف مبادئ العدل والمساواة بين المسلمين، واختيار الأفضل من أبناء الأمة.

وأدرك بنو أمية أنهم يفتقرون إلى النص الذي يعطيهم الحق في الخلافة، خاصة أن رؤيتهم كانت أضعف من رؤية آل البيت الذين اعتمدوا على النص والقرابة والأسبقية في الإسلام، فلجأ بنو أمية إلى تشكيل مبدأ جديد ذي مرجعية دينية، فاستحدثوا مبدأ الجبر، الذي جعلهم يرون خلافتهم أمرا إلهيا لا شأن للبشر به، واستغل الأمويون النصوص القرآنية والنبوية لتثبيت هذا المبدأ في الخلافة، وتسويغ أفعالهم، وتحقيق شرعيتهم، وإسكات خصومهم.

ورفضت معظم الفرق والأحزاب الإسلامية مبدأ الجبر، فظهرت تيارات تنادي بالحرية الفكرية وحرية الإرادة الإنسانية، وتتدد بسياسة الأمويين الجبرية، واعتمدت هذه الفرق على النصوص القرآنية والنبوية لدعم أفكارها، وتوضيح رؤيتها تجاه الحرية الإنسانية، وكانت فرقة القدرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثر الفرق تمسكا بمبدأ الحرية، ولعبت هذه الفرقة دورا كبيرا في تقويض دعائم الدولة الأموية، ولعل دورهم الفاعل في مقتل الوليد بن يزيد واضح وجلي.

ولم يتمسك بنو أمية بمبدأ الشورى في الحكم بمعناه الإسلامي، ولكنهم لجأوا إلى الشورى الداخلية للحدّ من حِنق المعارضة، فكانت هنالك شورى في تعيين الولاة والعمال والقضاة، وحاول بعض خلفاء بني أمية أن يجعلوا الخلافة شورى بين المسلمين، كمحاولة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ومحاولة عمر بن عبد العزيز.

وتباينت مواقف الفرق والأحزاب الإسلامية فيمن تكون الشورى؟ فمنهم من حصرها في أسرة معينة، كما هو عند الشيعة ومنظري الدعوة العباسية، ومنهم من جعلها في قبيلة معينة كمل فعل الزبيريون، ومنهم من نادى بالشورى العامة بين المسلمين كالخوارج والقدرية ومرجئة الجبرية.

وأرادت بعض الفرق الإسلامية الدعوة إلى الشورى بالقوة، فقامت ثورات كثيرة تدعو إلى اتخاذ الشورى منهجا في تولي الحكم، كثورة مطرف بن المغيرة وعبد الرحمن بن الأشعث، ويزيد بن المهلب، وقام الموالي بمساندة معظم هذه الثورات، لأنهم شعروا بالحيف و الضيم، وكانوا أحوج الناس إلى الشورى والمساواة.

وكشف الفصل الثاني من هذه الرسالة عن الأهمية الكبيرة للخليفة عند الرعية، فأبرزت المقولات الفقهية والأشعار والخطب هذه الأهمية ودور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة في المجتمع، وركز الشعراء والخطباء على الصورة السلبية لغياب الخليفة.

وأسهب الشعراء والخطباء في الحديث عن صفات الخلفاء وأولياء عهودهم، وأدرك المجتمع ما للصفات من أثر في الانحياز إلى الخليفة أو الابتعاد عنه، فكان هنالك تشديد على الصفات العربية الممثلة في السن ومعدن الملك والقرشية والتراث القبلي، فضلا عن الصفات العربية التقليدية المشهورة كالحلم والشجاعة والكرم والفصاحة، وتبين أن هذه الصفات استمرار للصفات العربية في العصر الجاهلي، لأن المجتمع الأموي في بعض جوانبه امتداد فكري واجتماعي للعصر الجاهلي.

وعلى الرغم من حرص معظم الفرق والأحزاب الإسلامية على توافر هذه الصفات في أمرائها ، إلا أننا لا نعدم اعتراضا على بعض هذه الصفات، كاعتراض الخوارج على صفة القرشية في الخليفة.

وأظهر الخلفاء والشعراء والخطباء أهمية الصفات الإسلامية في الخليفة، كالعدل والتقوى والفقه في الدين، وتبين أن هنالك مكانة عظيمة للخليفة الذي تتوفر فيه هذه الصفات الإسلامية كما هو في شخص الخليفة عمر بن عبد العزيز.

وتعرّض خلفاء بني أمية للنقد والتجريح إذا أخلوا بهذه الصفات، فاستغلت بعض الفرق الإسلامية انعدام بعض الصفات العربية والإسلامية في الخليفة لكي تطعن في شرعيته و قدرته على الحكم، وتحاول في الوقت ذاته أن تثبّت هذه الصفات في أئمّتها وأمرائها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأراد الخلفاء الأمويون أن يعطوا الخليفة منزلة عليا يتفوق بها على الجميع، فركزوا على قدسية الخليفة، وأنه خليفة الله في الأرض، ووصيه على العباد، وبالغ بعض أنصارهم في ذلك مبالغة شديدة،فمنهم من جعل الخليفة بمرتبة الرسول، ومنهم من جعله متفوقا على الأنبياء و الرسل.

ولم تقتصر هذه القدسية على خلفاء بني أمية ، بل كان الإمام مقدسا عند الشيعة، خاصة الكيسانية.

ولم تكترث بعض الفرق بما أشيع من قدسية الخليفة، كما هو واضح عند الخوارج والقدرية، فإنهم عدّوا الخليفة فرداً يُنقد ويُناشد ويُطعن عليه.

وجاء الفصل الثالث ليبحث سلطات الخليفة، فأظهر سلطة الخليفة السياسية، وتمثلت في ترشيح وليّ العهد وتعيينه، وتعيين الولاة وعزلهم، واتخاذ قرار الحرب والسلم في الأحداث الكبيرة، وإحداث التوازن والاستقرار في الأمصار، واتّضح أن خطب المبايعة وتولّي الخلافة كانت تمثل جزءا مهما من السياسة العامة التي سوف يتبعها الخليفة.

ومارس الخلفاء السلطة الأمنية على مسارين: الأمن الداخلي المتمثل في المحافظة على الوحدة والتماسك وعدم التهاون مع الخارجين على الخلافة. والأمن الخارجي المتمثل في الجهاد والدفاع عن الأمة.

وأدرك خلفاء بني أمية أهمية السلطة الاقتصادية، فجعلوا الفيء والخراج ، على صلة مباشرة بالخليفة، وعمل الخلفاء على استغلال المال لتوطيد المجتمع وتوفير الراحة للرعية، وكانوا في الوقت ذاته يحاسبون الولاة حسابا دقيقا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنيطت بالخليفة سلطة مهمة وهي السلطة الاجتماعية المتمثلة في إعالة الفقراء والمساكين، والسهر على راحة الرعية وخدمتهم، والعمل على ردّ المظالم وتطبيق العدل، وإجارة المظلومين والخائفين.

وعمل الخلفاء الأمويون من خلال السلطة الدينية على تطبيق الإسلام وحمايته ونشره، والمحافظة على الشخصية الإسلامية في المجتمع، وساهم خلفاء بني أمية في أن يظل الاستعلاء الإسلامي واضحا جليا، فعملوا على تولية المسلمين شؤون الرعية.

وتباينت مواقف بني أمية والرعية في التعامل مع سلطة الخليفة أهي مطلقه أم محدودة ؟ فرأى معظم خلفاء بني أمية وأنصارهم أن سلطة الخليفة مطلقة مقدسة، فأُعطيت للخليفة الحرية الكاملة في تولية العهد وتوزيع الأرزاق، مما أدى إلى تفرده في السلطة.

وشذّ بعض خلفاء بني أمية عن هذا النهج،ومنهم عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد، فقد جعلا من سلطة الخليفة سلطة بشرية قابلة للنقد.

ورأت بعض الفرق الإسلامية أن سلطة الخليفة محدودة غير مقدسة، وقامت هذه الفرق بنقد سلطة الخليفة نظرياً من خلال الخطب والأشعار، وعملياً من خلال الثورات، فاشتعلت الثورات التي قام بها الخوارج والشيعة، و مرجئة الجبرية، ورأت هذه الثورات أن بني أمية أخلّوا بسلطاتهم فعطّلوا حدود الله وأحكامه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبنتُ في الفصل الرابع كيف وظّف بنو أميـــة والفـــرق الإســـلامية الأخرى، اللغة والأسلوب والصور الفنية لخدمة آرائها وأفكارها السياسية، ففي مجال اللغة كان للقرآن الكريم، والمعجم العربي الفني الموروث، دور كبير في إثراء الأفكار السياسية لتلك الفرق والأحزاب الإسلامية.

واستغل المنظّرون والشعراء والخطبـــاء أســـاليب متنوعـــة لخدمـــة أفكارهم، فاستخدموا أسلوب الجدل والحِجاج العقلي، وأســـلوب الســـخرية والرمز والمثل، وكانت هذه الأساليب عاملاً مهما في توضـــيح المعـــاني وتثبيت الأفكار.

ووظفت الصور الفنية لتخدم غايات ومقاصد سياسية، فلجأ الشـــعراء إلى المصدر العربي الجاهلي، والمصـــدر الـــديني، والمصـــدر البيئـــي، لاستخراج صور تساعدهم على الحديث عن الخلافة.

وبعد، فإني حاولت في هذه الدراسة أن أساهم في توضـــيح بعـــض المعالم الفكرية للعصر الأموي، فإن كنت وفّقت فذلك من توفيق الله لـــي، وإن قصّرت عن بلوغ الهدف فحسبي أنني اجتهدت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــفـــصـــل الأول

طـــبيعة الخـــلافة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

الــوراثــة

يبدو أنه لم تكن عند العرب نظرة واضحة لأسلوب الحكم أو طريقة التعامــل مــع الخلافة، بل كانت نظراتهم اجتهادية تصوغها طبيعة الظرف السياسي والاجتماعي. ولعل هذا راجع إلى قصر فترة الخلفاء الراشدين، وظروف الفتح المطردة، فضلا عــن بعــض الفتن التي وقعت. وهذه العوامل لم تسمح بإقامة مؤسسات سياسية تنظم النشاط السياســي وتسند الخلافة.

وعبر بنو أمية عن هذه النظرة من خلال معاوية بن أبي سفيان، الذي استشعر هــذا الفراغ الموجود في (مؤسسة الخلافة) وعدم قدرتها على إيجاد طريق واضح المعالم يسير عليه جميع الخلفاء، فقد خطب عند البيعة لولده يزيد، فقال:[١] " أيها الناس: لقد علمــتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعته بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفــاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفــاة، رأى أن يجعلهــا شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لــم يصــنعه رســول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلــذلك رأيــت أن أبايع ليزيد، لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظرا لهم بعين الإنصاف". ومن هنا كــان الخليفة هو المفوض بإيجاد الصيغة الملائمة لأسلوب الحكم. وهذا الأسلوب نتــاج رؤيــة فردية لا جماعية، يدور محورها على الخليفة ذاته لا على نظام الخلافة. ويتضح من نص معاوية أن طبيعة الخلافة تشكلت عن رأي، والرأي تحديد اجتهادي، قــد يخطــىء وقــد يصيب، ومن هنا انطلق الأمويون في عدم تخطئة الخلفاء السابقين لأنهم ساروا على مبدأ

---

(١) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتهاد، وهذا يدفعهم إلى عدم إلزام أنفسهم بصيغة محددة في تداول الخلافة، ولهذا سنجد تفاوتا ملحوظا بين خلفاء بني أمية في تداول السلطة.

وأكثر بنو أمية من الحديث عن الوراثة، إذ وجد الخلفاء الأمويون وأنصارهم قاعدة يستندون عليها في إضفاء الشرعية على خلافتهم، لأنهم كانوا في يفتقدون دعائم أساسية، كان يستشعرها الشيعة وأهمها النص والقرابة. ومن هنا سعى الأمويون إلى توسيع دائرة الحديث عن الوراثة في الخلافة، وتقريرها كسمة ثابتة في الخلافة، لا مناص من الاعتراف بها من جماعة المسلمين. و محاولات الأمويين تأصيل سلطتهم وتثبيتها نابعة من تصور عام عن الذات والآخر. فهو تصور شامل لتنظيم اجتماعي وسياسي متصل بمفهوم وراثة الأمر والأرض[١]. وهذا التصور كان يصطدم بتصور آخر عند بعض المسلمين الذين كانوا يبحثون عن مؤسسة بديلة ممثلة في آل البيت، أي مؤسسة النبوة.

وعندما عرض معاوية بن أبي سفيان مبدأ الوراثة من خلال ولاية العهد، وجد معارضة شديدة من أصحاب النفوذ السياسي، خاصة أبناء الصحابة كابن عمر وابن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر، وقد دار بينهم حوار لمناقشة هذه (البدعة)، فقال معاوية[٢] "قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم، وصلتي أرحامكم.ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون. فسكتوا، وتكلم ابن الزبير فقال: نخيرك بين إحدى ثلاث، أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار: فإن شئت فاصنع فينا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ولم يستخلف، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم وإن شئت فما صنع أبو بكر، عهد إلى رجل من قاصية قريش، وترك من ولده ومن رهطه الأدنين من كان لها أهلا، وإن شئت فما صنع عمر، صيّرها إلى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا".

---

(١) انظر هذه الرؤية الشاملة من خلال رسالة الوليد بن يزيد بشأن عقد البيعة لولديه، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،ج٧، ص٢٢١.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ضبطه أحمد الزين وآخرون، دار الأندلس ، بيروت، ج٤، ص٣٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه الخيارات الثلاثة هي التي طبقت، وقد مارسها أفضل المسلمين، الذين كانوا يمثلون النموذج الأمثل والقدوة الحسنة للمسلمين. وفضلا عن ذلك فإن معاوية جاء بشيء لم يعهده الفكر العربي، فمبدأ الوراثة السفياني" يتعارض والتقاليد القبلية التي إن اعترفت بحق حفظ السلطة في قبيلة أو فخذ، فإنها لا تعترف بالوراثة المباشرة من الأب إلى الابن، ولأنه ينافي مبادىء الإسلام التي لا تُعدُّ السلطة ملكا بشريا ولذا لا يمكن أن يورثها الخليفة من يشاء"(١).

ومن هنا فقد كان الفكر القبلي يميل إلى الجدارة والكفاءة والقدرة في اختيار رئيس القبيلة لا إلى القرابة، وفي هذا يقول عامر بن الطفيل(٢):

وإني وإنْ كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ ... وفي السرِّ منها والصريحِ المُهذَّبِ

فما سوّدتني عامرٌ عن وراثةٍ ... أبى الله أنْ أسمُو بأمٍّ ولا أبِ

ولكنني أحمي حماها وأتَّقي ... أذاها وأرمي مَنْ رماها بِمِنقَبِ

وكان المجتمع الإسلامي يستشعر فرقا بين الخلافة والملك، ولعل الوراثة هي أبرز المعالم الفارقة في ذلك. وكانت أشكال الوراثة محصورة في هذه الأنماط وهي: الكسروية والقيصرية (الهرقلية) والمُلك. ويبدو أن هذه الأنماط تعالقت مع البيئة التي صاغت مدلولاتها، فنمط الكسروية كان في بدايته محصورا في الناحية المادية والارتباط بالترف، ولعل حادثة عمر بن الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيها هذا الربط المادي، إذ دخل عمر بن الخطاب ذات يوم على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده مضطجعا على حصير، وقد أثّر الحصير في جنبه، فبكى عمر إشفاقا وقال(٣): " ألا تتخذ لك فرشا لينا يا رسول الله؟ فأجابه النبي: ماذا يا عمر...أتظنها كسروية؟ إنها نبوة لا ملك". وتوحي إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنظرة المادية إلى الكسروية المرتبطة بالملك. وهذا الفهم لطبيعة الخلافة وجد عند عمر بن الخطاب عندما زار الشام، فاتهم معاوية بالكسروية(٤).

---

(١) النظم الاسلامية، عبد العزيز الدوري، وزارة المعارف.بغداد،ص ٣٨، ط١.

(٢) النظم الاسلامية، ص٨.

(٣) الدين في خدمة الشعب، ص٣٢.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن هذا المصطلح تجاوز مرحلة الفهم النبوي والفهم العمري المرتبطة برؤية مادية، ليتشكل بعد ذلك في ظل ظرف جديد عندما حوّل معاوية الخلافة إلى وراثة، فقد خطب مروان بن الحكم في المدينة قائلا[١]:" إن أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبي بكر وعمر، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال: بل سنة كسرى وقيصر. إن أبا بكر وعمر لم يجعلا في أولادهما ولا في أحد من أهل بيتهما". ويبدو أن فهم عبد الرحمن بن أبي بكر مغاير لفهم عمر. ففهمه كان يدور حول طبيعة الخلافة وأسلوب الحكم، ولم يكن مرتبطا بالنظرة المادية التي تتحدث عن الثراء الفاحش. ولعل فهم عبد الرحمن ابن أبي بكر لنمط الكسروية.

وهذا الإدراك للفرق بين الخلافة والملك ظهر أيضا من خلال المحاورة التي دارت بين سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعيد بن جمهان، حيث قال سعيد لسفينة[٢]" إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من أشد الملوك، وأول الملوك معاوية". فمعاوية بتقريره لمبدأ الوراثة أسس مرحلة جديدة في الحكم، قائمة على قوة الفعل لا قوة الفكرة، وبناء على ذلك أصبح الحكم للأقوى، وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله[٣]: " فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق، ولم يظهر التغير إلا في الوازع الذي كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا ثم ذهبت معاني الخلافة، ولم يبق إلا اسمها وصار الأمر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب إلى غايتها". فابن خلدون يرى أيضا أن هنالك فرقا بين الخلافة والملك (على تعدد صيغه كالكسروية والهرقلية). وهذا الفرق كامن في تداول الخلافة، ولعل تحليل ابن خلدون هذا يوافق، ما قاله الشاعر الفزاري بعد موت معاوية الثاني[٤]:

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة التجارية، مصر، ص١٩٩. وانظر ابن كثير: البداية والنهاية، عبد الرحمن اللاذقي، ومحمد بيضون، دار المعرفة، بيروت، ج٨، ص٤٨٣.

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: المصنف،تحقيق عبد الخالق أفغاني، حيدر آباد، ج٧، ص٢٧٠ . السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٩٩.

(٣) ابن خلدون: ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب المصري، مصر، ص٣٦٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت ،ج٥،ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إني أرى فِـتـنـاً تَـغلي مَراجِـلـُها والمُلكُ بعدَ أبي لـيلى لـِمَنْ غَلَبا

ووعى بعض خلفاء بني أمية الفرق بين الخليفة والملك[١]، فقد روى الأصـفهاني أن عبيد الله بن قيس الرقيات الذي كان زبيري الهوى، قدم الشام بعد مقتـل مصـعب بـن الزبير، مستشفعا بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فلما وقف بين يدي عبـد الملـك بـن مروان أنشد بائيته التي مطلعها:

عَـادَ لَهُ مِنْ كَـثـيرة الـطّـَربُ فَعَـيْـنُـهُ بالـدُّمـوعِ تَنسكـبُ

وقال فيها:

إنَّ الأغَـرَّ الـذي أبـوهُ أبو الـ عاصي عليـهِ الوَقـارُ والحـجبُ
يعـتـدلُ التـَّاجُ فـوقَ مِفـرقِهِ على جـبيـنٍ كـأنَّـهُ الذَّهـبُ

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم، وتقول في مصعب:

إنَّما مـصعبٌ شِهـابٌ مِنَ اللـ ـه تَجلتْ عن وَجهِهِ الظّـَلـَماءُ
مـُلْكُهُ مُلْكُ عِـزةٍ ليـس فـيهِ جَبـروتٌ مـِنهُ ولا كـِبـريـاءُ[٢]

وعلى الرغم من هذا الحس النقدي عند عبد الملك بن مروان، إلا أن الخلفاء بعده لـم يجدوا أي ضير في إسباغ هذا الوصف عليهم[٣]، ويبدو أنهم تجازوا مرحلة التنظير لهـذه القضية بعد أن ثبت حكمهم، فالفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك بقوله[٤]:

ترى التَّاج مَعقوداً عَليهِ كأنَّـهُم نُجومٌ حَواليْ بـدرِ مُلـكٍ قـُماقمِ[٥]

---

(١) لفظة الملك لم تكن في جميع الحالات تأتي بمعنى سلبي، والدليل على ذلك أن النص القرآني استخدم لفظـة الملـك في وصـف الخلافة التي منحها الله لداود " وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء" البقرة: ٢٥٠.

(٢) انظر تفصيل الخبر في الأغاني، ج٥، ص٧٧-٧٩.

(٣) انظر،ديوان الأحوص:١٥٢، ٢١٩ ، ديوان الأخطل :٢٤٩،٢٢٨ ، ديوان الفرزدق:١٦٧، ٢٢١، ٣٧٨، ٦١٢

(٤) الديوان:٦١٢ .

(5) القماقم: السيد الماجد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول في موقف آخر مادحا بني مروان[١]:

كمْ فَــرّقَ الله مــنْ كيدٍ وجَمّعهُ بهمْ وأطْفَأَ مِنْ نارٍ لَهـــا شَرَرُ
ولنْ يزالَ إمامٌ منــهمُ مَــلــكٌ إليهِ يَشخصُ فَوقَ المِنبرِ البَصَرُ

ولعل البيت الثاني أقرب إلى ربطه بمفهوم الوراثة، خاصة أنه قرن لفظ (ملــك) بلفظ (إمام)، وكلا المصطلحين له مدلول خاص به،فإذا كان مصطلح الملــك ذا صــبغة دنيوية سياسية مرتبطة بالوراثة، فإن مصطلح الإمام أقرب إلى الصبغة الدينية فهو إمــام هدى لا إمام ضلالة، ولعل هذا ملمح واضح في التفكير الشيعي بالذات عند وصــفهم لآل البيت بالأئمة لا الملوك.

إن أبرز مظهر في النظام الوراثي الذي ابتدعه معاوية تمثل في ولايــة العهــد، فلماذا لجأ معاوية إلى هذا النظام ؟ ولماذا أخل معاوية بالعهد الذي عاهد الحســن عليــه بجعل الأمر شورى؟ لقد كتب الحسن بن علي رسالة إلى معاوية بن أبي سفيان جاء فيها:" هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلــى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى، والناس آمنون حيــث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعلى أن لا يبغي الحسن بن علي غائلة ســرا ولا علانية، ولا يخيف أحدا من أصحابه"[٢].

ويبدو أن معاوية لجأ إلى هذا النظام لأسباب متعددة أهمها[٣]، أنــه نظــر إلــى الضرورة الاجتماعية من حيث اجتماع الكلمة، وضمان عدم وقوع الخلافات بين المسلمين

---

(١) الديوان:١٦٧

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص ٢٨٧.

(٣) أورد الدكتور حسين عطوان أربعة أسباب دفعت معاوية لهذا العمل وهي تتمحور حول الدافع العاطفي والشخصــي،والدافع العصبي الأموي، والدافع العربي الاسلامي، والدافع السياسي الوظيفي(انظر تفصيل ذلك في كتاب نظام ولاية العهد ووراثــة الخلافة، ص٨-١٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد وفاته لا سيما وأن التجربتين السابقتين قريبتي العهد، جعلتا معاوية يعتبر منهما وهما تجربتا عثمان وعلي. فهو يريد درء المفاسد لا جلب المنافع، وهذا ما أوضحه أثناء زيارته للمدينة ،إذ قال[١]: " قد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية من سد الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، بما أيقظ العين وأحمد الفضل، هذا معناي في يزيد".

ووجدت فكرة رأب الصدع ولمّ جمع الأمة صدى عند قادة القبائل وشعرائها، فهذا الضحاك بن قيس الفهري يقول في اجتماع وفود الأمصار الذي عقد في دمشق[٢]: " أصلح الله الأمير وأمتع به، إنا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة، فوجدناها ألمّ لشعثنا وحاقنة لدمائنا، ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا، فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ إليه ونسكن في ظله" ، فالجميع ينطلق من فكرة مصلحة الأمة ، والضرورة، في الوقت ذاته،تبيح إسكات المعارضة بالسيف، فهذا رجل من ذي الكلاع يخاطب معاوية[٣]:

مُعاويةُ الخَليفةُ لا تُماري ... فإنْ تَهْلَكْ فَسائِسُنا يَزيدُ

فمن غَلَب الشَّقاءُ عليهِ جَهلاً ... تَحَكّمَ في مَفارِقِهِ الحديدُ

ومما هو شبيه بموقف معاوية، موقف الوليد بن يزيد حينما عقد البيعة لولديه الحكم وعثمان، إذ بعث برسالة إلى الأمصار، مجّد فيها ولاية العهد، ورأى في استمرار ولاية العهد استمرارا للاستقرار والأمن والوحدة، وبقاء لكلمة الاسلام وحقنا للدماء فهو يقول[٤]: "....ثم إن الله وله الحمد والمن والفضل، هدى الأمة لأفضل الأمور، عافية لها في حقن دمائها والتئام ألفتها واجتماع كلمتها واعتدال عمودها وإصلاح دهمائها وذخر النعمة عليها في دنياها بعد خلافته التي جعلها نظاما ولأمرهم قواما، وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار دمشق ،ص ٢١٧.

(٢) ابن الأثير (عز الدين) : الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج٣، ص١٠١.

(٣) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ج١.ص٣١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٨.ص٢٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توكيده، والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه ليكون لهم عندما يحدث بخلفائهم ثقة في المفزع وملتجأ في الأمر ولمّا للشعث، وصلاحا لذات البين وتثبيتا لأرجاء الاسلام وقطعا لنزعات الشيطان.....فأمرُ هذا العهد من تمام الاسلام وكمال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام...فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلكم عليه من هذا العهد الذي جعله لكم سكنا ومعولا تطمئنون إليه وتستظلون في أفنانه...."

ومنها ما ذكره ابن خلدون إذ يقول[١]: "إن الذي دعا معاوية لإيثار ابنه بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة العامة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد من بني أمية عليه في ذلك الوقت، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلبة منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع، وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة سوى ذلك".

فابن خلدون يرى أن نظام ولاية العهد يتعلق بالضرورة والمصلحة العامة، وهو يعرض أيضا دور العصبية في استحداث هذا النظام، وأن الرغبة في الخلافة أو السيطرة على الحكم والقيادة كانت هاجسا عند بني أمية، وهذا نابع من التنافس التاريخي بين قطبي قريش: بني هاشم وبني أمية، فعندما أرادت قريش أن تثأر لقتلى بدر، قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار[٢]: " يا بني عبد الدار، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، ولنا يؤتى الناس من قتل راياتهم، فإذا زالت زالوا، فإما أن تكفوا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه". وعندما قتل عثمان اتُّهم بنو هاشم بقتله، وفي ذلك يقول الوليد بن عقبة[٣]:

ألا مَنْ لليلٍ لا تَغورُ كواكبُهْ إذا لاحَ نَجمٌ لاحَ نجمٌ يُراقبُهْ
بني هاشمٍ ردّوا سلاحَ ابنِ أختِكُم ولا تنْهَبُوهُ لا تحلُّ مَناهِبُهْ

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٧٣.

(٢) الأصفهاني : الأغاني، ج٦، ص ٣٤١.

(٣) نوري حمودي القيسي وآخرون: شعراء أمويون (جمع وتحقيق)، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ج٣، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني هاشــمٍ لا تَعْجَلـــوا بإِقادةٍ سَواءٌ علينا قاتِلـــوهُ وسالبُـــــــهْ

فقد يُجبَرُ العظمُ الكسيرُ وينبري لذي الحقِّ يومـــاً حقّه فيطالبُـــــهْ

وإنّا وإياكُـــم وما كانَ منكــمُ كَصَدْعِ الصّفا لا يَرأبُ الصدعَ شاعبُه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ما يسيطرعلى الوليد بن عقبة، هو استرداد الخلافة وقد عبر عن ذلك صراحة في البيت الرابع. وهذا الهاجس هو الذي دفع أبا سفيان إلى أن يقول عندما استلم عثمان الخلافة[١]:" يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فلتقفوها بينكم تلقف الكرة" . وهذه النظرة الضيقة عند أبي سفيان في تناقل الخلافة استخدمها معاوية في محاورته متنفذي قريش كعبد الله بن عمر وابن عباس وابن الزبير، إذ يرى معاوية أن الأمر أي الخلافة كان " لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة، غير أنهما سارا بسيرة جميلة، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة"[٢].

واتبع الأمويون سياسات متنوعة لتثبيت هذا النظام الوراثي، إذ قام معاوية بمحاباة الآخرين كسعيد بن عثمان بن عفان الذي ولاّه خراسان حين قال سعيد: [٣] " علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني، فوالله لأبي خير من أبيه، وأمي خيرمن أمه، وأنا خير منه، وقد ولياك وما عزلناك وبنا نلت ما نلت"، ولعل هذه السياسة القائمة على الحلم والملاينة دفعت بعض المؤرخين إلى وصف معاوية بـــ " مربي دول وسائس أمم وراعي ممالك"[٤].

وحاول شعراء بني أمية أن يروجوا لفكرة الوراثة، وحرّضوا الخلفاء على أن يبايعوا لأبنائهم، فهذا عبد الله بن همام السلولي يدعو بني أمية إلى توارث الخلافة، يقول[٥]:

تعزُّوا يا بني حربٍ بصبرٍ ... فمنْ هذا الذي يرجو الخُلودا

تلقّاها يزيدٌ عن أبيهِ ... فخذها يا معاويَ عن يَزيدا

---

(١) الاصفهاني : الأغاني، ج٦، ص٣٥٦.

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج١.ص٢٧٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ١٧١.

(٤) التوحيدي: البصائر والذخائر ، تحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، دمشق، ج٤.ص٦٢٨.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥،ص٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أديرُوها بني حربٍ عليكـــــم ولا ترموا بها العَرَضَ البعيــدا

فإن شمستْ عليكم فاعصِبُوها عِصاباً تستدرُّ لكم شـــــــديدا

ولعل هذا إظهار واضح لتبني فكرة الوراثة من قبل الشــعراء، والبيتــان الثــاني والثالث يرسمان المنهج الذي اتبعه بنو أمية في التعامل مع السلطة، إذ جعلوها وراثة في أسرتهم.

وتتضح صورة الحض على نظام الوراثة عامة والبيعة خاصة عند جرير، فهــو يمدح آل مروان بأن الخلافة فيهم لا تحويل لها، يقول[١]:

قومٌ أبوهم أبو العاصيِّ أورَثَهُم جرثومةً لا تُساميها الجــراثيمُ

ما المُلك منتقلٌ منكم إلى أحــدٍ ولا بناؤكُمُ العـــاديُّ مهدومُ

وحاول بنو مروان خاصة أن يرسموا ملامح واضحة ومحددة لنظام الوراثة وولايــة العهد، من خلال تعيين وليي عهد، وهذا النظام كان، في بدايته، يــدور حــول الأخــوة، فمروان بن الحكم جعل ولاية العهد في عبد الملك وأخيه عبد العزيز، وعبد الملك جعلهــا في الوليد وسليمان بعد وفاة عبد العزيز. فقد " أراد عبد الملك أن يخلع عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد، فكتب إليه يسأله أن يجعلها للوليد من بعده ويقول له : لولا أن الوليــد أعــز الخلق على أمير المؤمنين لم يسألك هذا له، فكتب إليه إني أرى في أبي بكــر بــن عبــد العزيز، مثل الذي ترى في الوليد"[٢].

وظهر في الشعر أن الشعراء حاولوا أن يمهدوا للبيعة ويهيئوا الناس لتقبل الخليفــة الجديد. فهذا جرير يحض الوليد بن عبد الملك على البيعة لابنه عبد العزيز، فيقول[٣]:

رأَوْا عبد العــزيز ولــيَّ عــهــدٍ ومــا ظــلــمــوا بذاك ولا أساؤا

---

(١) الديوان:٤٣١. انظر أيضا ديــوان الفــرزدق :١٩١، ٢٩١، ٢٥٠، ٣٠١، ٦٠٧ ، ديــوان الأخطــل:١٨٤، ديــوان الكميت:ج٢،ص١٠٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧.ص٢٥٣ .

(٣) الديوان:١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَزَحْـلِـفْهـا بأزفُـلِهـا إليـــــه أمــيرَ المؤمنــين إذا تــشـــاءُ

فإنّ النّــاس قــد مـــــدّوا إلــيــهِ أكُــفَّهــم وقــد بَرِح الخفـــاء

ولو قــد بايــعــوك ولــيَّ عهــدٍ لــقــام القســـطُ واعتدل البناءُ

وقال جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك ويذكر أنه الخليفة القادم[١]:

إنّ الامـــامَ الذي تُرجـــى نــوافلُهُ بــعد الامامِ، وليُّ العهد أيــوبُ

مستقبلُ الخــيرِ لا كابٍ ولا جَحِدٌ بــدرٌ يَــغمُّ نجومَ الليل مشبوبُ

ولعل الصورة التقريرية التي رسمها أعشى ربيعة لتوضيح معالم النظـــام الوراثي،فيهـــا دعوة قوية كي يجعل عبد الملك ابنه وليا للعهد،يقول أعشى ربيعة[٢].

ابــنــك أولــى بــملك والــده وعــمــك إن عــصـــاك مطرح

و صارع نظام الوراثة بمفهومه الأموي، تيارين رئيسين هما: التيار الاسلامي الذي يؤكد اختيار أصلح المسلمين وأفضلهم. و أبرز مثال على ذلك ما فعله معاوية بن يزيــد قبيل موته حين ترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يشاؤون، فقد قال[٣]: "إن كانت الخلافة خيرا فقد استكثر آل أبي سفيان منه، وإن كان شرا فلا حاجة لنا فيــه، فاختـــاروا لأنفسكم إماما تبايعونه هو أحرص على هذا الأمر مني واخلعوني فأنتم فــي حــل مــن بيعتي". أما التيار الثاني الذي كان له تأثير قوي فهو التيار القبلي، الذي يعترف بســيادة القبيلة أو الفخذ، ويقبل باختيار أقدر أفرادها وأكثرهم حنكة وأكبرهم سنا وأكثرهم خدمــة. و اختيار مروان بن الحكم زعيما سياسيا بعد مؤتمر الجابية خير مثال على ذلك[٤].

وتدخلت العصبية في الصراع بين هذين التيارين، ورجحت كفة التيــار القبلــي، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن خلدون من أنه إذا " حصل التغلب بتلك العصبية على قومهــا

---

(١) الديوان:٣٤

(٢) الصبح المنير في شعر أبي بصير (الأعشى والأعشيين الآخرين):ص٢٧٧

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥.ص٣٨٢.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦،ص٢٦٠ وانظر النظم الاسلامية. الدوري ص ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالا[١] وأنظارا، ولكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها، شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم. وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا، وزادتها قوة في التغلب إلى قوتها، وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد. وهكذا دائما حتى تكافىء بقوتها قوة الدولة، فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات، استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها"[٢].

وهذا التحول في نظام الحكم، الذي يعتمد على قاعدة التوريث، كان لا بد له من سند تاريخي يستند عليه الأمويون في الحديث عن الإرث. فاستغل بنو أمية مقتل عثمان بن عفان واتخذوه وسيلة للطلب بوراثة الخلافة. كما وجد معاوية في قوله عز وجل[٣] (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومَاً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانَاً فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ) مدخلا إلى ذلك، وكان معاوية آنذاك وليَّ عثمان، وهذا ما أوضحه لأبناء الصحابة. فحين قدم المدينة " قعد في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس، فقال: أنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه، فقال ابن عباس: ولم ؟ ألتقدم في الاسلام أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم قرابة منه؟ قال: لا، ولكني ابن عم المقتول، قال: فهذا أحق به،يريد ابن أبي بكر،قال: إن أباه مات موتا، قال فهذا أحق به،يريد ابن عمر،وقال: إن أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجتك، أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه"[٤].

وعبّر شعراء بني أمية عن هذا الشعور بالسند التاريخي للحق الأموي، فهذا الفرزدق يرى أن بني أمية هم المطالبون بدم عثمان، وهم أحق الناس به، يقول[٥]:

وما زلتُ أرجو آلَ مروانَ أنْ أرى لهم دولةً والدهرُ جمٌّ دوائرُهْ

---

(١) الاقتال: الاصدقاء .

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص٢٣١.

(٣) سورة الاسراء/آية ٣٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٤، ص٥٦٢. تاريخ الخلفاء، ص٢٠١/ابن أعثم: الفتوح .ج٧،ص٩١ .

(٥) الديوان:٢٢١، وانظر أيضا:٢٥، ٢٧، ٥٩ من الديوان نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لــدُنْ قُتلَ المظلـــــومُ أن يطلبوا بِـــهِ ومـــولى دمِ المظلومِ منهمْ وثائرُهْ

ويرى الأخطل أن بني مروان ورثة عثمان ، فيقول[١]:

كـــانوا مواليَ حقٍّ، يطلبـــون بـــه فـــأدركـــوه وما ملُّوا، ولا لَغِبـــــوا

إنْ تـــكُ للحقِّ أسبابٌ يُمـــــدُّ بها فـــفي أكُفِّهمُ الأرســـــــانُ والسببُ

همُ سَعَوا بابنِ عفانَ الإمامِ وهمْ بعد الشَّماسِ مَرَوها، ثُمَّتَ احتلبوا[٢]

وجعل عدي بن الرقاع العاملي مقتل عثمان وسيلة إلى المطالبة بالحكم وتوارثه لأن بني أمية أولياؤه، فيقول[٣]:

فـــأصـــبحَ الأمرُ بعدَ الله قـــادتُهُ بنو الأُلى غضبوا مِنْ قتلِ عثمانا

ورأى بعض الشعراء أن خلافة بني أمية يجب أن تكون وراثية وليست شـــورية؛ لأن الذين يطلبون الشورى قد قتلوا عثمان بن عفان، ، قال عبد الله بن همام السلولي مخاطبـــا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[٤]:

إنَّ الخلافةَ إنْ تثبتْ لثالثكُـــــمْ تـــثبتْ أواخيُّها فيكـــمْ فلا تُـــرَمِ

فلا تُحلَّنَّـــَها في دار غيـــركمُ إني أخـــاف عليكـــم حسرة الندمِ

فما لِمَنْ سالك الشورى مشاورةٌ الا بـــطعـــنٍ وضربٍ صايبٍ خَذِمِ

أنىّ تكون له شورى وقد قَتَلـــوا عثمانَ ضحّوا به في الأشهر الحرمِ

---

(١) الديوان: ٧١ .

(٢) لغبوا:تعبوا، السبب: الحبل، الشماس: الفتنة، مروها:مسحوا ضرعها للحرب.

(٣) الديوان: ١٧٠.

(٤) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء ، ج٢، ص٦٢٩.نقائض جرير والأخطل، أبو تمام.ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال حميد بن ثور الهلالي مصورا انتقال الخلافة إلى الأمويين انتقالا شرعيا تمشيا مع فكرة وراثة الخلافة[١]:

إن الخلافةَ لما أُظعنتْ ظَعَنتْ عن أهلِ يثربَ إذ غيرَ الهدى سلكوا

صارتْ إلى أهلها منهم ووارثِها لما رأى اللهُ في عثمانَ ما انتهكوا

وصاغت ليلى الأخيلية فكرة الحق الأموي صوغا تقريريا مليئا بالحزن الشديد على مقتل عثمان والرغبة في الانتقام، داعية في الوقت ذاته إلى نظام التوريث المبني على القرابة، فهي تقول[٢]:

قُتل ابنُ عفانَ الإما مُ وضاعَ أمرُ المسلمينا

وتشتَّتْ سبلُ الرشا دِ لصادرينَ ووارديـنا

فانهضْ معاويَ نهضةً تشفي بها الداءَ الدفينا

أنت الذي مِنْ بعدهِ تُدعى أميرَ المؤمنينا

وأقام بعض الشعراء صلة بين الماضي والحاضر لإثبات شرعية الحكم،فالفرزدق على سبيل المثال، أراد أن يوصل فكرة التوريث من خلال التمهيد التاريخي الذي بدأه بعمر بن الخطاب وانتهى ببني أمية، ولعل العمق التاريخي المستثمر في النص الشعري، يعمل على إضفاء الشرعية،إذ وجدت قاعدة انطلق منها صاحب الولاية في المطالبة بحقه في الحكم، يقول الفرزدق[٣]:

صلّى صهيب ثلاثاً ثم أنزلها على ابن عفَّان مُلكاَ غيرَ مقصورِ

وصيَّةً من أبي حفصٍ لستتّهم كانوا أحبَّاءَ مهديٍّ ومأمورِ

مهاجرينَ رأوْا عثمان أقربهمْ إذ بايعوه لها والبيتِ والطورِ

---

(١) الديوان:١١٤.

(٢) الديوان:٩٢

(٣) الديوان:١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلن تزالَ لكمْ، واللهُ أثبتـــــها فيكمْ، إلى نفخةِ الرحمن في الصورِ

وسعى الزبيريون لأن يستفيدوا من إرث عثمان التاريخي، فعثمان أمَّر ابن الزبير على الدار عند الفتنة ، وقال[١]: "من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير"، وهذا ما أوضحه ابن الزبير نفسه عندما قال[٢]: " لقد استخلفني أمير المؤمنين عثمان على داره، فلقد كنت أنا الذي أقاتل بهم، ولقد كنت أخرج في الكتيبة وأباشر القتال بنفسي، فجرحـــت بضعة عشر جرحا. وإني لأضع اليوم يدي على بعض تلك الجـــراحات فأرجو أن تكون خير أعمالي".

وعلى الرغم من أن بني أمية اعتمدوا على إرث عثمان في الخلافة إلا أننا لا نعدم بعض الإشارات التي تتحدث عن ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يتمثـــل فـــي الميراث السياسي فقط، ومن ذلك قول سهم بن حنظلة يمدح مروان بن الحكم فـــي مـــرج راهط بأنه الوريث السياسي للنبي[٣]:

نـــصـــرَ الإلهُ بني أميةَ إنَّـــهُ منْ يُعطهِ سَيْبَ الخلافةِ يُنصرِ

الـــوارثينَ مُـــحمَّداً ســـلطانَهُ وجوازَ خاتمـــــهِ وعودَ المنبرِ

وكذلك قال الفرزدق مادحا بني مروان[٤]:

ورثـــوا تراثَ محمدٍ كانوا بهِ أولـــى وكانَ لهمْ منَ الأقسامِ

لمّا تخوصمَ في الخلافةِ بالقَنا لأبـــي الوليدِ تراثُها وهشـــامِ

ومن هنا نرى أن بني أمية اعتمدوا اعتمادا كبيرا على إرث عثمان لإضفاء الشرعية، وقلّ اعتمادهم على إرث النبي صلى الله عليه وسلم لأسباب منها العصبية داخل بني عبد

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦.ص١٩١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، محب الدين العمروي ، دار الفكر ، بيروت ،ج ٧.ص٤٠٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦.ص٢٧٣.

(٤) الديوان:٥٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شمس[١] إذ كانوا ذوي سلطة وجاه في الجاهلية والاسلام. والسبب الأقوى أن الشيعة يمتلكون رؤية أقوى في هذا الجانب، لأنهم من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، فضلا عن كثير من النصوص التي حشدها الشيعة لتثبيت حقهم في الخلافة.

واجتهد بنو أمية في أن يصوغوا لأنفسهم رؤية واضحة وشاملة ترتسم ملامحها في كيفية التعامل مع المعارضة، واختيار الفكر الملائم المنسجم مع رؤيتهم ونظريتهم. ولما كانت (الشرعية) الأموية امتدادا طبيعيا لشرعية عثمان، فيجب ،تبعا للرؤية الأموية، ألا يحدث فراغ بين مرحلة عثمان والمرحلة الأموية، وأن يستمر الاتصال بينهما؛ لأن الوراثة تتطلب استمرارية مباشرة للخلفاء لا انقطاع فيها. ومن هنا فإن الفراغ الذي حدث بعد مقتل عثمان هو فراغ وهمي، لا يعترف الأمويون بوجوده. وبهذا فقد استثنى الأمويون علي بن أبي طالب من جريدة الخلفاء، وذلك لتحقيق أمرين، أولهما: أنه ليس خليفة شرعي في نظر الأمويين. وثانيهما: أن وجوده كخليفة يقطع سلسلة الوراثة وهذا ما لا يريده بنو أمية. ومواقف الأمويين تدل على ذلك. فعندما قام معاوية بزيارة المدينة عام الجماعة خطب قائلا[٢]: " ...ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفورا وأعظم هربا من ذلك، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء؟ ومن يقدر على أعمالهم؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم..." ، وبرز استثناء علي بن أبي طالب في قول أعشى ربيعة ، ذاكرا سلسة الخلفاء الراشدين ومعاوية ويزيد[٣]:

وكان الخلائفُ بعدَ الرسو ... لِ لله كُلُهُمُ خاشعا

شهيدينِ من بعدِ صدِّيقهمْ ... وكان ابنُ صخرٍ هو الرابعا

وكان ابنهُ بعدَه خامساً ... مطيعاً لمن قبلهُ سامعا

(١) ابن خلدون: المقدمة.ج١.ص٢٧٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٥٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبين ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٣.ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الحديث عن الاستثناء ،وهو في حقيقته إلغاء للآخر، لم يكن مقتصرا على الأمويين والشيعة وهما القطبان المتنافسان. بل نجد هذا الاستثناء داخل البيت الأموي، فقد استخدم عبد الملك بن مروان هذا الأسلوب في خطبة له بأهل مكة إذ يقول[١]: "أما بعد فلست بالخليفة المستضعف، يعني عثمان، ولا بالخليفة المداهن، يعني معاوية، ولا بالخليفة المأفون، يعني يزيد،....." ونجد هنا إسقاطا لخلافة معاوية بن يزيد. ربما لأنه لم يجعل الأمر وراثة بل حاول أن يجعلها شورى[٢] وأنه لم يقم بالخلافة أصلا.

ونرى تفاوتا في الحديث عن الوليد بن يزيد، إذ نجد له ترتيبا مختلفا ومتباينا في قائمة الخلفاء الأمويين ، فالفرزدق يمدح الوليد بقوله[٣]:

ورث الخلافةَ سبعةٌ آباؤهُ عمروا وكلُّهمُ لأعلى المنبرِ

وقال إسماعيل بن يسار في الوليد بن يزيد[٤]:

نماهُ إلى فَرْعَي لؤي بنِ غالبِ أبوهُ أبو العاصي وحربٌ وعامرُ

وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا خلائفُ عدلٍ مُلْكُهمْ متواترُ

فنلاحظ هنا أن ترتيب الوليد بن يزيد قد اختلف عند الشاعرين، فهو عند الفرزدق يأتي ثامن الخلفاء فقد سبقه سبعة خلفاء، لكنه عند إسماعيل بن يسار يأتي ترتيبه السادس فقد سبقه خمسة خلفاء!!

إن الفرزدق انطلق في ترتيبه من مروان بن الحكم فعبد الملك فالوليد فسليمان فعمر فيزيد فهشام، وهذا ترتيب موافق للواقع. وأما قول إسماعيل فيحتمل استثناء خليفتين من ثلاثة. والخلفاء الثلاثة الذين يحتمل استثناء اثنين منهم هم:مروان بن الحكم، وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين.ج١.ص٢١٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك .ج٥.ص٥٣٠.البلاذري: أنساب الأشراف .ج٥.ص٣٨٢.

(٣) الديوان:٢٩١.

(٤) الديوان:٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمروان بن الحكم عند بعض المؤرخين لا يعد خليفة، لأن معظم الأمصار قد دانت لابن الزبير[١] يقول الجاحظ[٢]: "ولئن كان مروان مستوجبا لاسم الخلافة مع قلة الأيام وكثرة الاختلاف واضطراب البلدان فضلا عن الأطراف، فابن الزبير أولى بذلك منه، فقد كان ملك الأرض إلا بعض الأردن" ، ومروان ذاته أراد أن يبايع لابن الزبير لولا عبيد الله بن زياد.

وأما عمر بن عبد العزيز، فربما لأنه من الفرع الثاني لمروان بن الحكم، إذ إنه من نسل عبد العزيز بن مروان، وكلهم من الفرع الأول أي من نسل عبد الملك بن مروان. وأما هشام، فقد كانت بينه وبين إسماعيل بن يسار عداوة، فنفاه هشام إلى الحجاز طيلة حكمه بعد أن فخر إسماعيل عليه بقصيدته الميمية التي مطلعها:

يا ربعَ رامةَ بالعلياء من ريمِ هل تُرْجِعنَّ إذا حيَّيتُ، تسليمي[٣]

فقال له هشام: [٤] " أعليَّ تفتخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك"

وأحسب أنه استثنى مروان بن الحكم وهشام بن عبد الملك، لأن البيتين موجهان إلى الوليد بن يزيد، إذ كان على عداوة كبيرة مع هشام، فتلاقى هوى إسماعيل مع هوى الوليد، مما أدى إلى إسقاطه من جريدة الخلفاء الأمويين.

---

(١) يقول السيوطي " بما أن الأمر لا يستقيم بوجود إمامين، وحيث أن معظم الأمصار قد وافقت على ابن الزبير، فان إمامة مروان ابن الحكم باطلة" (تاريخ الخلفاء، ص ٢١٢) ويقول الماوردي:" لا يجوز أن يكون للأمة امامان في وقت واحد"(الأحكام السلطانية.ص٩). وقد أوضح ابن الزبير هذه النظرة عندما طلب معاوية البيعة ليزيد، رفض ابن الزبير البيعة الثانية لوجود الإمام إذ قال:"أتريد أن تبايع ليزيد؟ أرأيت إن بايعناه أيكما نطيع؟ أنطيعك أم نطيعه. إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعه" (الامامة والسياسة.ج١، ص١٨٨).

(٢) رسائل الجاحظ. للسندوبي.ص٧٧.

(٣) الديوان:٥٤.

(٤) انظر الحادثة في الأغاني.ج٤.ص٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما مسألة الوراثة في الخلافة عند الشيعة، فقد أخذت بعدا أكبر، لأن الشيعة حاولوا أن يشكلوا ما يسمى (الإسلام السياسي)، الذي ينطلق من قاعدة دينية لبلورة أفكارهم السياسية، ومن هنا حاول الشيعة الاستفادة من الفقه واللغة والنص والعاطفة وأساليب الاحتجاج كي يثبتوا أحقيتهم في الخلافة. ومفهوم الوراثة جزء أصيل من الرؤية الشيعية لنظام الحكم، وتظل الرؤية الشيعية ذات بعد ديني وتأصيلي تبلور بشكل واضح في العصر العباسي على يد الشيعة الإمامية.

و كان الحديث عن الوراثة في الفكر الشيعي قد بدأ تطبيقه في وقت مبكر[١] منذ أن قال العباس لعلي بن أبي طالب: [٢] " إن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض، فاسأله إن كان الأمر لنا بيّنه، وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيرا، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلي: ابسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الأمر إذا كان لم يقل. فقال علي: ومن يطلب هذا الأمر غيرنا".

وهذا ماثل أيضا من قول علي للمهاجرين بعد السقيفة: [٣] " الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت". ولعل في رد علي بن أبي طالب على مبعوثي معاوية سنة (٣٧)هـ ما يوضح ذلك حين قال[٤]: "...ثم استخلف الناس أبا بكر رضي الله عنه، واستخلف أبو بكر عمر رضي الله عنه، فأحسنا السيرة وعدلا في الأمة، وقد وجدنا عليهما

---

(١) يجب أن نتعامل مع حركة التشيع تعاملا (مرحليا) أي ملاءمة المصطلح للظرف الزمني، وبناء علىذلك فالتشيع مر بمراحل: فهو في البداية يمثل التفاف جماعة حول علي التفافا عاطفيا لمنزلته في آل الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك نلمح جماعة لا تنقصها الكثرة ولكن يعوزها الاخلاص أثناء خلافة علي، ثم حالة سكون في خلافة معاوية أعقبها اتجاه عقائدي بعد مقتل الحسين. ثم كان التشيع في دورة النهائي حيث برزت معالم المذهب وآراؤه في عهد جعفر الصادق.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة .ج١، ص٤.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة .ج١،ص ١٢(علي هنا يتحدث عن السلطان السياسي وليس توريث النبوة).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٥، ص٧. وانظر رسالة الحسين بن علي إلى أهل البصرة. الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٢٠٠ وانظر محاورة أبي الدرداء لمعاوية. ابن كثير: البداية والنهاية ،ج٧، ص٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن توليا علينا ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما" ، فعلي هنا يتحدث عن وراثة النبي وهي وراثة سياسية لا وراثة دينية، وراثة السلطان لا وراثة النبوة.

ومن هنا يجب أن نفهم الوراثة ضمن مسارها التاريخي في الفكر الشيعي، فإذا كانت الوراثة عند علي تنطلق من قاعدة سياسية، فإن هذه الوراثة قد انقلبت إلى وراثة النبوة والتشريع بعد ذلك[١]. وعلى الرغم من وجود أحاديث تصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورِّث ولا يورَّث[٢]، الا أن الشيعة رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم يورث، ولعل البداية كانت بفَدَك[٣]، قال الكميت رافضا تكفير أبي بكر وعمر، ومؤكدا مبدأ الوراثة[٤]:

ولا أقولُ وإنْ لم يُعطيا فَدكاً بنتَ النَّبي ولا ميراثَهُ كَفَرا

ولعل المطالبة بأرض فدك كانت تمهيدا للمطالبة بالإمامة، لأن الوراثة هنا تصبح نتيجة طبيعية لمبدأ الحق الإلهي الذي أعطي لهم، يتوارثونه بينهم.

وحاول الفكر الشيعي أن يستغل الفقه والعقل في صوغ النظام الوراثي، فهذا الكميت يحاول أن يثبت الوراثة في آل البيت ، فهو يقول[٥]:

وقالوا ورثناها أبانا وأمّنا وما ورّثتهُمْ ذاك أمٌّ ولا أبُ

يرون لهم حقاً على الناس واجباً سَفاها وحقٌّ الهاشميينَ أوجبُ

---

(١) الكليني: الاصول من الكافي ، تحقيق علي اكبر غفاري، دار صعب، بيروت، ص٦٥.

(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا نورث ما تركنا صدقة " (فتح الباري بشرح صحيح البخاري. كتاب الفرائض.ج١٢ ص٥).

(٣) وهي قرية بالحجاز قرب المدينة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم سنة سبع، وهي التي طالبت بها فاطمة، فرفض أبو بكر إعطاءها، واجتهد عمر فجعلها بين علي والعباس، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها. فلما ولي يزيد قبضها، فلم تزل في أيدي بني أمية إلى أن ولي العباسيون" (معجم البلدان.ج٦.ص٤١٧).

(٤) الكميت: الروضة المختارة.ص٨١، الهاشميات.ص٩٠.

(٥) الكميت: الروضة المختارة.ص٣٢. الهاشميات.ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنْ مواريثُ ابنِ آمنـــةَ الــذي به دانَ شرقـــيٌّ لكم ومُغَـــــرِّبُ
فدىً لك موروثـــاً أبي وأبو أبي ونفـــسي ونفسي بعدُ بالناس أطيبُ

فالكميت يقيم مقابلة بين الحق الأموي والحق الهاشمي ويحاول أن يدافع عــن الحــق الهاشمي القائم على موروث لا مراء فيه، فهذه المسألة التي يتعرض الكميــت لمناقشــتها فقهية خالصة، وهي مسألة الميراث " ومن المعروف أن بين الفقه السني والفقه الشــيعي خلافا في هذه المسألة، والكميت في هذه الأبيات يناقش المسألة على أســاس مــن الفقــه الشيعي، فالشيعة يقدمون القرابة على العَصَبَة، ويقولون إن ابن العم الشقيق مقدم على العم لأب، كما يقولون إن الأنبياء تورث. وقد وضع الكميت هذه الآراء أمامه ومضى ينــاقش المسألة: وإذا كانت الأنبياء تورث، فالنبي صلى الله عليه وسلم يورث، واذا كانت القرابة مقدمة على العصبة، ففاطمة بنت النبي مقدمة على من سواها، وما دام ابن العم الشــقيق مقدما على العم لأب، فعلي بن أبي طالب مقدم على سائر أعمام النبي، وإذن فعلي وفاطمة هما أحق آل البيت بميراث النبي،والخلافة ميراث تركه النبي لقــريش، وإذا كــان علــي وفاطمة أحق قريش بميراث النبي فأبناؤهما إذن أحق قريش بالخلافة"[١].

وعلى الرغم من محاولات الشيعة إنشاء مؤسسة بديلة عن المؤسسة الأمويــة، إلا أن رؤيتهم ظلت غير واضحة. وهي خاضعة للأهواء أو الضرورة الاجتماعية. ومن هنا لــم يكن عند الشيعة أسلوب واضح ومحدد في مسألة الوراثة. وهذا ظاهر من تنوع فرقهــا، فالزيدية " ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة فــي غيرهم، إلا أنهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد، شجاع، سخي، خرج بالإمامــة أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما"[٢]. والإمامية ترى أن الإمامة في أبناء الحسين[٣]. على الرغم من أنها انتقلت من

---

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، دار الكتاب العربي ، القاهرة،ص٧١٣. اعتمد الدكتور خليف في تحليله هــذا علــى الأستاذ أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام،ج٣،ص٢٦٠، وانظر حديثا عن هذه الوراثة في كتاب(الفــروع مــن الكــافي) للكليني،ج٦،ص١٥٠

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل.ج١.ص١٣٨.

(٣) انظر الكليني: الأصول من الكافي.ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسن إلى الحسين وبقيت في أبناء الحسين ولم تنتقل إلى أبناء الحسن، ولعل هذا نابع من شعور الشيعة أن الحسن باع حقه عندما تنازل عن الخلافة، فقد بلغ من سخط أصحابه عليه أن وصفوه بـ (عار المؤمنين) و(مذل المؤمنين)، وكان يدافع عن نفسه بقوله[١]: "العار خير من النار، لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك". ويُذكر أن أتباع الحسن خالفوه وطعنوا فيه عندما صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة، وانعكس تأثير هذا السخط على أحدهم ويدعى الجراح بن سنان الذي طعنه في فخذه، وقال له: [٢] " الله أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل".

أما الفرقة الثالثة فهي الكيْسانية، وهي التي تسوق الخلافة إلى محمد بن الحنفية[٣]، ولعل هذه الفرقة على خلاف كبير مع النظرة الأموية في النسب من جهة الأم، فأم محمد بن الحنفية سبية باتفاق الروايات، والاختلاف في زمن السبي ومصدره[٤]. وهذا المظهر الوراثي عند الشيعة الذي لا يركز على أصل الأم يناقض المفهوم الأموي الذي يركز على الأصل وألا تكون المرأة من السبايا، وفي هذا يقول عبيد الله بن قيس الرقيات مادحا بني أمية بأنهم نكحوا الحرائر ذوات الشرف فأغناهم ذلك عن اتخاذ السبايا حلائل[٥]:

لم تُنكح الصُّمُّ منهم عَزَبا ولا يُعابون إنْ هُمُ خَطَبوا[٦]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية.ج٨، ص٤٠٦ ، وانظر ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة، ص١٣٥.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة، تحقيق هلموت ريتر،مطبعة الدولة، استانبول، ص٢٤ (يبدو أن الجراح أقرب إلى فكر الخوارج من خلال وصفه لعلي بالمشرك).

(٣) النوبختي: فرق الشيعة.ص٢٦ ، الشهرستاني: الملل والنحل. ج١، ص١٣٢. وانظر حديثا مفصلا عن هذه الفرقة في كتاب الكيسانية في التاريخ والأدب.للدكتورة وداد القاضي.ص٥٥-٦٤.

(٤) فهي سبي لخالد بن الوليد في حروب الردة وأعطاها ابو بكر لعلي،ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ،دار احياء الكتب العربية، ج١، ص٢٤٤. وهي في بعض الروايات من سبي اليمامة(الطبقات الكبرى ج٥، ص٦٦)، ورواية تذكر أنها صارت في سهم علي عندما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فأصابها في بني زبيد وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب(البلاذري: أنساب الأشراف.ج٢، ص٤٢٢)، وترى رواية أن خولة حنفية سباها بنو أسد بن خزيمة من قومها ثم قدموا بها المدينة، فاشتراها منهم أسامة بن زيد ثم اشتراها علي بن أبي طالب فولدت له محمدا.(البلاذري: أنساب الأشراف.ج٢.ص٤٢٢.)

(٥) الديوان:٦

(٦) الصم : الرماح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن التفكير الشيعي يقترب من التفكير الأموي في ولاية العهد. وجاءت هذه الصيغة الوراثية عند الشيعة تحت مسمى (الوصيّ) بما للكلمة من عمق دلالي في إلغاء الدور البشري وربط القضية بالسماء، وهذا سوف يؤدي إلى تعطيل الشورى، وهذه سمة مشتركة بين الأمويين والشيعة، وتظهر ولاية العهد في قول الكميت واصفا علي بن أبي طالب[١]:

والوصيُّ الذي أمال التُّجُو ... بيٌّ بِهْ عرشَ أمةٍ لانهدامِ

كان أهلَ العفافِ والمجدِ والخير ... رونقضِ الأمورِ والابرامِ

والوصيَّ الوليَّ والفارسَ المُعْلِ ... م تحت العجاج غير الكهامِ

وقال أيضا في الحسن[٢]:

ووصيِّ الوصيِّ ذي الخُطَّةِ الفَصلِ ومُردي الخصومَ يومَ الخِصامِ.

وقال كثير عزة واصفا ابن الحنفية بوصي علي بن أبي طالب[٣]:

وصيُّ النبي المصطفى وابنُ عمِّه ... وفكّاكُ أغلالٍ وقاضي مغارمِ

أبى فهو لا يشري هدى بضلالةٍ ... ولا يتّقي في الله لومةَ لائمِ

ويعلق ابن منظورعلى مصطلح الوصي بقوله[٤]: "قيل لعلي وصي لاتصال نسبه وسببه وسَمْته بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسببه وسمته. والشاعر أراد هنا ابن وصي النبي وابن ابن عمه.

فالوصي من خلال الأبيات السابقة هو الذي يحمل الأمانة والمسؤولية بعد الموصي، وهو يتشابه إلى حد كبير مع ولاية العهد، إلا أن الوصية تضم بين ثناياها الوراثة الدينية والسياسية. بينما تقتصر ولاية العهد على الميراث السياسي، وإذا كانت هذه الرؤية كامنة

---

(١) الكميت: الروضة المختارة.ص١٨، الهاشميات.ص٢٩

(٢) الكميت: الروضة المختارة .ص٢٠.

(٣) الديوان: ٢٢٥.

(٤) انظر ابن منظور: لسان العرب مادة (وصي)، وانظر المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج٢، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وجدان شعراء الشيعة وعامة أنصارهم وفي مرحلة متوسطة من العصر الأموي، يجوز أن يسأل: هل الأدب سابق التنظير في هذه المسألة؟! خاصة أن أئمة آل البيت رأوا أنه لم تتوافر في هذه المرحلة التنظيرية مرجعيات حقيقية تتصل بنسل الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سئل زين العابدين علي بن الحسين من أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي، وأن عليا أوصى إلى الحسن، وأن الحسن أوصى إلى الحسين، وأن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين أوصى إلى ابنه محمد، قال: [١] "والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين، ما لهم قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متآكلين".

وكما استخدم الأمويون أسلوب الاستثناء، لكي يحافظوا على سلسلة التوارث وإضفاء الشرعية على الخليفة. حافظ الشيعة على هذا الأسلوب من خلال استخدام مصطلحات عميقة في دلالتها الشرعية والسياسية كمصطلح (التبرؤ)، إذ يرى الشيعة الكيسانية والإمامية،أن في التبرؤ إخلاصا للأئمة من آل البيت واعترافا بأحقيتهم في الخلافة. وهذا في حد ذاته صورة مساوية للتصور الأموي باستثناء علي من قائمة الخلفاء، فالاستثناء أو التبرؤ صورة فنية ابتدعها المنظرون والشعراء والخطباء كي يقنعوا المجتمع بعدم أحقية الخليفة المستثنى أو المتبرأ منه. وعبّر كثيّر عزة بشكل واضح عن هذا الشعور بقوله[٢]:

برئتُ إلى الإلهِ منِ ابنِ أروى ومنْ قولِ الخوارجِ أجمعينا
ومِنْ عمرٍ برئْتُ ومنْ عَتيق غَداةَ دُعيْ أميرَ المؤمنينا

و الصورة التي رسمها كثير عزة في التبرؤ من أبي بكر وعمر وعثمان وأنهم اغتصبوا حق الخليفة الحقيقي وهو علي بن أبي طالب، هي صورة تقريرية في الحديث عن التبرؤ، إلا أننا نجده يستخدم أسلوبا تمويهيا عند قوله[٣]:

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤١، ص٣٩٣.

(٢) الديوان: ٤٩٠.

(٣) الديوان: ٤٩٥، وانظر الأصفهاني: الأغاني.ج١٢، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــانَ الخلائفُ بعدَ الرَّســـو ... لِ لله كـــلُّهـــُـــمُ تابـــعـــا

شـــهيدانِ منْ بعدِ صدِّيقهـــم ... وكانَ ابـــنُ حربٍ لهـــمْ رابـــعا

وكانَ ابنُهُ بـــعدَهُ خامســـــاً ... مطيعاً لِـــمَنْ قبـــلَهُ سامـــعَـــا

ومـــروانُ سادسُ منْ قد مضى ... وكـــانَ ابنـــُهُ بـــعـــــدَهُ ســـابِعَا

والدهاء في الأبيات السابقة كامن في التمويه واشتقاق الذم من المدح ومحاولة مـــدح الإمام أمام الخصم، وهو بذلك يستخدم الاستثناء العكسي، فاستثناء علي بن أبي طالب ليس إخراجا له من دائرة الأحقية، بل هو تثبيت لذلك الحق. وهذا التمويه الذي لجأ إليه كثيّـــر انتبه إليه الطرماح، فقد ذُكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني " أن الطرماح جلس فـــي حلقة فيها رجل من بني عبس، فأنشد العبسي قول كثير في عبد الملك:

فكنتَ المُعلى إذ أُجيلتْ قداحهُمْ ... وجـــالَ المنيحُ وســـطَها يتقلقلُ

فقال الطرماح: أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعبا، ولكنه موه عليه في الظاهر وعني في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم، لأنه أخرج عليا (عليـــه السلام) منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المعلى السابع من القداح، فلذلك قال ما قاله...."[١].

ولم يكن جميع الشيعة مقتنعين بإدخال مصـــطلح التبـــرؤ فـــي معجمهـــم الأدبـــي والسياسي. فكانت فرقة الزيدية ترى أحقية علي بالخلافـــة، إلا أنها لم تقـــم بالاستثنـــــاء والتبرؤ[٢]، فلم يتبرأ الكميت من أبي بكر وعمر وهذا ما عبر عنه بقوله[٣]:

ويومَ الـــدوح دوحِ غديرِ خُمٍّ ... أبان له الولاية لو أُطيعـــا

ولكنّ الرجال تـــبايعـــــوها ... فلم أرَ مثلها خَطَراً مبيعـــا

---

(١) الأصفهاني :الأغاني. ج١٢، ص٤١.

(٢) يقول الجاحظ:" وزعموا (الزيدية) أن عليا كان أولاهم بالخلافة إلا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقـــل طعنـــا وخلافا" (رسائل الجاحظ.للسندوبي.ج ص٢٤٣).

(٣) الكميت: الهاشميات، ص٨١،الروضة المختارة.ص٧٩، (ترة: زحف).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فــلم أبلُغ بها لعنــاَ ولكــن أساء بذاك أوّلُهُمْ صــنيعــا

فصــار بذاك أقربُهُم لعــدلٍ إلى جورٍ وأحفظهُمْ مُضيعا

أضاعوا أمــر قائدهم فضلّوا وأقومِهِم لدى الحدثان ريعا

تناسَوا حقّهُ وبَغَوْا علــيه بلا تَرةٍ وكان لهــم تريــعــا

وعلى الرغم من أن الشاعر لم يصرح بعدم التبرؤ بل أشار إليه في البيت الثالث. إلا أنه يصرح بعدم التبرؤ من الشيخين في قوله[١]:

أهوى علياَ أميرَ المؤمنينَ ولا ألوم يوماً أبا بكرٍ ولا عُمَرا

ولا أقول وإنْ لمْ يُعطيا فَدَكــاَ بنتَ النبي ولا ميراثَهُ كَفَرا

إن إسباغ صفة الوراثة على الخلافة في التفكير الشيعي وجد طبيعة اجتماعية تســاعد على قبول الأمر وإثرائه. وهذا ما يلمس من التأييد الفارسي وتأييد الموالي للحســين بــن علي. ولعل الدراسة التي قام بها (مونتغمري وات) لأنساب الرجال الذين ســاهموا فــي الثورات المؤيدة لآل البيت، ومثيلاتها المؤيدة للخوارج. كانت ترى أن العامل الأساســي في التأييد أو المعارضة هو الوراثة إذ غالبية مؤيدي الشيعة الأوائل كانوا مــن رجــالات القبائل اليمنية، في حين كان مؤيدو الخوارج من عرب الشمال، وقد حاول (وات) أن يجد سببا لوقوف اليمنية إلى جانب آل البيت، فعرب الجنوب الذين جاؤوا فــي الأصــل مــن اليمن، ورثوا ثقافة كان فيها الملك وراثيا والحضارة متواصلة، ولــذا قبلــوا زعامــة آل البيت،لأن باني مجد الأمة هو محمد بن عبد الله، وهم أهله ونسله، أمــا عــرب الشــمال فكانوا بدوا ولا سابقة لهم في المُلك، ولم تساعد علاقتهم بالغساسنة والمناذرة على تأصيل الروح المدنية فيهم، فكانوا أقرب إلى فكر الخوارج من أي فكر مطروح آخر[٢].

ويبدو في هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي حديث عن الوراثة داخل البيت العباسي من خلال الدعوة العباسية التي كان لها حضور واضح في العصر الأموي، بدءا من السنة

(١) الكميت: المصدر السابق .ص٨١.

(٢) نبيه عاقل، مولد الحزبية السياسية،ص٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المئة[١]، فقد روي " أن علي بن عبد الله دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخيلفتان أبو العباس وأبو جعفر، فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال: ثلاثون ألف درهم علي دين فأمر بقضائه، وقال له : تستوصي بابني هذين، ففعل، فشكره وقال: وصلتك رحم، فلما ولى علي قال الخليفة لأصحابه : إنّ هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول: إن هذا الأمر سيصير إلى ولده، فسمع ذلك علي، فالتفت إليه فقال: والله ليكونن ذاك، وليملكن هذان"[٢].

وما يهمنا في هذه الدعوة، القاعدة التي انطلق منها دعاة بني العباس، والحجة التي استندوا عليها في مطالبتهم بالخلافة. إذ تذكر المصادر الأدبية والتاريخية وكتب الفرق، أن العباسيين اعتمدوا في صراعهم مع بني أمية على وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فكانت هذه الوصية الأساس الذي بني عليه العباسيون حقهم في الإمامة أثناء الدعوة[٣].

ويذكر صاحب " أخبار الدولة العباسية" أن محمد بن علي قال لأبي هاشم:[٤]" يا ابن عم، هل لنا في ولد العباس نصيب فيما يذكر من رايات بني هاشم؟ فقال له أبو هاشم: وهل هذا الأمر إلا لكم من أهل بيت نبيكم.فقال له محمد بن علي!وكيف ذاك يا أخي؟ فقال: هل ترى هذا الغلام، يعني إبراهيم! هو صاحب الأمر، حتى إذا يكاد يبلغ الأمر ونازله، نذر به القوم–يعني بني أمية–فيقتلونه، فيكون لك ابنان! عبد الله وعبيد الله، فيملكان ويتناسل الملك في أولادهما"، ويبدو الوضع العباسي في هذه الرواية واضحا، إذ إن النص شكل لإضفاء الشرعية. ونجد في رواية أخرى حديثا مباشرا عن الوصية، فيذكر

---

(١) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص، البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص١٠٨ ، مؤلف من القرن الثالث الهجري: أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري ،و عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة، بيروت ،ص٦٠ .

(٢) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية،ص١٣٩.

(٣) انظر مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية.ص١٦٠، البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص١٠٨. الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص١٢٣،ابو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ص٩٢، الشهرستاني: الملل والنحل.ج١، ص١٣٤،الزبيري: نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال ،ص٧٥ ،حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، ص١٦٩.

(٤) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية، ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاحب أخبار الدولة العباسية تلك الرواية بقوله :[١] " قال عبد الله بن عمير: سمعت سالما يحدث قال: قال محمد بن علي، ودخلت عليه في بيت من بيوته، توفي أبو هاشم في هذا البيت، وقال لي وقد أدنف، ولم أكن أفارقه في مرضه: فإنما عند الله أحسبني لما بي، فأخرج عني من في البيت، فإني أريد أن أعهد إليك. قال، ومعي داود وسليمان ابنا علي وعروة مولانا، فأمرتهم بالخروج، فلما خرجوا قال: يا أخي، أوصيك بتقوى الله فإنها خير ما تواصى به العباد، ومن بعد ذلك، فإن هذا الأمر الذي نطلبه ونسعى فيه وطلبه آخرون وسعوا فيه، فيك وفي ولدك.....". ويذكر البلاذري أن هذه الوصية انتقلت انتقالا طوعيا من أبي هاشم إلى محمد بن علي، إذ قال أبو هاشم لمحمد بن علي:[٢] " إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا، فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الإمام والخلافة في ولدك".

وتذكر المصادر التاريخية والأدبية أن اعتماد العباسيين على وصية أبي هاشم ظل مستمرا حتى أبطلها المهدي، وربط الأحقية بقرابته من العباس بن عبد المطلب، أحق الناس بوراثة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ يقول[٣]: " إن الإمامة كانت للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان أولى الناس به وأقربهم إليه، ثم من بعده عبد الله بن العباس، ثم من بعده علي بن عبد الله، ثم من بعده محمد بن علي، من ثم من بعده إبراهيم ابن محمد، ثم أبو العباس ثم أبو جعفر، ثم المهدي، ثم مدها في ولد المهدي فهي قائمة إلى اليوم".

وعلى الرغم من أن العباسيين كانوا يعتمدون على الوصية في مرحلة الدعوة، إلا أن هنالك إدراكا بدور آل هاشم والعباس في المطالبة بالخلافة[٤]. ويُذكر " أن أهل الكوفة أرسلوا رسولا إلى إبراهيم الإمام فلما قدم عليه أعجبه ما رأى من فهمه وحسن عقله، فسأله عن اسمه ونسبه وكان أبو مسلم يسمى إبراهيم ويكنى أبا اسحق فأخبره باسمه وقال:

---

(١) المصدر السابق.ص١٨٦.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص١٠٨.

(٣) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية.ص١٦٥. الأشعري: مقالات الإسلاميين.ج١، ص٩٢.

(٤) يقول الدكتور حسين عطوان:" لم يكن لولد العباس بن عبد المطلب مطامح في الخلافة، ولكنهم كانوا يحسون انتماءهم إلى بني هاشم، وكانوا حراصا على علاقتهم بأبناء عمهم أبي طالب، شأنهم في ذلك شأن أبيهم، فاستظلوا بعلي بن أبي طالب وأيدوه، لأنهم كانوا يعتقدون أن قيامه بالخلافة رفعة ومجد لبني هاشم من الطالبين والعباسيين (الدعوة العباسية.تاريخ وتطور.ص١٢٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نسبي فإنني مولاك.وذاك أني رجل مَنَّ الله علي بالإسلام، ولم تجر لأحد علي نعمة، فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كنت مولى رسول الله صلى الله عيه وسلم فأنا مولاك، إذ كنت وارثه...."[١]. ويبدو أن أبا مسلم يتحدث عن وراثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقر بذلك في قوله (إذ كنت وارثه).

وعندما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة خطب قائلا[٢]: "زعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم! بِمَ ولِمَ أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصّرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا، ورفع بنا الخسيسة، وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم ودنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله إليه، وقام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصا منها، ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض".

وخطب داود بن علي خطبة قال فيها[٣]: "الحمد لله شكرا شكرا شكرا الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أيها الناس: الآن طلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم..." .

---

(١) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدعوة العباسية، ص٢٥٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٤٢٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٤٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنشد الشاعر أبو نخيلة أرجوزة وصف فيها العباسيين بأنهم أصحاب الحق وربط بين الحق العباسي والرسول صلى الله عليه وسلم، ويمدح أبا العباس السفاح، فيقول[١]:

حتّى إذا ما الأوصياءُ عسكروا وقامَ مِنْ تِبْرِ النَّبيِّ الجوهرُ

ومِنْ بني العباسِ نبــعٌ أصفرُ ينميهِ فرعٌ طيبٌ وعنصــرُ

أقبلَ بالناسِ الهــوى المشَّهــرُ وصاحَ في الليل نهارٌ أنورُ

ولتثبيت مفهوم القرابة والوراثة ألّف الجاحظ رسالتين مهمتين وهما:" فضل هاشم على عبد شمس" و" رسالة العباسية" ،حيث فصّل القول في الميراث ليصل إلــى أن بنــي العباس " يفخرون بأنهم ملكوا بالميراث وبحق العصبة والعمومة، وأن ملكهم في مغــرس نبوة، وأن أسبابهم غير أسباب بني مروان، بل ليس لبني مروان فيها ســبب ولا بيــنهم وبينها نسب، إلا أن يقولوا إنّا من قريش"[٢]، كما أن بني العبــاس أحــق بالخلافــة مــن العلويين لأنهم أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم أولاد عم النبي[٣] فالعمومــة أولى بذلك[٤].

وعلى الرغم من أن العباسيين كانوا يدعون إلى الخلافة في البيت النبــوي، إلا أنهــم كانوا يهدفون إلى جعل الخلافة وراثة في بني العباس، إذ عملوا على تهميش العلــويين[٥] ومحاولة الابتعاد عنهم في صراعهم مع بني أمية، فقد " أوصى محمد بن علي أبا عكرمة السراج، حين وجهه إلى خراسان، أن يبتعد عن غالب النيسابوري، ولا يلقاه وأن يعتــزل مجالسه، ولا يشهد مناظراته في فضل العلويين وحقهم في الخلافة"[٦]، وروي عــن أبــي

---

(١) الأصفهاني: الأغاني.ج١٨، ص١٤٩.

(٢) رسائل الجاحظ.للسندوبي،ص٧٧. وانظر حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ص ٨٠.

(٣) حسين عطوان: المصدر السابق.ص١٠١.

(٤) سخر ابن حزم من نظرية العباسيين في وراثة الملك بقوله:" هذا ليس بشيء، لأن ميراث العباس رضي الله عنه، لو وجب له، لكان ذلك في المال خاصة، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات أنها تورث"(الفصل في الملل والأهواء والنحل.ج٤، ص٩١.).

(٥) كانت هنالك محاولات من بعض رؤساء النقباء بتحويل الخلافة إلى البيت العلوي إذ قام أبو سلمة الخلال بمراسلة بعض أئمــة البيت العلوي كعبد الله بن الحسن بن علي بــن أبي طالــب.انظــر الطــبري: تــاريخ الرســل والملــوك.ج٧، ص٤٢٣. وكذلك،اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي.ج٢، ص٣٤٩.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧ ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هاشم أن محمد بن علي قال له[١]: " حذر شيعتنا التحرك في شيء مما يتحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول وقائمهم مخذول، وليس لهم في الأمر نصيب، وسندرك بثأرهم وسنبتلى بسعيهم، ثم لا يكون ضرر ذلك إلا عليهم".

وحاول الشعراء في مرحلة الدعوة وبداية الدولة أن يعطوا الوراثة بعدا تاريخيا في محاولة لإضفاء الشرعية، فيكون الحدث التاريخي قاعدة للمطالبة بالحق، ففي قصيدة لابن هرمة يرثي فيها الإمام إبراهيم بن محمد ويهنيء أبا العباس السفاح بالخلافة، يستغل الشاعر التاريخ لتثبيت خلافة العباسيين، فخلافتهم متوارثة حتى وصلت أبا العباس السفاح، يقول[٢]:

أمروانُ أولى بالخلافةِ منكمُ ... أصيبتْ إذنْ يُمنى يديَّ فَشُلَّتِ
وأنتمْ بنو عمِّ النبي ورهطُهُ ... فقد سئمتْ نفسي الحياةَ ومَلَّتِ
نَشأنَ المنايا بعدَكُم ثم شأنها ... وشأني إذا طافتْ بنا وأظلّتِ
وقد كان إبراهيمُ مولى خلافةٍ ... بها خضعتْ صعبُ الرقابِ وذلّتِ
وأوصى لعبدِ الله بالعهد بعدهُ ... خلافة حقٍّ لا أمانيَّ ضلَّتِ
فشمَّرَ عبدُ الله لما تجرَّدتْ ... لواقحُ مِنْ حربٍ ذَهولٍ فجلَّتِ

وكما استخدم الأمويون والشيعة أسلوب الاستثناء كي يحافظوا على سلسلة التوارث، حافظ العباسيون على هذا الأسلوب، محاولين أضفاء الشرعية على خلافتهم، فعند مبايعة أبي العباس السفاح خطب داوود بن علي فقال[٣]: "يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا وأرالكم الله ما كنتم تنتظرون وإليه تتشوفون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشأم ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام، ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة فخذوا ما أتاكم الله بشكر

---

(١) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية.ص٢٠٠.

(٢) الديوان ص٧١ ، وانظر مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية، ص٤٠٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤ص١٨٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٤٢٨، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٧، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم، وإن لكل أهل بيت مصرا، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله ابن محمد وأشار بيده إلى أبي العباس...".

وتبدو فكرة ولاية العهد جلية في الفكر العباسي في فترة الدعوة، وظهر مصطلح وليّ العهد تحت مسمى الوصي[١]، ولعل ذلك نابع من افتقاد العباسيين والشيعة للمؤسسة الرسمية التي تعطيهم الحق في إطلاق مسمى ولي العهد، فتذكر المصادر التاريخية أن محمد بن علي جعل ابنه إبراهيم وصيا له يقوم بأمور الإمامة بعده[٢]، وتذكر المصادر التاريخية أن" محمد بن علي قال لميسرة وأبي عكرمة مولى قريش وغيرهما ممن كان مع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، حين عدل أبو هاشم إلى محمد بن علي فأعلمه أنه الإمام: هذا ابني ووصيي والإمام بعدي، فبايعوا محمدا أو إبراهيم على ذلك"[٣]، وعندما شعر محمد بن علي بدنو أجله قال لمجموعة من النقباء[٤]: " ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فإذا حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد، فإني أثق به وأوصيكم به خيرا، فقد أوصيته بكم".

وقد عبّر ابن هرمة عن هذا المفهوم بقوله[٥]:

وقد كانَ إبراهيمُ مولى خلافةٍ ... بها خضعتْ صعبُ الرقابِ وذلَّتِ

وأوصى لعبدِ الله بالعهدِ بعدَهُ ... خلافةُ حقٍّ لا أمانيَّ ضلَّتِ

---

(١) قال الأشعري:" الفرقة التاسعة من الرافضة وهي الثامنة من الكيسانية، يزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، قالوا: وذلك أن أبا هاشم مات بأرض الشراة، فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض"(مقالات الإسلاميين ج١، ص٩٢).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص١٥٧. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٤٢١. مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية.ص٢٣٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٢٢٧.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص١٥٧.

(٥) الديوان:ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

الجـــبـــريـــة

إن أكثر ما كان يقلق بني أمية في أول دولتهم، هو إيجاد قاعدة يستندون إليهـــا فـــي تثبيت حقهم في الخلافة، ولعل مهمتهم كانت صعبة، لأن قاعدتهم كانت أضعف منطلقا من القاعدة الشيعية، الذين انطلقوا من النص والقرابة والأسبقية في الإسلام، فضلا عن أن بني أمية في نظر الكثيرين مغتصبون للخلافة[١]. ومن هنا كان لابد من تشكيل شرعية تمنحهم الحق بالسلطة، لذلك لجأ الأمويون إلى استثمار منظومة دينية سياسية، بشـــرية بتفكيرهـــا وآليتها لكنها دينية في مرجعيتها وقاعدتها، فكانت فكرة الجبر، التي حاولـــت أن توجـــد الشرعية من جهة، وأن تسوغ سياسات الأمويين مع المعارضة من جهة أخـــرى. ولعـــل معاوية بن أبي سفيان أبرز من نظّر لمبدأ الجبر وطبقه[٢]، وفي ذلك يقـــول أبـــو علـــي الجبائي المعتزلي[٣]: " حدث رأي المجبرة من معاوية لما استولى على الأمر، ورآهـــم لا يأتمرون بأمره، فجعل لا يمكنه حجة عليهم، وأوهم أن المنكر لفعله قد ظلمه بترويج مبدأ الجبر".

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة آيات وأحاديث قابلة للتأويل، وتوحي في ظاهرها بالجبر، ولعل نظرة إلى بعض هذه الآيات والأحاديث توضح لنا شيئا مـــن هـــذا التأويل . قال تعالى[٤]:(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) وقوله[٥](وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) وقوله[٦](وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَـــا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٣.ص٣٦٩ ،وانظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي .ج٢.ص٢١٧ . الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج٥.ص٢٧٩

(٢) يذكر الدكتور حسين عطوان أن الجبرية لم يكن لها شأن كبير في الشام إذ لم يذكر من أعلامهم سوى الجعد بن درهم ، انظـــر الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ،دار الجيل، ص٨٣.

(٣) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية، تونس ،ص١٤٣.

(٤) النحل: آية٩٣.

(٥) الانسان:آية٣٠

(٦) القصص:آية٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم "يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم. وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)"[١]. وقال عليه الصلاة السلام: [٢] "احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده. أتلومني على أمر قدر الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟فحجّ آدم موسى".

وبناء على هذه النصوص، عمل بنو أمية على مواجهة المعارضة بالنص، فكان هنالك رؤيتان: رؤية نصية تمثلها الأمويون، ورؤية بشرية تدعو إلى الحرية وتمثلها المعارضة، ومن هنا حاول الأمويون إسكات المعارضة بالنص. فقد كان معاوية ينظر إلى قوله تعالى(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ويقول(معاوية)[٣]: "والله إنه لملك آتانا الله إياه وكان يقول أيضا: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد....".

وبالرجوع إلى التاريخ نلاحظ هذا المَعْلَم الجبري عند عثمان بن عفان ، فعندما عرض عليه (ثوار الأمصار) ترك الخلافة قال[٤]: "ما كنت لأنزع قميصا قمصينه الله" . وعلى الرغم من تشابه النتيجة والآلية بين عثمان ومعاوية، إلا أن هنالك تباينا في الهدف والمنطلق. فعثمان لم يكن بحاجة إلى النص أو فكرة الجبر لكي يضفي على خلافته الشرعية. إنما جاء قوله السابق تعبيرا عن رفض فكرة الخلع، أي جاء ردة فعل للحدث. وأما معاوية فكان في وضع يحتاج فيه إلى فكرة الجبر لإضفاء الشرعية، وليس لمحاولة إقناع المعارضة بعدم الخلع، فهو في محاولة تسويغية للفعل. وظهر هذا التسويغ عندما

---

(١) صحيح مسلم، شرح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الدعوة ، استانبول ،ج٤، ص١٦٢٠.

(٢) صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج٤، ص٢٧٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٢،ص٢١٢.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦.ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد أن يولّي يزيد العهد، فقد قال معاوية لعبد الله بن عمر[١] :"وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ليس للعباد خيرة من أمرهم".

ويتفق بنو أمية على هذه الطبيعة للخلافة، إذ استخدم يزيد بن معاوية هذا المبدأ الجبري في تثبيت حكمه وفي إسكات معارضيه، فعندما تولّى الخلافة قال[٢]: "الحمد لله الذي ما شاء صنع ومن شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع....إذا كره الله شيئا غيّره وإذا أراد شيئا يسره"، وهو يحاول إيجاد صيغة نصية يعتمد عليها في تسويغ قتل الحسين بن علي، فلجأ إلى تسويغات كثيرة كان أهمها الاعتماد على فكرة الجبر، فقال لجلسائه[٣]: "أتدرون من أين أتي هذا (الحسين)، أتي من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء،بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير".

وحاول الأمويون أن يعطوا هذا المبدأ قدسية لا تقبل مناقشة ولا جدالا، وأن الأفعال التي يقوم بها الخلفاء خارجة عن سيطرتهم، بل هي تصرفات إلهية أجريت على يد الخلفاء، ومن هنا كان معاوية بن أبي سفيان، إذا ذكر غلبته لأعدائه قال[٤]: "كيف رأيتم صنع الله ". وهذا المعنى نجده عند حُبَيش بن دَلَجة القيني، قائد الجيش الأموي الذي أرسله مروان بن الحكم للقضاء على حركة ابن الزبير، إذ قال لأهل المدينة المنورة[٥]: "يا أهل المدينة...كيف رأيتم صنع الله بكم" ، وهذا الربط بين الخلافة والقدسية السماوية ظهر عند الشعراء أيضا، فجرير يمدح عبد الملك بن مروان أن خلافته من عند الله فهي مباركة، يقول[٦]:

أنت الأمينُ أمينُ الله لا سَرَفٌ فيما وَلِيتَ ولا هيّابةٌ وَرَعُ

---

(١) ابن قتيبة :الإمامة والسياسة.ج١،ص١٨٧.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥،ص١٢٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٥.ص٤٦٣.

(٤) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال.ص١٤٣.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦،ص٢٩٠.

(٦) الديوان:٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنـــت المباركُ يهدي الله شيعتَهُ إذا تفرّقتِ الأهـــواءُ والشِّيـــــــعُ

يـــا آل مروان إن الله فضّـــلَكُمْ فضلا عظيماً على من دينُهُ البِدَعُ

ومدح الفرزدق بني أمية بأن قوتهم مستمدة من الله، يقول[١]:

أبـــى الله إلا نـــصركم بجنودهِ ولـــيس بمغلوبٍ من الله صاحبُهْ

أبـــى الله إلا أن ملككـــمُ الذي بـــه ثبتَ الدينُ الشديدُ نصـــائبُهْ

ولم يكتف الأمويون بالحديث عن الجبرية في تولي الخلافة، بل حاولوا أن يـــدافعوا عن القرشية من خلال فكرة الجبر، فعندما اعترض أشراف الكوفة على جبروت قـــريش، قال لهم معاوية[٢] " ....إن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل، ولم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وانسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهـــم مروءة. ولم يمتنعوا في الجاهلية، والناس يأكل بعضهم بعضا، إلا بالله الذي لا يستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوأهم حرما آمنا (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِم) هل تعرفـــون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا إلا وقد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة، إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتـــى أراد الله أن ينقذ من أكرم واتبع دينه، من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم أرتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هـــذه الخلافـــة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم،أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم".

ولم يستخدم بنو أمية فكرة الجبر ضد معارضيهم فقط، بل استخدموها ضد بعضـــهم بعضا، فعندما أراد هشام بن عبد الملك خلع الوليد بن يزيد من ولاية العهد كتب إليه الوليد "....فقد كتب إلي من العهد، وكتب إليّ من العمر وسبب لي من الرزق، ما لا يقدر أحـــد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون موته ولا صرفه عن مواقفه المحتومة، فقدر الله

---

(١) الديوان:٨٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٤٢٦-٤٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجري على ما قدّره، بما أحب الناس وبما أكرهوا، لا تعجيل لعاجله، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويعترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليهم"، فرد عليه هشام " ....وأما ما ذكرت مما سببه الله لك، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه، إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضرا ولا نفعا، وإن الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم، وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك من هو أهله في الرضا به"[١].

إن في رد الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك انطلاقا من الاطار النظري الذي صاغه الخلفاء الأمويون لطبيعة الخلافة القائمة على الجبر، مما جعل هشاما يبتعد عن الرد عليه بفكرة الجبر ذاتها؛ لأنه لا يستطيع أن ينقض الأساس الذي قام عليه الحكم الأموي، وحاول هشام أن يلجأ إلى فكرة أخرى تساعده على الرد، فكانت فكرة الاصطفاء التي كما يرى هشام،لم تتوافر في الوليد، فالله أرحم من أن يولي أمر المسلمين فاسقا أو فاجرا.

وعند عمر بن عبد العزيز نظرة غير محددة تجاه فكرة الجبر،فهو في محاورته لغيلان الدمشقي يبدو ناقدا لفكرة الجبر، فقد كان غيلان منكرا على أهل الشام قولهم إن ظلم الولاة والأمراء بإرادة الله ومشيئته، فدخل على عمر بن عبد العزيز وقال[٢]: "إن العامة من أهل الشام زعموا أن الظلم بقضاء الله وقدره، وأنك تقول بذلك، فقال: يا سبحان الله، إنما أتتبع مظالم بني أمية وأردها وأسميها مظالم بني أمية، أفترى أني أظلم الله". ويقول الجاحظ في رسالة فضل هاشم على عبد شمس[٣]: "وكان(عمر) أعظم خلق الله قولا بالجبر حتى يتجاوز الجهمية، ويربي على كل ذي غاية صاحب شنعة، وكان يصنع في ذلك الكتب مع جهله بالكلام وقلة اختلافه إلى أهل النظر، وقال له شوذب الخارجي: لم لا تلعن رهطك وتذكر أباك إن كانوا عندك ظلمة فجرة؟ فقال عمر: متى عهدك بلعن

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك .ج٧.ص٢١٢-٢١٤.

(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنة ريفلد، المطبعة الكاثوليكية،ص١٢١.

(٣) رسائل الجاحظ، للسندوبي، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرعون؟ قال: ما لي به عهد. قال: أفيسعك أن تمسك عن لعن فرعــون ولا يســعني أن أمسك عن لعن آبائي؟".

ولعل أبرز مظاهر الجبرية كانت في الربط الواضح بين تولي الخلافة والمشيئة الإلهية، مما أدى إلى اختفاء الدور البشري حتى دور الخليفة ذاته، فيصبح الخليفة والوالي منفذين للمشيئة الإلهية[١] يقول زياد بن أبيه في خطبته البتراء "...أيها الناس إنا أصــبحنا لكم ساسة ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بالفيء الذي خولنا". ومــن هنا تحدث معظم الشعراء عن هذا الربط المنسجم بين النظرية والتطبيق، وكأن الشعراء- على اختلاف مشاربهم القبلية والدينية-كانوا ينهلون من منبع واحد وقانون واحد، يقتبسون منه المعاني والأفكار.فجرير يرى أن خلافة عبد الملك بن مروان مقدرة، وهي مرتبطــة بالاصطفاء الرباني لشخص الخليفة، وفي ذلك يقول[٢]:

والله قــدّرَ أنْ تكـــونَ خليفةً خيرَ البريةِ وارتضاكَ المُرتضي

أعطاكَ ربُّكَ مِن جزيلِ عطائِهِ مُلكاً كُعوبُ قناتِـــهِ لم تُرفضِ

ويمدح الأخطل عبد الملك بن مروان بأن الله اختاره خليفة رغم كيد الأعداء، يقول[٣]:

قــد جعل الله الخــلافة فيكــمُ بأبيضَ لا عاري الخِوان ولا جَدْبِ

ولــكن رآهُ اللهُ مــوضعَ حقِّها على رغم أعداءٍ وصدَّادةٍ كـــذُبْبِ

ولعل تعطيل الإرادة البشرية، نتيجة مباشرة وطبيعية لمبدأ الجبر، فقد حاول الشعراء أن يقيموا معادلة (غير متكافئة) بين القدرة البشرية والقدرة الالهية، وهم بذلك ساعدوا بني أمية على تحقيق مكاسب سياسة، إذ يسكتون أصوات المعارضة التي لن تستطيع أن تغير ما قضاه الله، ولن يستطيع صوت المعارضة، في الوقت ذاته، أن يجادل القدرة الالهيــة،

(١) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥.ص٢١٧.

(٢) الديوان:٢٥٩.

(٣) الديوان:٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عبر عن ذلك أحد شعراء الأنصـــار مخاطبا مروان بن الحكم عندما ظفر بأهل المرج وقتل الضحاك بن قيس الفهري [١]:

الله أعــطاكَ الــتي لا فَوقَهَا وقــد أرادَ الملحدونَ عَــوْقَها

عــنــكَ ويــأبى الله إلا سَوْقَهَا إلــيكَ حتى قَلدوكَ طــَوْقَهــا

ورأى بعض الشعراء أن فكرة الجبر تعمل على توفير الأمن والطمأنينة للمجتمع يقول جرير[٢]:

فذو العرشِ أعطانا على الكُرهِ والرِّضى إمامَ الهُدى ذا الحكمةِ المتخيّرا

فأضحتْ رواسي المُلكِ في مستقرِّهـــا لمنتجبٍ من آلِ مروانَ أزهَــرا

وربط بعض الشعراء بين الوراثة والجبر. فالأخطل ينفي الدور البشري في استحداث هذه الوراثة،إذ إنها مقسومة لبني أمية، يقول مادحا الوليد بن عبد الملك[٣]:

وكــان ذلــكَ مقسوماً لأوّلهم وراثــةً ورثــوها عن أبٍ فأبِ

ويمدح جرير بني أمية بأن الخلافة في نسلهم لا تذهب إلى غيرهم، يقول[٤]:

إن الــخلافة بــالذي أبــليتُمُ فــيكمْ فــليس لــملْكِها تحويلُ

وحاول الشعراء أن يجعلوا الجبر نابعا من الاحساس الجمعي بضرورة الحل الالهــي للمعضلات، وكأن الجبر هو استجابة لاختيار الأمة، وهذا ما يستنبط من مدح جرير للوليد ابن عبد الملك ، يقول[٥]:

فــلما دعــونا للخليفةِ ربَّنَـــا وكــان الحَيَا تُزجى إليه الضعائفُ

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦،ص٢٦٢، وانظر ديوان جرير :٣٨٠، وديوان عدي بن الرقاع:٢٠٨.

(٢) الديوان:١٨٦، وانظر ديوان الأخطل: ١٦٠.

(٣) الديوان:١٨٤، وانظر ديوان عدي بن الرقاع:٢٠٨.

(٤) الديوان:٣٨٠.

(٥) الديوان:٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتــتنا لكَ البُشرى فقرّتْ عيونُنُا ودارتْ على أهلِ النفاقِ المخاوفُ

إن هذه الرؤية الأموية المبنية على الفكر الجبري، عملت على ظهور أفكار وتيارات تنادي بالحرية الفكرية وحرية الإرادة الإنسانية[١]، فقد ظهرت أصوات فردية وجماعيــة تنادي بهذه الحرية وتنتقد سياسة الأمويين الجبرية. فعندما قال معاوية بن أبي ســفيان[٢]: "لقد أكرم الله الخلفاء أفضل كرامة، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنة وجعل أنصــارهم أهل الشام، قال (له) صعصعة بن أبي صوحان: تكلمت فهجرت وليس الأمر كما ذكرت، أنى يكون خليفة من ضرب الناس قسرا وخدعهم مكرا وساسهم جبرا".

وأدرك المجتمع الإسلامي هذا الضغط الكبير الذي أنتجه مبدأ الجبر الــذي ســوّغ للأمويين أفعالهم، مما أدى بمعبد وعطاء بن يسار إلى أن يذهبا إلــى الحســن البصــري ويسألاه:" يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ويفعلون ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر، فقال: كذب أعداء الله "[٣].

وكما اعتمد بنو أمية على النص في تشكيل فكرة الجبر، فإن المنــادين بالحريــة الإنسانية لجأوا إلى المصدر ذاته[٤]، فقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تعطي مظهرا لحرية الإرادة الإنسانية. فقد قال عز وجل[٥]:(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَــا

---

(١) لقد تنوعت آراء الباحثين في مصدر القول بالحرية الانسانية، فمنهم من أرجعه إلى أصول يونانية ونصرانية. انظــر: تــاريخ العرب، فيليب حتي، ص٣٠٩/تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ج١، ص٢٥٦/الحيــاة العلميــة في بــلاد الشــام.ســيل، ص١٥/علوم اليونان وانتقالهما إلى العرب.أوليري.ص١٩٤. ومن الباحثين من أرجع القول بالحريــة الانســانية إلى أصــول اسلامية: ضحى الاسلام أحمد أمين، ج١، ص٣٤٥. (انظر رؤية نقدية لهذه الآراء في كتاب الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، حســين عطوان.ص٢٧-٥٠).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥.ص١٢٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر،ص٤٤١.

(٤) على الرغم من توافر النص الذي يدعم آراء القدرية والمعتزلة، إلا أنهم انطلقوا انطلاقا تاريخيــا ثم اخضــعت لــه الأفكــار والنصوص. فتمسك الأمويين بالجبر أدى بالقدرية والمعتزلة إلى أن يقولوا " إن أفعال العباد من تصرفهم وقيــامهم وقعــودهم حادثة من جهتهم، وإن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعــل لهــا ولا محــدث ســواهم" (المغــني. القاضــي عبــد الجبار.ج٨.ص٣) وقال غيلان:" إن العبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية، وهو المجازي على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك" (الشهرستاني: الملل والنحل.ج١.ص٥٤).

(٥) فصلت: آية٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وقال[١]:(إِنَّا خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً. إنّا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا). ولقد وردت أحاديث نبوية تتحدث عن مسؤولية الانسان عن أفعاله، كقوله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة أم المؤمنين، وقد قالت لما وقع إناء من يدها وهي تصب عليه فانكسر[٢]: "الأمر مفروغ منه، فغضب عليه السلام وقال: إن كان الأمر مفروغا منه فلأي شيء بعثت، ولأي شيء بعث الأنبياء".

ويتفق الباحثون على أن فرقة القدرية، هي أبرز من حمل رسالة الحرية في الإرادة والاختيار[٣]، وهي في آرائها وتنظيراتها تشكل منظومة مناقضة لمنظومة الجبر. وتمثل القدرية بذلك الخط (الحيوي) الفعال، فهي في تطورها انشقاق عن المرجئة الخالصة[٤]، إذ لم تجد في فكر المرجئة الخالصة ما يلبي حاجة المجتمع المتعطش إلى المساواة والحرية والاصلاح. ومن هنا فقد انتقلت القدرية من مرحلة الوعي السالب[٥] إلى مرحلة الوعي الايجابي، ووصل الوعي إلى ذروته عند المعتزلة، وتعرض رموزها، لأجل هذا التطور في الوعي إلى القتل، فقد قتل معبد الجهني على يد الحجاج زمن الوليد[٦]، وقتل غيلان الدمشقي على يد هشام بن عبد الملك[٧]، وهذا يدل على ما كان يصوغ القدرية من فكر يشكل خطرا جسيما على الأمويين[٨]، إذ كانوا ينتقدون سياسات بني أمية وممارستهم المعتمدة على مذهب الجبر، إذ يقول غيلان الدمشقي في رسالة بعثها إلى عمر بن عبد العزيز".... فهل وجدت يا عمر حكيما يعيب ما صنع أو يصنع ما يعيب

---

(١) الانسان: الآيتان٢-٣.

(٢) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال.ص١٤٢.

(٣) هنالك بعض فرق الخوارج نادت بحرية الارادة كالشعيبية والحمزية والميمونية (الملل والنحل.ج١.ص١١٦).

(٤) لقد ذكر الدكتور حسين عطوان في بحثه (المرجئة بخراسان في العصر الأموي) المصادر التي تحدثت عن المرجئة وفرقها .كما ذكر الدكتور حسين عطوان في كتابه (الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي) الأحاديث التي اعتمدت عليها المرجئة في تشكيل رؤيتها الفكرية والسياسية. انظر ص١٦-٢٣.

(٥) لقد تنبه القدماء إلى الدور السلبي للمرجئة، فقد قال زيد بن علي:" أبرأ من القدرية الذين حملوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساد في عفو الله" انظر القاضي عبد الجبار:فضل الاعتزال، ص١٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق صلاح الدين المنجد، وإبراهيم الابياري ، دار المعارف، مصر، ج٤، ص ١٨٧.

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٨،ص٣٩٠. الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧.ص٢٠٣.

(٨) لعل دورهم الفعال في اسقاط خلافة الوليد بن يزيد، صورة صادقة لهذا الخطر، انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧.ص٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو يعذب على ما قضي أو يقضي ما يعذب عليه. أم هل وجدت رشيدا يدعو إلى الهدى ثم يصد عنه؟ أم هل وجدت رحيما يكلف العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة؟ أم هل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم...."[١]، فغيلان يحاول إقناع عمر أن الله لا يمكن أن يضع نتيجة مغايرة للأفعال، فلا يمكن أن يأمر بالعدل ويضطر العباد إلى الظلم، وفي هذا نقض للتفكير الجبري الذي كان يسيطر على الأمويين.

ولم تكتف القدرية بأسلوب النصيحة والحوار في نقدهم لبني أمية بل تطور النقد إلى المواجهة، فقد روي أن " هشاما قال لغيلان الدمشقي: زعمت أن ما في الدنيا ليس هو عطاء من الله لنا، فقال له غيلان: أعوذ بجلال الله أن يأتمن خوانا أو يستخلف الخلفاء من خلقه فجارا"[٢]، وبهذا فإن القدرية اتبعت النصوص النبوية في عملية التغيير والإصلاح، حيث التغيير بالقلب واللسان واليد.

وتعاملت القدرية مع وجهات النظر الأموية تعاملا أحادي النظرة وذا توجه واحد، ورأت أن المسألة تتعلق بوجود الفكر، ومن هنا انتشرت على ألسنة القدرية صيغ الرفض والنقض، فهذا غيلان الدمشقي يرفض مبدأ الاستخلاف الإلهي، الذي يعد شكلا من أشكال الجبر، فعندما قال له هشام بن عبد الملك[٣]: "أنت القائل: إن الله ما ولاّني ولا رضي ما أنا فيه"، قال له غيلان: "هل رأيت أمينا ولي الخائنين أمانة، أم هل رأيت مصلحا ولي المفسدين إصلاحا"، ويبدو أن غيلانا نظر إلى خلافة بني أمية فرأى أنها جاءت انتزاء، ولم تؤخذ بالاختيار والانتخاب الحر، فهم بذلك أئمة ضلال وجور، وهذا الفهم لطبيعة الخلافة الأموية هو الذي جعل غيلان، عندما خُوِّل ببيع أمتعة بني أمية، يقول[٤]: "هلمّوا إلى متاع الخونة، هلمّوا إلى متاع الظلمة، تعالوا إلى متاع من خلف الرسول في أمته بغير سيرته وسنته..." .

---

(١) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال.ص٢٣٠.

(٢) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال. ص٢٣٣.

(٣) المصدر السابق.ص٢٣١.

(٤) فضل الاعتزال، ص٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا التنامي في الوعي عند القدرية، ومحاولتها تشكيل سلطة تكون فيها الفكرَ والتطبيقَ[١]، هو الذي جعل مروان بن محمد يقول[٢]: "لم أشبه محمدا ولا مروان، غير إن رأيت غيرا، إن لم أشمر للقدرية إزاري وأضربهم بسيفي جارحا وطاعنا"، ذلك لأن القول بحرية الإرادة الإنسانية يهدد ملك بني أمية.

وظهر الإدراك الكبير لخطورة القول بحرية الارادة الانسانية، من رسالة عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري، يستطلع رأيه في القدر[٣]، إذ يقول فيها: "قد كان أمير المؤمنين يعلم منك صلاحا في حالك، وفضلا في دينك، ودراية للفقه، وطلبا له، وحرصا عليه، ثم أنكر أمير المؤمنين هذا القول من قولك، فاكتب إلى أمير المؤمنين بمذهبك والذي تأخذ أعن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عن رأي رأيته، أم عن أمر يعرف تصديقه؟ فإنّا لم نسمع في هذا الكلام مجادلا ولا ناطقا قبلك"[٤] فرد عليه الحسن البصري بقوله[٥] "...واعلم يا أمير المؤمنين أن الله لم يجعل الأمور حتما على العباد، ولكن قال إن فعلتم كذا فعلت بكم كذا، وإن فعلتم كذا فعلت بكم كذا، وإنما يجازيهم بالأعمال...ولكن الله قد بيّن لنا من قدم لهم ذلك، فقال:وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا)، فالسادات والكبراء هم الذين قدموا لهم الكفر وأضلوهم السبيل بعد أن كانوا عليها، لإن الله تعالى يقول (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)، فقل يا أمير المؤمنين كما قال الله: (فرعون الذي أضل قومه)، ولا تخالف الله في قوله، ولا تجعل مع الله إلا ما رضي لنفسه فإنه قال (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى، وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى)، فالهدى من الله والضلال من العباد...فإنهم أيها الأمير ما أقوله، فإن ما نهى الله فليس منه لأنه لا يرضى ما يسخط من العباد، فإنه تعالى يقول: (وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

---

(١) هذا الأمر تحقق عندما استلم يزيد بن الوليد الخلافة.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٢٨١

(٣) انظر الرسالتين في مجلة Der Islam الألمانية، المجلد (٢١) سنة ١٩٣٣. وانظرهما في رسائل العدل والتوحيد، محمد عمارة ، إحسن عباس: الحسن البصري.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد.ج٢.ص٣٣٧، احسان عباس :الحسن البصري، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٧٢-١٧٥.

(٥) احسان عباس: الحسن البصري.ص١٧٢. رجح الدكتور خليل أبو رحمة بإثبات نسبة هذه الرسالة إلى الحسن البصري إذ ناقشها سندا و متنا (انظر مجلة دراسات (العلوم الانسانية والاجتماعية)، الجامعة الأردنية المجلد ٢٤، العدد(١)، ص٨١-١٠٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) فلو كان الكفر من قضائه وقدره لرضي من عمله...والقوم ينازعون في المشيئة، وإنما يشاء الله الخير، قال تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ). واعلم أيها الأمير أن المخالفين لكتاب الله وعدله يخرصون في أمر دينهم بزعمهم على القضاء والقدر، ثم لا يرضون في أمر دنياهم على القضاء والقدر".

وهذه الرسالة ترى أن الفساد من فعل البشر، وجاء التركيز على على فعل السادات والكبراء، كألفاظ معبرة عن الحكام، وبذلك عمل على تشكيل صورة مناقضة للرؤية الجبرية التي كان الأمويون يرتكزون عليها في تسويغ أفعالهم[١]. وبهذا عملت الرسالة على توضيح مسؤولية الحكام عن الظلم الذي يقع على المسلمين، وهذا فيه خطورة كبيرة على الأمويين. ولعل اتّساع دائرة الحديث عن الحرية عند القدرية وغيرها، هو الذي أوجد عند الأمويين حديثا أوسع عن الطاعة والفتنة.

(١) كان الوليد بن عبد الملك يقول:" لا ينبغي لخليفة أن يناشد ولا يكذب ولا يسميه أحد باسمه " انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٩٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

الشـــــورى

نظر المجتمع الإسلامي إلى الخلافة على أنها ذات طبيعة شورية، ولعل بدايات هذه النظرة، نشأت عند عمر بن الخطاب حين قال[١]: "إن رجالا يقولون: إن بيعة أبـــي بكـــر كانت فلتة وقى الله شرها. وإن بيعة عمر كانت عن غير مشورة، والأمر بعدي شورى"، فاختار ستة رجال لتحقيق هذا الهدف. وحاول بعض الخلفاء أن يستغل الشورى في تثبيت شرعية خلافته، ولعل الرسالة التي بعثها عثمان بن عفان إلى معارضيه، مثال على ذلك، فهو خليفة جاء عن طريق الشورى[٢]. والناظر إلى التاريخ العربي الإسلامي يرى تشكلا مهما في رؤية المجتمع الإسلامي للخلافة، إذ خُوّل مجتمع المدينة المنورة مهمة اختيـــار الحاكم، فكان المجتمع المدني مجتمع الشورى. ومما يدل على ذلك أن (الثوار) في الفتنـــة طالبوا المجتمع المدني باختيار الخليفة، حيث قال لهم (الثوار)[٣]: "أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلا تنصبونه، ونحن لكم تبع".

ويبدو أن المجتمع الإسلامي أوجد فكرة مهمة فيمن يتـــولى الخلافـــة كاســـتبعاده الطلقاء الذين عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة عن الخلافة، فقد قـــال عمر بن الخطاب[٤]: "إن هذا الأمر (الخلافة) لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء"، وفـــي رسالة بعث بها علي بن أبي طالب إلى معاوية، قال فيها[٥]: "اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى"، وقال سعـــد بـــن أبي وقاص في رسالة لـــه إلى معاوية[٦] "أما بعد، فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحـــل لـــه الخلافـــة مـــن

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص١١٩، ص١٢٧.

(٢) سيف بن عمر: الردة والفتوح ، تحقيق قاسم السامرائي. دار أمية، الرياض، ص٦٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٤، ص٤٣٤.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٠، ص٤٣٤.

(٥) المنقري: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ص٢٩.

(٦) المنقري: وقعة صفين.ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قريش"[١]، ولعل هذا المظهر الشوري أوجد ردة فعل عند الأمويين الذين حاولوا أن ينقلوا الشورى إلى الشام كما نقلوا الخلافة، فقد قال معاوية في رسالة بعث بها إلى علي بن أبي طالب[٢]: "كان أهل الحجاز الحكام على الناس وفي أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام".

ولم تسر ممارسة الشورى في العهد الراشدي على نهج واضح محدد ومنظم. ولعل هذا الغموض في آلية التعامل مع الشورى راجع إلى طبيعة المرحلة السياسية الانتقالية للتفكير العربي، إذ انتقل العربي من المرحلة العربية ، بكل عاداتها وتقاليدها ونظمها، إلى المرحلة الإسلامية النابعة من مصدر إلهي. فكان لزاما على الفكر العربي أن يساير التيارين، بما لا يتعارض مع أسس المرحلة الجديدة. ومن هنا فإن هذا النظام الشوري "امتزاج للتقاليد العربية بالروح الإسلامية أو بتعبير أدق تأثير التقاليد العربية في الروح الإسلامية، ففكرة الانتخاب مأخوذة من التقاليد العربية، ولكن فكرة استناد الخليفة إلى موافقة الناس كافة عليه، لا إلى موافقة أسرته وقبيلته فكرة إسلامية. ثم إن فكرة أن الله هو مصدر السلطة، وضرورة بيان رأي الأمة في المرشح فكرة إسلامية"[٣]، ومن هنا فإن تجربة الشورى في العصر الراشدي كانت "في طور التجريب والتكوين ولم تبلغ طور الكمال والرسوخ"[٤].

وعندما شعر الأمويون أنهم بحاجة إلى ركائز تدعم شرعيتهم ووجودهم وخلافتهم، عملوا على استغلال مبدأ الجبر الذي يناقض الشورى، ويبدو أن بداية الدولة الأموية كانت تشهد حربا خفية، وهذه الحرب كانت حرب(مصطلحات ومفاهيم). فأزمة الشرعية عملت على انتاج أزمة لا تقل أهمية عن أزمة الشرعية ذاتها وهي أزمة (المصطلح). ولعل المحاورة التي دارت بين سعد بن أبي وقاص ومعاوية بن أبي سفيان مثال واضح على هذه الأزمة، فقد دخل سعد يوما على معاوية فقال[٥]: "السلام عليك أيها الملك، فغضب

---

(١) انظر الفكرة ذاتها على لسان ابن عباس في رسالة له إلى معاوية (البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥، ص١١٥).

(٢) المنقري:وقعة صفين، ص٨٥.

(٣) الدوري: النظم الإسلامية ص ٣٤.

(٤) حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي، ص١٣٠.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاوية وقال: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال ذلك إذا كنا أمرناك، إنما أنت منتز".

إن النص السابق يوضح أن هنالك وعيا كبيرا بمفهوم الملك كمصطلح له دلالته السلبية والمرتبط باغتصاب الشيء[١]، ولعل هذا ما أوضحه سلمان الفارسي لعمر بن الخطاب، عندما سأله عمر "أملك أنا أم خليفة، فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك لا خليفة"[٢].

والراجح أن خلافة بني أمية لم تكن شورية بمعناها الإسلامي من حيث الفوز بها، إلا أننا لا نعدم تنظيرات وتطبيقات أموية لمفهوم الشورى.و البداية كانت عند معاوية حينما طالب بالشورى، إلا أن هذه المطالبة بالشورى كانت تسير جنبا إلى جنب مع المطالبة بدم عثمان[٣]، وفي هذا يقول معاوية في رسالة كتبها إلى عبد الله بن عمر "إني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك، فإن أبيت، كانت شورى بين المسلمين"[٤]، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص "إن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش. الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير، وهما شريكان في الأمر، ونظيراك في الإسلام. وخفت لذلك أم المؤمنين، فلا تكرهن ما رضوا، ولا تردّن ما قبلوا، فإنا نردها شورى بين المسلمين"[٥]، وكتب إلى أهل مكة والمدينة "إنه مهما غاب عنا، فإنه لم يغب عنا أن عليا قتل عثمان، والدليل على ذلك أن قتلته عنده، وإنما نطلب بدمه حتى يدفع إلينا قتلته، فنقتلهم بكتاب الله تعالى، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه، وجعلناها

---

(١) قال ابن خلدون: "واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر" (المقدمة :ابن خلدون،ص٢٤٤.). ويقول أحد الشعراء بعد موت معاوية الثاني:

إني أرى فتنا تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٩.) وانظر قول صعصعة بن صوحان لمعاوية " من ملك استأثر" (البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥، ص٢٧).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٠، ص٣٦٠

(٣) انظر مكاتبات معاوية حول شورية الخلافة (حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي.ص٣-٢٥).

(٤) سيف بن عمر: وقعة صفين، ص٧١، وانظر ابن أعثم: الفتوح.ج٢، ص٤١٩.

(٥) سيف بن عمر: وقعة صفين، ص٧٤، وانظر ابن أعثم: الفتوح .ج٢، ص٤٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب. فأما الخلافة فلسنا نطلبها. فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم"[١].

ووعى الفرزدق هذا الربط بين المطالبة بدم عثمان والشورى، فقال[٢]:

خلافةٌ لمْ تكنْ غَصباً مــشورتُها أرسى قواعــدَهُ الرحــمنُ ذو النِّعمِ

كانت لعثمانَ لم يظلمْ خــلافَتَها فــانتهكَ الناسُ منه أعظــمَ الحــرمِ

إن النصوص المتقدمة توحي بنوعية الفكر الذي مارسه معاوية، وهو أقــرب إلــى الرؤية العامة لطبيعة الخلافة، ولعل معاوية مارس هذا الدور؛ لأنه لم يكن فــي مركــز السلطة. وهو في النصوص المتقدمة لا يهدف إلى توسيع دائرة الشورى، وعلى الرغم من أنه كان يستخدم صيغة الخطاب العام من خلال مصطلح (المسلمين) إلا أنه كــان ضــيق النظرة، من خلال الحديث عن صيغة الشورى العمرية. وعلى الرغم مــن هــذا الميــل الشوري عند معاوية إلا أنه هدم تنظيراته باستحداثه لمبدأ الجبر وولاية العهد.

إن المصادر التاريخية تشير إلى أن بعض خلفاء بني أميــة حــاولوا أن يجعلــوا الخلافة شورى بين المسلمين وهذا ما نجده عند معاوية بن يزيد بن معاوية[٣] وعمر بــن عبد العزيز الذي قال[٤]:" لو كان لي من الأمر شيء لجعلتها شورى بين القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وصاحب الأعوص".

---

(١) سيف بن عمر: وقعة صفين، ص٦٣، ابن أعثم: الفتوح.ج٢، ص٤١٦.

(٢) الديوان،ص٥٣٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦، ص٢٦٠.

(٤) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (انظر ابــن ســعد: الطبقــات الكــبرى.ج٥، ص١٨٨-١٩٥.) وصاحب الأعوص هو اسماعيل بن أمية بن عمر بن سعيد بن العاص.كان متفرغا للعلم وهو من جلة أهــل المدينة (انظر ترجمته في نسب قريش، ص١٨٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مؤتمر الجابية، كانت هنالك محاولة شامية للسير على مبدأ الشورى الداخلية والخارجية[١]، فقد كان هنالك عدة مرشحين للخلافة، يتفاوتون في انتماءاتهم السياسية، فهنالك مروان بن الحكم وابن الزبير وابن عمر وخالد بن يزيد[٢]، وبعيدا عن التفاصيل الداخلية لمؤتمر الجابية، وعن الثقل القبلي الذي ساند مروان بن الحكم، تظل هذه المحاولة خطوة هامة من خطوات السير على طريق الشورى في العصر الأموي، إلا أن هذه المحاولة المروانية قضي عليها، عندما عقد مروان بن الحكم البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز، فمروان لم يكتف بالعهد لولد واحد كما فعلت الأسرة السفيانية، بل عقد لولدين حتى تبقى الخلافة وراثية في أسرته، كما أنه استفاد من التجربة السفيانية التي تركت فراغا كاد أن يقضى على الدولة الأموية.

وتُعد خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أهل دمشق سنة ١٢٦هـ دعوة للشورى، وإن لم تأت هذه الدعوة بالصيغة التقريرية فهو يقول[٣]: "... أيها الناس، إن لكم علي إلا أضع حجرا على حجر، ولا لبنة على لبنة ولا أكري نهرا ولا أكثر مالا، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة، حتى أسد ثغر ذلك البلد، وخصاصة أهله بما يعينهم، فان فضل نقلته إلى البلد الذي يليه، ممن هو أحوج إليه، ولا أجمركم في ثغوركم، فأفتنكم، وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم، فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم، ويقطع نسلهم، وان لكم أعطياتكم عندي في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن وفيت لكم بما قلت، فعليكم السمع والطاعة، وحسن المؤازرة. وإن أنا لم أف، فلكم أن تخلعوني إلا أن تستيبوني، فإن تبت قبلتم مني، فإن علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم، فأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته...".

---

(١) يرى الدكتور صالح العلي أن الأمويين اقتبسوا أسلوب الشورى الجماعية في مؤتمر الجابية من فكرة (الملأ) المكي، حيث كان يجتمع زعماء قريش لبحث الأمور المختلفة التي تهم أهل مكة، وكان المجتمعون من كبار السن وذوي النفوذ في عشائرهم" انظر (صالح العلي :محاضرات في تاريخ العرب ،ص ١٥٥. مطبعة المعارف.بغداد.سنة ١٩٥٩).

(٢) انظر تفاصيل المؤتمر في البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦، ص٢٦٠-٢٦٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و كتب يزيد بن الوليد رسالة إلى أهل العراق، حين ولّى عليهم منصور بن جمهور الكلبي سنة ١٢٦هـ، ذكر فيها أنه عرض على الوليد بن يزيد أن تكون الخلافة شورى فرفض. يقول يزيد[١]: "بعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها: البخراء، فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى، ينظر المسلمون لأنفسهم من يقلدونه ممن اتفقوا عليه، فلم يجب عدو الله إلى ذلك....".

ويتباين موقف يزيد بن الوليد النظري من مسألة الشورى مع تطبيقه العملي، ويرى الدكتور حسين عطوان أن الروايات التي تحدثت عن هذا التضارب بين النظرية والتطبيق عند يزيد بن الوليد، هي روايات عراقية وشامية، والروايات العراقية تثبت أن يزيد عمل بنظام ولاية العهد، بينما ترى الروايات الشامية أنه لم يقم بتثبيت نظام ولاية العهد. ويرجح الدكتور حسين عطوان الرواية العراقية في ذلك؛ لأن يزيد كان يقع تحت ضغط قبلي ممثل في اليمنية، وفكري ممثل في القدرية، وكلاهما يحاول أن يحافظ على وجوده واستمراريته من خلال ولاية العهد[٢].

و ظهرت رؤى متباينة في البيت الأموي كان الحديث عن الشورى محورها، فهنالك رؤية لمعاوية بن يزيد، ورؤية لعمر بن عبد العزيز.وكان هنالك تباين واضح بينهما، وهذا التباين ممثل في الخطب والمحاورات التي دارت على لسانيهما.

قال أبو أسماء السكسكي[٣]: "كان معاوية بن يزيد يظهر التأله، وكان ضعيفا في أمر دنياه، فكني أبا ليلى، فلما أفضى الأمر إليه، قام خطيبا فقال: أيها الناس، إن يكن هذا الأمر خيرا، فقد استكثر منه آل أبي سفيان، وإن يكن شرا، فما أولاهم بتركه. والله ما أحب أن أذهب إلى الآخرة وأدع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بن مالك، وتشاوروا في أمركم، عزم الله لكم على الرشد والخيرة في قضائه"، وعندما سئل عن العهد والاستخلاف

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٢٧٦.

(٢) انظر الروايات في كتاب: الشورى في العصر الأموي.ص٣١٤-٣١٦.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٨١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٥، ص٥٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال[١]: " والله ما نفعتني حيا، فأتقلدها ميتا! وإن كان خيرا، فقد استكثر منه آل أبي سفيان، لا تذهب بنو أمية بحلاوتها، وأتقلد مرارتها، والله لا يسألني الله عن ذلك أبدا".

إن رؤية معاوية بن يزيد في النص السابق، رؤية ناقصة ولم يكن هناك تفكير بالجماعة، فقد غلّب المصلحة الذاتية على المصلحة العامة، فالخلافة علاقة بين طرفين هما الحاكم والرعية، ولعل البحث عن الإمام، من أهم القضايا التي يجب أن تحدد وتوضع في مسارها الصحيح، وعلى الرغم من أن خطاب معاوية بن يزيد كان، في طويته، اعتراضا على النهج الأموي في الخلافة، إلا أنه قام بتحليل الظاهرة، ولم يضع الحلول الناجعة لها، مما سيؤدي إلى تفرق الكلمة والشمل، ومن هنا كانت محاولة معاوية صورة من صور الوعي السالب.

و كانت رؤية عمر بن عبد العزيز، أكثر وعيا وتحملا للمسؤولية، فعمر يمثل الوعي الايجابي في التعامل مع الشورى، فهو لم يترك المجتمع هملا دون راع[٢]، لأنه يعي أهمية الإمام في ضبط الأمور، ومن هنا نعي فرقا واضحا بين الرؤيتين. فمعاوية بن يزيد لم يحدد شيئا وكان أقرب إلى النكوص وعدم مواجهة الأمر. فجاءت رؤيته مضطربة وشائكة، بينما الرؤية العمرية محددة، وإن كانت هذه الرؤية قد تعرضت للنقد لأنه أبقى على يزيد بن عبد الملك[٣]، إلا أنها رؤية محددة ومهيئة للمجتمع، لا تصل بالرعية إلى مرحلة الفتنة التي وصلها المجتمع من خلال رؤية معاوية، قال عمر بن عبد العزيز عند احتضاره: [٤] " لو اخترت للإمامة غير يزيد كان أولى، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع في ذلك فتنة وفرقة، وأنا أولّي سليمان ما تولّى، والمسلمون أولى بالنظر في أمرهم".

إن الناظر إلى الثورات التي قامت في العصر الأموي، والباحث في منطلقاتها، سيجد أن جميع هذه الثورات، قد نادت بشورية الخلافة، كثورة مُطَرّف بن المغيرة بن شعبة سنة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية.ج٨، ص٢٣٧.

(٢) انظر خطبته في الطبقات الكبرى،ج٥، ص١٨٨.

(٣) انظر بهذا الشأن محاورة الخوارج لعمر بن عبد العزيز (البلاذري: أنساب الأشراف.ج٨، ص٢١٥).

(٤) انظر.البلاذري: أنساب الأشراف.ج٨، ص٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٧هـ[١]، الذي كتب إلى بكير بن هارون البجيلي" أما بعد فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى جهاد من عاند الحق واستأثر بالفيء وترك حكم الكتاب، فإذا ظهر الحق ودفع الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضا". وكذلك ثورة عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٨٣هـ[٢]، وثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠١هـ[٣].

وكان الموالي أكثر فئات المجتمع حاجة إلى الشورى، إذ إن الدولة الأموية جارت عليهم بعض الجور، وتعامل الأمويين مع الموالي لم يكن بتلك الصورة القاتمة التي هي نتاج رؤية استشراقية[٤]. و شعور الموالي بالدونية أدى بهم إلى تأييد معظم الثورات، فقد أيدوا ثورات الخوارج وكانوا أنصارا لأبي مريم وابن الماحوز الخارجيين، كما ساندوا ابن الأشعث والحارث بن سريج ويزيد بن المهلب[٥]. وقام المختار بتقريبهم، وعندما عاتب أشراف الكوفة المختار الثقفي على هذه المحاباة قال: " لا يبعد الله غيركم، أكرمتكم فشمختم بأنوفكم، وليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع إلى منكم وأوفى وأسرع إلى ما أريد"[٦].

ولم تكن للموالي أطماع في الخلافة أو تولي المناصب العليا[٧] بل كان تركيزهم على المناداة بالعدل والمساواة، وهذا ما عبر عنه أبو حرّة مولى خزاعة، معاتبا ومعبرا عن خيبة أمله في ابن الزبير[٨]:

---

(١) (انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٢٨٧. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص٣٩٩-٤٠٦.)

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٥٨، ج٨،ص١٦.

(٣) المصدر السابق.ج٦، ص٥٩٢.

(٤) انظر هذه الصورة القاتمة في كتاب (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية. فان فلوتن.ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم. ص٣٥-٤٤. ط. ١٩٣٤).

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال،ص٣٠٦.

(٦) المصدر السابق ،ص٣٠٦.

(٧) هنالك استثناءات في ذلك، فعبد ربه الصغير تولى أمر الخوارج وهو من الموالي.(الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٣٠٠).

(٨) المسعودي: مروج الذهب.وضع فهارسه اسعد داغر، دار الاندلس، بيروت ،ج٣، ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ الموالِيَ أمستْ وَهْيَ عاتبةٌ على الخليفةِ تشكو الجُوعَ والسَغَبَا
مــاذا علينا وماذا كانَ يرزَؤُنا أيُّ الملوكِ على ما حولنا غَلَبــا
نعاهدُ الله عهداً لا نَخيسُ بــهِ لن نقبلَ الدهرَ شورى بعدَ مَنْ ذهبَا

إن الناظر إلى الأحزاب والفرق الإسلامية، يلاحظ نظرات متباينة تجاه آلية الشورى وحدودها المكانية، وصيغت هذه النظرات في سؤال كبير، فيمن تكون الشورى؟ والإجابة عن هذا السؤال يتطلب نظرا في أدبيات هذه الأحزاب والفرق، للخروج بنظــرة محــددة توضح موقف كل حزب وفرقة.

فقد ركز الشيعة على حصر الخلافة في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي ولد علي خاصة، أي حصرها في أسرة واحدة من أسر قريش، والمحاورة التي جــرت بــين مصعب بن الزبير وأصحاب المختار الثقفي تدل على هذا المظهر الشورى، فعندما ولــي مصعب بن الزبير البصرة لعبد الله بن الزبير. قال لأصحاب المختار[١]: " إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبيــر، فقــال الآخــرون (أصحاب المختار): إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار، وأن نجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ". وكان زيد بن علي إذا بويــع قال[٢]: "أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والــدفع عــن المستضــعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، ورد المظالم وإقفال المجمرة، ونصــرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب" .و في عبارة (نصرنا أهل البيت على من نصــب لنا الحرب) تعبير مباشر وتقريري عن حصر الخلافة في بيت النبوة، ونستطيع القول إن الرؤية الشيعية في هذه القضية لا تختلف عن الرؤية الأموية، فكلتا الرؤيتين لجأت إلــى تعطيل الإرادة الإنسانية لكي تبقى الخلافة وراثية في أسرته، والاختلاف بينهما كامن في تفاصيل المبدأ وآليته، وليس في المبدأ ذاته، فهما تتفقان على عدم شورية الخلافة.

---

(١) النويري :نهاية الأرب،تحقيق محمد علي البجاوي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ج٢١،ص٤٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٣، ص٤٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الزبيريون، فإنهم في بداية أمرهم، وقبل أن يدعو عبد الله بن الزبير إلى نفسه، كانوا يرون الخلافة شورى ولكنها في قريش عامة وليست في أسرة بعينها، فعندما قدم معاوية المدينة محاولا أخذ البيعة ليزيد، قال له ابن الزبير[١]: "إن هذه الخلافة لقريش خاصة، تتناولها بمآثرها السنية، وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء". وكانت هذه الدعوة إلى قرشية الخلافة، مرتبطة بالشورى، فقد ذُكر أن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير "يدعوه إلى بيعته، فكتب ابن الزبير يدعوه إلى الشورى"[٢]، وقال البلاذري[٣] "قال نافع بن جبير النوفلي: إن ابن الزبير لم يدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع : كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه، وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى". وفيما رواه البلاذري ما يوحي بالتناقض بين التنظير والتطبيق عند ابن الزبير، فقد ذكر" المدائني عن علي بن حماد قال "قال مصعب بن الزبير لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن أنسيت حق الله عليك في هذا الأمر؟ قال نعم، كتبت إلى عبد الملك آمره بتقوى الله، وأن يكف نفسه، فكتب إلي: أنا أخرج نفسي إن أخرج ابن الزبير نفسه ويجعل الأمر شورى، وكتبت إلى أخيك فكتب إلي، إنك لست من هذا الأمر في شيء"[٤].

ويبدو أن الزبيريين فشلوا في المواءمة بين النظرية والتطبيق، وربما يعود هذا الأمر إلى أن الزبيريين حزبُ رجل وليسوا حزبَ فكرة، فعبد الله بن الزبير مثّل أحلام أهل الحجاز وطموحاتهم بعد خروج الخلافة منهم، وهذه الأحلام والطموحات لم تكن مختزلة في مؤسسة وأفكار تضمن لها الاستمرارية والوجود، ولكنها كانت مختزلة في دائرة فردية تسودها طموحات شخصية، وكانت تسيطر على ابن الزبير النزعة الفردية التي تطمح في السيطرة، ولكنه لم يستطع أن يستغل أمورا كانت ستساعد حزبه على الاستمرار والوجود، فهو لم يستطع استغلال الخطاب الديني الذي نجح الأمويون من خلال ولايتهم لعثمان، والشيعة من خلال قرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم في استغلاله. إذ أن نفسية العرب صعبة الانقياد، وذلك" للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة،

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة .ج١، ص١٧٣.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥، ص٣١٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٥، ص٣٧٢.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم"[١].

وأما الخوارج، فهم يرون أن الشورى لا تقتصر على أسرة بعينها أو قبيلة بذاتها، بل هي عامة لكل المسلمين"[٢]، ولعل شعارهم هذا تمثله عمران بن حطان عندما قال[٣]:

فـــنحنُ بنو الإسلامِ والله ربُّنا وأولى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرْ

إن المناظرات والمحاورات التي كان يجريها بنو أمية مع الخوارج، كانـــت فـــي أغلبها تتحدث عن العمل بالكتاب والسنة والشورى. والمحاورة التي جرت بـــين جـــواز الضبي وعبد الملك بن مروان، توضيح لنظرة الخوارج تجاه شورية الخلافة، فقـــد "أتـــى جواز الضبي الشام، وكان من رؤساء الخوارج مع من شهد حصار ابن الزبيـــر، وكـــان هاربا من الحجاج، فنزل بالشام على عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي ســـفيان، وكـــان أهل الشام يضيفون من يعرفون ومن لا يعرفون، وكان عبد الله بن يزيد، وروح بن زنباع أكرم من بالشام أضيافا. وكانا يتغديان مع عبد الملك ويتعشيان، فإذا انصرفا دعوا بطرف ما عندهما، فأكلا مع أضيافهما. وكتب الحجاج إلى عبد الملك كتابا يعظم فيه أمر خلافته، ويذكر أن الخليفة أعظم منزلة عند الله من الملائكة المقربين، لأنه جعل آدم خليفة، ثم أمر الملائكة بالسجود له، وجعلهم رسلا إليه. فحسن موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وأبهاه، فقال: وددت أن عندي بعض الخوارج، فأخاصمه بكتاب الحجاج، فلما انصرف عبـــد الله بن يزيد، حدث أصحابة بما كان، فقال جواز: توثق لي منه، ثم اعلمني، فراح إليه فتوثق له، ثم أعلمه ذلك، فلما أصبح جواز، اغتسل وتحنط ولبس ثوبين، فأدخله إلى عبد الملك، فدعا بكتاب الحجاج، فقال: اقرأه، فقال جواز: جعلك مرة ملكا ومرة نبيا ومرة خليفة، فإن

---

(١) ابن خلدون :المقدمة ،ص٢٦٦.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل.ج١، ص١١٦. الاشعري: مقالات الاسلاميين.ج١، ص٣٢٣.

(٣) ديوان الخوارج، ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كنت ملكا فخبرنا متى نزلت! وان كنت خليفة فأعلمنا عن ملأ[١] من المسلمين استخلفت أم ابتزاز لأمورهم...."[٢].

والنص السابق يوحي بمدى وعي جواز الضبي بالفرق بين الخليفة الشرعي وغير الشرعي، فالخليفة الشرعي في نظره هو الذي اجتمع عليه الناس، وأخذ الأمر عن مشورة، وأما الخليفة غير الشرعي فهو الذي أخذ الخلافة غصبا. ويبدو أن إصرار الخوارج على شورية الخلافة هو الذي جعل عمر بن عبد العزيز يقول[٣]: "أهلكني أمر يزيد، وخصموني فيه".

ويبرز هذا الإصرار الخارجي، من المحاورة التي جرت بين مُطَرِّف بن المغيرة وسويد بن سليم الشيباني، رسول شبيب بن يزيد الشيباني، وهي محاورة طويلة نستنبط منها رؤيتين للشورى، فمطرف يرى الشورى في قبيلة بعينها وهي قريش، بينما يرى سويد أن الشورى عامة[٤]. وفي رسالة بعث بها شبيب بن يزيد الشيباني إلى رجلين من أصدقائه بالرّي يدعوهما فيها إلى الانضمام إليه، وقال فيها: [٥] " وإذا ظهر الحق ودمغ الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة، يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضا منهم".

وبهذه الرؤية العامة كان يواجه الخوارج المجتمع، فهم لم يحصروا الدائرة كالزبيريين والأمويين، بل حاولوا أن يستقطبوا أكبر عدد ممكن من المسلمين إليهم من خلال رؤيتهم الإسلامية، ولو قدر لهم أن يستغلوا الخطاب الديني حق الاستغلال، والابتعاد عن النظرة الأحادية التي سيطرت على فكرهم ، خاصة عند الأزارقة، لكان للخوارج شأن كبير.

---

(١) ملأ: تشاور واجتماع.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٦١-٦٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٨، ص٢١٥.

(٤) انظر المحاورة في الطبري: تاريخ الرسل والملوك .ج٦،ص٢١٧.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقامت الدعوة العباسية على قاعدة فكرية مشابهة لتلك القاعدة الشيعية، إذ حصرت الدعوة العباسية الخلافة في أسرة واحدة من أسر قريش، وهي آل البيت، وكانت الدعوة تتخذ شعارا عاما غير محصور بآل العباس، فكانت دعوتهم (الرضا من آل محمد)[١] ولعل جملة (آل محمد) تعطي الحق للعباسيين والعلويين في المطالبة بالخلافة. وكان دعاة بني العباس يرفعون هذا الشعار في محاوراتهم وخطبهم، وعندما أعلن أبو مسلم الثورة العباسية كانت البيعة "أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة والرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم...."[٢]

وليس مستغربا أن يجعل العباسيون دعوتهم عامة في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم لأن بعض أشياعهم كانوا من الكيسانية[٣].

ولكي يكسبوا أكبر عدد ممكن من العلويين الذين كان لهم وجود كبير في البيئة العراقية والخراسانية، فضلا عن العدو المشترك لكلتا الأسرتين العباسية والعلوية، كان لزاما عليهم مواجهة العدو برؤية موحدة محددة، فكان هذا الشعار جاذبا للمجتمعات الناقمة على الحكم الأموي، ومن هنا كان عدم تحديد اسم الإمام عاملا مجمعا للمعارضة، و مما يُذكر" أن محمد بن خالد أحد الموالين للعباسيين "صلى بالكوفة ودعا على المنبر: اللهم أصلح الإمام من آل محمد ولم يسمه"[٤]، وذُكر أن محمد بن علي بعث رجلا إلى خراسان "وأمره أن يدعو إلى الرضا ولا يسمي أحدا"[٥]. و نجد رواية يصرح فيها علي بن محمد بالدعوة إلى آل الرسول فعندما بعث زياد أبو محمد مولى همدان إلى خراسان قال له: "ادع الناس إلينا وانزل في اليمن والطف بمضر".

ونادت بعض الفرق الإسلامية بأن تكون الشورى عامة، ومن هذه الفرق القدرية التي كانت تؤمن إيمانا شديدا بحرية الإرادة الإنسانية، ومسألة الشورى من صميم البحث في

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٣٧٩.

(٢) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية ص١٩١-١٩٦.

(٣) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية ص٣٧٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص٤٢١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإرادة الإنسانية[١]وقد عبر يزيد بن الوليد عن رأي القدرية في خطبة له أمام المجتمع الدمشقي، فقال "...فإن علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته..."[٢] . ولعل اهتمام القدرية بالانتخاب الحر والشورى، جعلهم يحصرون الخلفاء في نوعين: خلفاء شرعيين وخلفاء غير شرعيين، وذلك تبعا للشورى، ويستوقفنا في هذا المقام نص مهم لأحد القدرية وهو قيس بن هانيء العبسي الذي طُلب منه أن يأخذ البيعة ليزيد بن الوليد، فهو يقول[٣]: "يا أمير المؤمنين اتق الله ودم على ما أنت عليه، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك، وإن قالوا: عمر بن عبد العزيز، فأنت أخذتها بحبل صالح، ,وإن عمر أخذها بحبل سوء". فابن هانيء العبسي يرى أن الخليفة الشرعي هو الذي جاء عن طريق الشورى لا التوريث. ومن هنا فإن خلافة يزيد أقوى شرعية من خلافة عمر بن عبد العزيز، لأنها مبنية على الشورى وليس على التوريث.

وبجانب القدرية، وجدت فرقة أخرى نادت بالشورى العامة،وهي مرجئة الجبرية.وترى هذه الفرقة أن "الإمامة يستحقها كل من قام بها، إذا كان عالما بالكتاب والسنة، وأنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها"[٤]، ويبدو أن ثورة الحارث بن سريج التميمي سنة ١١٦هـ كانت تنادي بالمساواة والشورى العامة[٥]، فعندما عرض عليه نصر ابن سيار هدايا عظيمة كتب إليه الحارث:" إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوك"[٦] فهؤلاء المرجئة كانوا "يناضلون من أجل تحقيق المساواة بين المسلمين من العرب والموالي في المنزلة

---

(١) قال الشهر ستاني في حديثه عن غيلان الدمشقي،رأس مرجئة القدرية في الشام:" كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الامامة أنها تصلح في غير قريش، وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها، وأنها لا تثبت إلا باجماع الأمة".انظر الشهرستاني: الملل والنحل.ج١، ص١٤٣

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧ ص٢٦٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٨،ص٢٦٩

(٤) النوبختي: فرق الشيعة.ص٩.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٣٠٩، ٣٣١.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعية، وكانوا يكافحون في سبيل انصاف الموالي، ورفع الجزية عنهم والاقتصار على جباية الخراج منهم، وتمييزهم من أهل الذمة الذين ارتضوا أن يدفعوا الجزية على أن يظلوا على ديانتهم القديمة، وكانوا ينادون بأن تكون الخلافة شورى بين المسلمين يتولاها أحقهم بها، وأفضلهم لها، باختيارهم له واتفاقهم عليه، وكانوا يدعون إلى الحكم بالعدل واتباع الكتاب والسنة والاهتداء بأئمة الهدى واستعمال أهل الصلاح والتقوى"[١].

ولم تقتصر الدعوة إلى الشورى في الخلافة على الأحزاب والفرق بل كانت هنالك دعوات فردية، فهذا أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار المخزومي- أحد علماء المدينة-يقول لسليمان بن عبد الملك: [٢] "إن آباءك قهروا الناس بالسيوف وأخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من رأيهم، حتى أودوا الناس قتلا وأخذوا الدين غصبا".

وحاولت جميع الفرق والأحزاب أن تقيم صلة بين النظرية والتطبيق في مسألة الشورى. فكانت الشورى الداخلية التي لجأ إليها بنو أمية لاستيعاب المعارضة[٣] وامتصاص الأزمات الداخلية، حيث كان هنالك تطبيق للشورى في مجال ولاية العهد، فقد استشار معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس الفهري، ومسلم بن عقبة المري في تولية يزيد[٤]، واستشار يزيد بن معاوية خاله حسان بن مالك بن بحدل في استخلاف معاوية[٥] واستشار سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة الكندي في عقد البيعة لعمر بن عبد العزيز[٦]. ويعد مؤتمر الجابية مظهرا مهما على تطبيق الشورى الداخلية[٧].

وحاول الأمويون عن طريق تطبيق الشورى الداخلية أن يكسبوا المجتمع إلى جانبهم. وأن تكون الشورى الداخلية بديلة عن الشورى العامة المرتبطة بالحكم والخلافة،

---

(١) حسين عطوان: الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي .ص١٠٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد.ج١، ص٦٧. ابن خلكان :وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس ،ج٢، ص٤٢٢.

(٣) عرض عبد الملك على ابن الزبير أن يخلعا نفسيهما ويصبح الأمر شورى. البلاذري: أنساب الأشراف.ج٦،ص٣٥٠.

(٤) ابن أعثم: الفتوح.ج٤، ص٦٣.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٦٣

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٦، ص٥٥٠، اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي.ج٢، ص٢٩٩.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٥،ص٥٣٠-٥٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد كان الأمويون يسترضون الأمصار بعزل من لا يريده ذلك المصر، فقد عرض عبد الملك عزل الحجاج عن العراق، أثناء ثورة ابن الأشعث[١]، وكان الخليفة أحيانا يستشير في تولية الولاة، فقد استشار عبد الملك بن مروان أهل الشام فيمن يوليه قضاء الكوفة[٢] واستثار سليمان بعض فقهاء الشام فيمن يستعمله على إفريقية[٣].

ومارست الفرق الأخرى الشورى الداخلية، فعندما أرادت الشيعة الثأر لمقتل الحسين بن علي، دارت مشاورات بين الشيعة وزعيمهم سليمان بن صرد بشأن القتال أو الرجوع إلى الكوفة[٤]. ومارستها الخوارج، فقد شاور قطري بن الفجاءة أصحابه أثناء قتالهم المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٥هـ[٥]، ومارسها الزبيريون، عندما شاور عبد الله بن الزبير أصحابه بشأن عرض الحصين بن نمير السكوني من أن يبايع له على أن يخرج معه إلى الشام[٦]، ومارستها مرجئة الجبرية، حينما استشار الحارث بن سريج اصحابه في المدينة التي سيتوجه إليها بعد أن استولى على الجوزجان-احدى مقاطعات بلخ في خراسان-سنة ١١٦هـ[٧].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك .ج٥، ص٣٢٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد.ج١، ص٢٠.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، تحقيق محمد الحجيري ، دار الفكر، بيروت،ص٣٥٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٥،ص٥٨٥.

(٥) ابن أعثم: الفتوح.ج٦، ص٣٢١.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف.ج٤، ص٥٧.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك.ج٧، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثـــاني

صـــفات الخليفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

أهمية الخليفة

عندما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم، حدث فراغ كبير في الصيغة الاجتماعية التي كانت تنظم العلاقة بين الحاكم والرعية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل رسالتين مهمتين في المجتمع: رسالة دينية لأنه الرسول الذي يتلقى التعاليم من الله، فيشعر الرعية أن هذه التوجيهات إلهية. ورسالة بشرية إذ هو القائد السياسي للرعية، وهو الذي كوّن الدولة وصاغ أركانها ونظمها. إن هاتين الرسالتين قد توحيان بتناقض خارجي ناتج عن التباين في مصدر الرسالة، إلا أنهما صيغتا برؤية واحدة مثلها الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفاعل معها المجتمع الإسلامي. ومن هنا كانت شخصية الرسول، صلى الله عليه وسلم، هي المسيطرة على المجتمع ، فكانت عامل تماسك وتضافر للمجتمع الإسلامي. ولهذا كان من الطبيعي أن يبحث المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة عمن يقوم بالخلافة، فأدى يوم السقيفة إلى الخوض في موضوع الخلافة والخليفة [١]. ويصف ابن عبد ربه الأندلسي هذا الدور للخليفة بقوله [٢]: "السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده، به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم".

ويبدو أن الفراغ الناتج عن عدم وجود مؤسسة تنظم الدولة ، جعل الطريق ممهدا لظهور الخليفة الذي يستطيع من خلال شخصيته وتفاعله مع مجتمعه، أن يصوغ نظاما جديدا يكون الخليفة الأساس في ظل هذا النظام [٣]، فالخليفة يؤثّر في أفراد الجماعة لأنه

---

(١) انظر في ذلك ، ابن هشام: السيرة، ج٤، ص ٦٥٧.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١: ٢٥.

(٣) انظر على سبيل المثال موقف معاوية من ولاية العهد. البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٢٨، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال ص١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشكل رغباتهم وآمالهم إذا عجزوا عن تشكيلها.[١] ومن هنا كان الخليفة أو القائد أخطر عامل نفسي في الجماعة، ذلك أن سلوكه وشخصيته يؤثران في سلوك الآخرين وشخصياتهم، وفي هذا يقول أبو مسلم الخولاني[٢]: "مثل الناس والإمام كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود، ولا يقوم العمود إلا بالأطناب والأوتاد، فكلما نزع وتد ازداد العمود وهنا، ولا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس".

ووعى المجتمع الإسلامي أهمية الخليفة وضرورته، ولعل في المقولات الفقهية تمثيلا لهذه الأهمية، وهي الصورة النهائية لما كان يدور في وجدان المجتمع الإسلامي وفكره. والباحث في التاريخ الأموي يجد حديثا مهما عن الخليفة من حيث الضرورة والصفة، وهذا الحديث كان متساوقا مع مرحلة التنظير لمؤسسة الخلافة خاصة في العهد السفياني. و في حديث رؤساء القبائل الذين استُحضروا كي يضفوا الشرعية على ولاية يزيد للعهد، اعتراف بأهمية الخليفة وضرورته، فهذا الضحاك بن قيس الفهري يقول[٣]: "أصلح الله الأمير وأمتع به، إنّا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة، فوجدناها ألمّ لشعثنا وحاقنة لدمائنا، ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا، فولّه عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ إليه ونسكن في ظله".

وفي مراسلات الحسين بن علي مع أهل الكوفة إدراك للفراغ الناتج عن فقدان الخليفة وهو معاوية. وهذا ظاهر من الخطبة التي ألقاها الحسين بن علي في أصحابه قبل كربلاء إذ يقول[٤]: "أيها الناس، إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم، أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم

---

(١) استشعر الخوارج هذه الأهمية للقائد يقول أحد قادتهم "فولوا رجلا منكم، فإنكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها". ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣٥.

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج٧، ص٣٢٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٠١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم".

إن الحديث عن أهمية الخليفة، حديث عن علاقة منفعية بين الطرفين: الخليفة والرعية، يكون فيها الخليفة الأقدرَ على تمثل هذه العلاقة، فعندما توفي معاوية بن يزيد ولم يعهد، أثيرت فتنة في البصرة، عندها أمر عبيد الله بن زياد أن يتجهزوا للقتال، فقال له رؤساء القبائل و أخوته[١]: "والله ما من خليفة فنقاتل عنه، فإن هزمت فئت إليه، وإن استمددته أمدك، وقد علمت أن الحرب دول، فلا تدري لعلها تدول عليك، وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا، فإن ظفروا أهلكونا وأهلكوها، فلم تبق لك باقية".

وأدرك الشعراء هذه الأهمية للخليفة، فالفرزدق يرى في عبد الملك بن مروان هبة من الله للناس،إذ جاء الخليفة تلبية لتضرعهم عند حدوث الفتن، يقول [٢]:

والناسُ في فتنةٍ عمياءَ قد تركتْ أشرافَهم بين مقتولٍ ومحروبِ

دعَوْا ليستخلفَ الرحمنُ خيرَهُمُ والله يسمعُ دعوى كلِّ مكروبِ

فأصبح الله ولّى الأمرَ خيرهُمُ بعد اختلافٍ وصدعٍ غيرِ مشعوبِ

وجعل الشعراء من وجود الخليفة استمراراً لاجتماع الشمل، وفي فقدانه حدوثاً للاختلاف والفتن، وحاول الشعراء، في الوقت ذاته، أن ينطلقوا من قاعدة دينية في تصوير أهمية الخليفة، فالخليفة عند الفرزدق موحد للأمة بعد تفرقها، يقول مادحا بني مروان[٣]:

رأيتُ بني مروانَ يرفع ملكهُم ملوكٌ شبابٌ كالأسودِ وشيبُها

بهمْ جمع الله الصلاةَ فأصبحتْ قد اجتَمَعتْ بعد اختلافٍ شعوبُها

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٠٩.

(٢) الديوان،ص ٢٦.

(٣) الديوان،ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبرز الفرزدق دور الخليفة في جمع الشمل وأنه الأهم في صيغة العقد الاجتماعي، يقول مادحا هشام بن عبد الملك بأنه جامع لشمل الأمة، وفي غيابه حدوث للفرقة والتشتت [١]:

فإنَّ الناسَ لولا أنتَ كانوا حصى خَرزٍ تساقطَ من نظامِ

ويرى عدي بن الرقاع أن الوليد بن عبد الملك هو الذي جمع شمل الأمة ولمّ شعثها،فانقادت له طائعة راضية ، يقول [٢]:

هو الذي جمع الرحمنُ أُمتَهُ على يديه وكانوا قبلَهُ شِيَعا

عُذْنا بذي العرشِ أن نحيا ونفقدَهُ أو أن نكونَ لراعٍ بعدَهُ تَبَعَا

وركز شعراء بني أمية كثيرا على الصورة السلبية لغياب الخليفة،وصولا إلى الصورة الإيجابية وهي ربط الخلافة بخليفة من بني أمية، لأن في الفراغ حدوثا للفتنة والاختلاف، فجرير يخاطب يزيد بن عبد الملك بأنه مقوم ميل الناس وأن وجوده عامل وحدة، يقول [٣]:

أنت المباركُ والميمونُ سيرتُهُ لولا تُقوّمُ درءَ الناسِ لاختلفوا

ويرى الفرزدق بشر بن مروان هداية للأمة بعد الفتنة التي أصابتها،يقول [٤]:

خليفةُ الله منهمْ في رعيتِهِ يهدي به الله بعدَ الفتنةِ البَشَرا

به جلا الفتنةَ العمياءَ فانكشفتْ كما جلا الصبحُ عنه الليلَ فانسفرا

---

(١) الديوان،ص ٦٠١.

(٢) الديوان،ص٢٢٠.

(٣) الديوان،ص ٣٠٨.

(٤) الديوان،ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الحديث عن أهمية الخليفة يستوجب الحديث عن صفات الخليفة وطبيعتها، لما لها من أثر إيجابي أو سلبي في تقبل المجتمع للخليفة أو رفضه، خاصة في هذا العصر، عصر التكوين الفكري للأحزاب والفرق الإسلامية، إذ كان هناك إدراك تام عند أبناء المجتمع الإسلامي لأهمية الصفات في الانحياز أو الابتعاد عن الخليفة، وفي إيجاد صيغة إيجابية أو سلبية في العقد الاجتماعي، و المحاورات التي دارت في الجابية تمثيل صادق لأهمية الصفة في تكوين نظرة محددة تجاه الخليفة، فقد رُوي أنه لما "صار بنو أمية إلى الجابية، ووافى حسان فصلى بهم أربعين ليلة والناس يتشاورون، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو بحمص إلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين، وإلى ناتل وهو بفلسطين. فأمدوه فصار إليه خلق من الخلق بمرج راهط، وكانت الأهواء بالجابية مختلفة: حصين بن نمير يهوى أن يولي مروان، ومالك بن هبيرة يهوى أن يولّي خالد بن يزيد، فقال مالك بن هبيرة للحصين: هلم نبايع خالد بن يزيد، فقد عرفت منزلتنا من أبيه، فقال الحصين: لا والله لا يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي، فقال مالك: ويحك إن مروان وآل مروان يحسدونك على سوطك وشراك نعلك، وظل شجرة تستظل بها، ومروان أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، وإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال: مروان شيخ قريش والطالب بدم الخليفة المظلوم، وهو يدبرنا ويسوسنا ولا يحتاج إلى أن ندبره ونسوسه، وغيره يحتاج إلى أن يدبره ويساس! وذكر بعضهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال روح بن زنباع: إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وفضله وهو كما ذكرتم، إلا أنه ضعيف وليس صاحب أمة محمد بالضعيف، وتذكرون ابن الزبير، وهو والله ابن حواري رسول الله وابن أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وهو بعد كما ذكرتم في قومه ولكنه منافق خلع خليفتين: يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، وسفك الدماء، وشق العصا. وأما مروان فما كان في الإسلام صدع إلا كان ممن شعبه، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان يوم الدار، وقاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، ورمى طلحة فاستقاد منه لعثمان، أفنبايع الصغير وندع الكبير ؟!..."[1].

(١) البلاذري: أنساب الأشراف. ج٦، ص٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوضح لنا النص السابق رؤية أصحاب القرار في الخليفة المرشح، إذ كان للصفات دور مهم في إبراز المتنافسين على الخلافة، وأحسب أن الانتصار لمروان بن الحكم انتصار للصفات العربية الممثلة في السن والتاريخ العائلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

الصفات العربية:

يتصف العصر الأموي بأنه مرحلة انتقالية لم يستطع فيها أن يتخلص كليا من عوالق الجاهلية، من حيث التفكير والتصرف والانتماء، كما أنه انسجم مع التيار الجديد وهو التيار الإسلامي. ولكن الفترة التي تعالق فيها مع هذا التيار لم تكن كافية لإعادة تشكيله، ومن هنا يمكن القول إن الصفات التي أسبغها أبناء المجتمع الإسلامي الناشئ تجاذبتها رؤيتان: رؤية عربية ورؤية إسلامية، وظهرت هاتان الرؤيتان في أشعار الشعراء على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفكرية والدينية والقبلية، كما ظهرت في خطب الخلفاء والسادة والخطباء، فضلا عن المحاورات والمناظرات التي كانت تدور بين الخاصة والعامة[١].

وكان للصفات العربية دور كبير في تشكيل رؤية إيجابية للخليفة، إذ المجتمع الأموي امتداد فكري واجتماعي للعصر الجاهلي، الذي كانت القبيلة تشكل فيه الدور الأهم في صوغ العلاقات الاجتماعية ومنها رئيس القبيلة، خاصة أن المجتمع الأموي قريب زمنيا من المجتمع الجاهلي بعاداته وتقاليده ونظمه وشخصياته. ومن هنا كان هنالك تركيز على الصفات العربية في شخص الخليفة، وسأحاول هنا أن أركز حديثي على أهم الصفات العربية التي حاول الأدباء والمنظرون أن يتمثلوها في الإمام والخليفة، وتبدو أهم الصفات العربية ممثلة في:

---

(١) يقول الدكتور حسين عطوان: "وتفترق خلافة السفيانيين عن خلافة المروانيين اختلافا واضحا، ذلك أن سياسية الأولين انطوت على استغلال الروح القبلية والانتفاع بها، إذ كانت شخصية معاوية أشبه بالسيد من الطراز القديم، وكان الثأر لمقتل عثمان هو الأساس الذي بنى عليه حقه في وراثة الملك، وكان فوزه بالخلافة انتصارا للمفاهيم القبلية واندحارا للمبادىء الإسلامية. أما المروانيون فقامت سياستهم على الالتحام بين الروح العربية والتعاليم الإسلامية". (شعراء الدولتين الأموية والعباسية ص٢٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- السن:

إن هذه الصفة لم تكن نتاجا أمويا جاءت بمجيء الإسلام أو الدولة الأموية، بل هي امتداد للماضي، إذ كان للسن دوره في المجتمع المكي، فكان (ملأ) مكة يتكون من الكبار فقط [١]، وفي انتخاب أبي بكر الصديق خليفة للمسلمين تطبيق لصفة السن في الوصول إلى الخلافة، فحينما احتج علي على البيعة أجابه أبو عبيدة[٢] "يا ابن عم، إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور"[٣].

وكان للسن دور مهم في الوصول إلى الخلافة، وفي مؤتمر الجابية تمثيل واضح لأهمية هذه الصفة، إذ فُضّل مروان بن الحكم على خالد بن يزيد، وفي هذا يقول حسان ابن مالك في خطبة له ذاكرا مروان بن الحكم[٤] "هو كبير قريش وسيدها، وابن عم الخليفة المظلوم، والطالب بدمه قبل الناس أجمعين، فبايعوه رحمكم الله فهو أولى بميراث عثمان وأحق بالأمر من الملحد ابن الزبير الذي خلع الخلافة وجاهر الله بالمعصية"، وفي المؤتمر نفسه يقول مالك بن هبيرة مفاضلا بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد: [٥]"والله لا يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي".وعندما توفي يزيد بن معاوية قام عبد العزيز بن مروان داعيا إلى أبيه مروان بن الحكم، وكي يعطي عمقا أكبر لهذه الصفة، رسمها بصورة فنية قائلا[٦]: "ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان كبير قريش وسيدها والذي نفسي بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر".

---

(١) انظر لسان العرب. مادة ملأ

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص١٩.

(٣) يقول آرنولد معقبا على عملية انتخاب أبي بكر "إن انتخاب أبي بكر يتفق والتقاليد القبلية، إذ كان منصب الرئاسة في القبيلة ينتقل عند وفاة الشيخ إلى ذلك الفرد الذي يتمتع بأكبر نفوذ، والذي يحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته". النظم الإسلامية، ص٢٨ نقلا من كتاب آرنولد (الخلافة) ص٢٠.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف. ج٦، ص٢٦٠.

(٥) المصدر السابق. ج٦، ص٢٦٠.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج٣، ص٣٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كانت صفة السن من مؤهلات الخليفة المرشح، فإنها تُجووزَتْ أحيانا، فعندما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يبايع ليزيد قال له مروان بن الحكم[١]: ". . . فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان، وأهدئ من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظـراء، وأن لهـم على مناوءتك وزراء"، و كانت هذه الصفة دافعا كبيرا ليزيد بن عمر بن هبيرة الفـزاري كي يقنع مروان بن محمد بالخلافة ، فقد "بلغ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أن مروان (بن محمد) قد عزم على إتيان الشام ليبايع ليزيد بن الوليد، فكتب إليه: العجب لك، تبـايع ليزيد وهو قتل الوليد، فلم يبق أحد من بني مروان إلا وهو طامع في الخلافة وأنت سنهم وشيخهم"[٢].

وبرز الإحساس الكبير بأهمية هذه الصفة عند سليمان بن عبد الملك، الـذي لـم يستطع أن يعين أحدا من أبنائه من أمهات عربيات لولاية العهد بعد وفـاة ابنـه أيـوب، والسبب في ذلك أنهم صغار، فهو يقول مصورا هذا الموقـف تصـويرا عاطفيـا مليئـا بأحاسيس الفقدان، و مظهرا أهمية السن بقوله [٣]:

إن بنيّ صبيةٌ صِغارُ أفلحَ من كان له كبارُ

ووجد حديث عن هذه الصفة عند الشيعة، فعندما تنازع أبو هاشم وزيد بن علي في صدقات علي، وقد صارت إلى زيد في خلافة الوليد بن عبد الملك، كان فيما احتج به أن قال لزيد[٤]: "أنا وأنت في النسب كفيان، وقد جعل علي وصيته فـي صـدقته إلـى ذوي الفضل من أكابر ولده، وأنا أكبر منك سنا، وأعلم بالله وبكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، منك، فعلام تحوز هذه المكرمة دوني، وإنما الوصية لعلي لا لفاطمة".

والتزم العباسيون هذه الصفة في بداية دعوتهم، فقد ذكر أن عبد الله بن الحسن قال لإبراهيم بن محمد وجماعة من أنصار آل البيت: [٥] "إنه قد انتهى إليّ تشمير أهل المشرق

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص٢٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٩، ص٢٢٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص٥٥٠.

(٤) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية، ص١٧٤.

(٥) مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولة العباسية، ٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الدعاء إلى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فانظروا في ذلك. واتفقوا على رجل يقوم بالأمر فتأتيهم رسله. فقال بعضهم: أنت أسن أهل بيتك فقل، فقال: نعم، محمد ابني فقد أمّلته الشيعة وهو في فضله ونعمة الله عليه، فوصفه بالفضل فأسكت القوم. فقال إبراهيم (بن محمد): سبحان الله يا أبا محمد أتدع مشايخنا وذوي الأسنان منا وتدعونا إلى فتى كبعضنا، لو دعوتنا إلى نفسك أو إلى بعض من ترى. ما ها هنا أحد من ذوي الأسنان يرضى بهذا في نفسه، وإن أعطاك الرضا في علانيته...".

ب- معدن المُلك و الخلافة:

و في الأدب الأموي حديث مهم عن معدن الملك والخلافة، ويبدو أن إسباغ هذه الصفة على المرشح للخلافة، نوع من إحكام قانون الوراثة، إذ تحصر الخلافة في بيت أو فرع أو قبيلة بعينها. و فكرة معدن الخلافة وبقاء الملك في فرع معين لم تكن مقتصرة على العرب، فقد ذكر الجاحظ أنه عندما أراد الفرس اختيار ملك بعد يزدجرد الأول، محاولين تنحية ابنه بهرام جور، احتج بهرام قائلاً[١]: "إن هذا فساد في صلب المملكة أن تولّوا رجلا ليس من أهلها".

وعلى الرغم من أن الإسلام لا يفاضل بين البشر في نواح دنيوية ومنها تولي زمام الحكم، إلا أن التطبيقات العملية لم تكن تتساوق دائما مع الأطر السامية لتعاليم الإسلام، إذ ينسب إلى علي بن أبي طالب أنه قال بعد البيعة لأبي بكر الصديق[٢]: "يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقصر بيته إلى دوركم وتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله لنحن أحق به لأنا أهل البيت". وهذا يعني أن الخليفة يجب أن يكون من أصحاب الخلافة الشرعيين، بحيث تضيق دائرة الترشيح إلى أقصى مدى لها لتحصر في آل البيت.

وعمل بنو أمية على استغلال هذه الصفة كي يثبّتوا مفهوم الوراثة، فكانت حجة لهم وحجة على الذين يطالبون بالخلافة من أصحاب الثورات، ويكفي المؤهل للخلافة أنه

---

(١)الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك، نشره احمد زكي،المطبعة الأميرية، القاهرة، ص١٦٥.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من فرع معين كي يصبح خليفة، يقول ابن عضاة الأشعري لحسان بن مالك بن بحدل عندما أراد حسان البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية: [١] "أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد، وهو حدث السن، فقال: إنه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة".

وتفاعل الشعراء مع هذا الإطار الفكري والاجتماعي للخليفة، وجاء الشعر مؤكدا هذه الصفة في خلفاء بني أمية، فكان الشاعر معبرا عن هذا النمط الوراثي المرتبط بمعدن الخلافة، فالأخطل يمدح بني أمية بأنهم أبناء الملوك أي من أهل المُلك، إذ يقول[٢]:

بيضٌ مصاليتُ أبناءُ الملوكِ فلن يُدركَ ما قدّموا عُجمٌ ولا عَرَبُ[٣]

وقال النابغة الشيباني مادحا بني مروان أنهم معدن الخلافة، ويطعن في الذين يطلبون الخلافة وهم ليسوا من أهلها، يقول [٤]:

معشرٌ معدنُ الخلافةِ فيهمْ بَدؤُها منهمُ وفيهمُ تحورُ

لا يَرِدْمَنَّ ملكَهمْ آدميٌّ إن مَنْ رامَ مُلكهُم مغرورُ

وعندما ثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك سنة (١٠٢)هـ ندد به كثير من الشعراء ؛لأنه ليس من أهل الخلافة، فالشاعرة الحوراء بنت عروة النصري ترى أن يزيد بن المهلب يحارب أصحاب الحق في الخلافة. فهو خاسر في النهاية، تقول [٥]:

أيزيدُ حاربتَ الملوكَ ولم تَكُنْ تلقى المحاربَ للملوكِ رشيدا

طلبَ الخلافةَ في هَجانَ فلمْ يجدْ بهَجَان من شجرِ الخلافةِ عُودا

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٦٠.

(٢) الديوان،ص٧٠.

(٣)المصاليت: الماضون في الأمر. انظر لسان العرب، مادة صلت

(٤) الديوان،ص٧٧.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعجب فضالة بن شريك الأسدي من مطالبة آل المهلب بالخلافة إذ هم ليسوا من ساداتها، فهم لا يفقهون شيئا. يقول [١]:

عجبتُ لهذي العلوجِ اللئامِ تمنّى الخلافةَ في كلِّ عامِ

تمنّى الخلافةَ غِلفانُها ولمّا تُناطح طول العلامِ [٢]

وكان جرير أشد الشعراء قسوة على ابن المهلب، فهو لم يكتف بقدحه وذمه ، بل عاب الأزد جميعها، فجرير يرى الخلافة بعيدة عن الأزد؛ لأنهم ليسوا من أهلها، يقول[٣]:

آلُ المهلبِ جذّ الله دابرَهُم أضحوا رماداً فلا أصلٌ ولا طَرَفُ

إن الخلافةَ لم تُجعل ليملكها عبدٌ لأزديةٍ في بطنها عَقَفُ[٤]

ما نالتِ الأزدُ من دعوى مُضلّهُمُ إلا المعاصمَ والأعناقُ تُقتطفُ

والأزدُ قد جعلوا المنتوفَ قائدَهُم فقتّلتهم جنودُ الله وانتتفوا

ويعطي شعر جرير السابق معلما هاما عمّا كان يتعمّق القيسية والمضرية من شعور بالتفوق الاجتماعي لأنهم أهل الخلافة، ومن هنا نتبين رؤيتين متناقضين في الحديث عن صفة معدن المُلك و الخلافة: الرؤية القيسية المضرية، تقابلها الرؤية اليمانية. وجاءت الرؤية القيسية في هذا المجال موضحة أنهم معدن الملك والخلافة والنبوة، فالفرزدق يعرّض بآل المهلب وباليمانية الذين يطلبون الخلافة، فهو يستهزئ باليمانية الذين يطلبون الخلافة، فآل المهلب لهم عبرة، فالخلافة في المضرية الذين منهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم قريش سيدة القبائل جميعها. يقول [٥]:

---

(١) المصدر السابق ج٨، ص٣٤٣.

(٢)غلفانها: الذين لا يعون شيئا. العلام: الراية

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٤٣. الديوان،ص ٣٠٩.

(٤) العقف: حديدة قد لوي طرفها ، انظر لسان العرب مادة: عقف

(٥) الديوان،ص ١٤٤ انظر ايضا الديوان،ص ٤٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كذب الحيُّ اليمانـــونَ شِقـــوةً بقحطانِها، أحرارُها وعبيدُهـــا

يرومـــونَ حقـــاً للخلافةِ واضـــحـــاً شديداً أواسيها، طويلا عمودُها

فإنْ تصبـــروا فينا تُقـــرّوا بحـــكْمِنا وإنْ عُدتُمُ فيها فسوف نُعيدُهـــا

لقد كان في آلِ المـــهلبِ عِبـــــرةٌ وأشياعُهم لم يبقَ إلا شريدُهـــا

لعمري لقد عابوا الخلافةَ إذ طَـــغَوْا وفي يَمَنٍ عَبـــّادَها إذ يُبيـــدُها

فَمِنـــا نبـــيُّ الله يتلـــو كتـــابَـــــه بـــه دُوّخـــتْ أوثـــانُها ويهودُها

ومـــا بـــاتَ مِـــن قومٍ يُصلّون قِبلةً ولا غيـــرُهُمْ إلا قريشٌ تقودُهـــا

والناظر إلى طبيعة الفكر الذي كان ينطلق منه جرير في هجائه الأخطـــل، يـــرى التركيز الشديد على معدن الملك والنبوة، إذ استغل جرير هذه الصفة كـــي يطعـــن فـــي الأخطل (النصراني)،فهو يرى أن الخلافة والنبوة والمجد في المسلمين عامة والمضـــرية خاصة، فهو يقول [1]:

فينا الخلافةُ والنبوةُ والهُـــــدى وذوو المشورةِ كلَّ يومٍ تَشاورِ

ورجا الأخيطلُ أن يُكدِّرَ بحرَنـــا فأصابَ حومةَ ذي لجاجٍ غامرِ

بين الحواجبِ واللحى مِنْ تـــغلبٍ لؤمٌ تـــوُرثَ كابـــراً عن كابرِ

وإذا لقِيتَ قرومَ فرعي خِنـــــدفٍ يَبْذَخنَ بعد تزائـــفٍ وتَخاطُـــرِ

خلّيتَ عن سَنَنِ الطريقِ ولم تزلْ فيهـــمْ ملـــوكُ أَســـرَّةٍ ومـــنابرِ

ويبالغ جرير في الحديث عن معدن الملك حتى يُظن أنه ينتصر للقبيلة لا الخليفة. فهو يرفع من شأن المضرية ويندد بنصرانية الأخطل، مستغلاً في الوقت ذاتـــه العامـــل

(١) الديوان،ص ٢٣٩، ٢٤٢، ٣٨١، ٤٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الديني الذي يتفوق به على الأخطل، فهو يرى أن المسلمين هم أهل النبوة والخلافة والملك والمشاعر الدينية، يقول[١]:

إنَّ الذي حرمَ المكارمَ تَغلِبـــــاً ... جعل النبوةَ والخلافةَ فـــينا

هل تملكونَ من المشاعرِ مِشعراً ... أو تشهدون مع الأذانِ أذيــنا

مضرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكُــمْ ... يا خُزْرَ تغــلبَ من أبٍ كأبينا

هذا ابنُ عمي في دمشقَ خليفــةً ... لو شئتُ ساقكمُ إليَّ قطيــنــا

ولم يقتصر الحديث عن معدن الملك على الفكر الأموي، بل نرى هذه الصفة عنــد الشيعة، التي استلهمت فكرها من مواقف علي بن أبي طالب، الذي رأى أن للخلافة أناسا مخصوصين[٢] .وهذه النظرة إلى صفة الخليفة استغلها الحسين بن علي في مجادلته الوليد ابن عتبة والي يزيد بن معاوية على المدينة. فعندما طلب يزيد بن معاوية من الوليد أخــذ البيعة له قال الحسين للوليد[٣]: "أيها الأمير: إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله، وبنا ختم... ".

ومما له ارتباط بمعدن المُلك،تلك الصورة الفنية التي رسمها الفكر الكيساني لفكــرة معدن الملك، فقد مثلها الفكر الكيساني بفكرة (الأسباط) الذين ذكرهم كثير عزة بقوله[٤]:

ألا إنَّ الأئمــةَ مــن قريــشٍ ... ولاةُ الحــقِّ أربعةٌ ســَواءُ

علــيٌّ والثلاثــةُ مــن بنيــهِ ... همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ

فسبــطٌ سبــطُ إيمــانٍ وبــرٍّ ... وسبــطٌ غيّبتــهُ كربــلاءُ

وسبــطٌ لا يذوقُ المــوتَ حتى ... يقــودَ الخيــلَ يتبعُهُ اللواءُ

---

(١) الديوان: ص٤٧٧.

(٢) انظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ،ج١، ص١٩.

(٣) الفتوح، ج٣، ص١٤.

(٤) الديوان،ص٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعلق الدكتورة وداد القاضي على فكرة الأسباط بقولها: [١] "إن هذه الفكرة جاء بها عمرو بن حرب الكندي الكيساني، فقد استخدم عمرو السبط ليس بالمعنى اللغوي إنما بالمعنى القرآني أي بمعنى الإمام فقد قال تعالى (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما)، وذهب إلى أنه كما كان لبني إسرائيل أسباطهم، فقد كان للمسلمين أسباطهم هم أيضا وهم بنو هاشم، إلا أن الحال في بني إسرائيل كان أن: القَدْرَ والنباهة والعز والنبوة لم تكن في كل ولد يعقوب الأسباط، وإنما فقط في أربعة منهم، هم: لاوي ويهودا ويوسف وابن يامين، ومن أصلابهم خرجت الأنبياء والملوك، فخرج من الأول: موسى وهارون وعزير وحزقيال وإلياس واليسع وأرميا والخضر، ومن الثاني داود وسليمان ومريم بنت عمران ورأس الجالوت، ومن الثالث يوشع بن نون، ومن الرابع طالوت. وإنما صار الباقون أسباطا بنباهة إخوتهم الأربعة هؤلاء، كالرجل يصير شريفا بشرف أخيه وابنه ومولاه وابن عمه، وهكذا كانت الحال أيضا بالنسبة لبني هاشم في نظر ابن حرب الكيساني، إذ كانوا جميعا أسباطا، وإنما الخلافة والملك والإمامة في أربعة منهم فقط هم: علي والحسن والحسين وابن الحنفية".

واستغل العباسيون هذه الصفة أثناء دعوتهم، إذ يذكر الطبري أن أبا داود خالد بن إبراهيم أحد النقباء، قال للنقباء: [٢] "هل فيكم أحد بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عترة النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قال: أفتشكّون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول اللهε؟ قالوا: لا..."، وعندما خرج أبو هاشم إلى الشام، لقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال له: [٣] "يا بن عم، إن عندي علما أنبذه إليك فلا تطلعن عليه أحدا، إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم، قال: قد علمت فلا يسمعنه منك أحد".

---

(١) وداد القاضي: الكيسانية في الأدب والتاريخ ص١٥٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٣٦١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٤٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- القرشية:

إن الحديث عن معدن الخلافة والملك، يدفع للحديث عن صفة، طالما كانت عامل قلق واضطراب بين أبناء المجتمع الإسلامي، وهذه الصفة هي القرشية. وهنا لا بد لنا من البحث في تاريخ المصطلح،فلقد ورد ذكر القرشية في حديث السقيفة، ويبدو أن هنالك أحاديث نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تذكر استخلاف قريش[١]، وهذه الأحاديث فيها نظر ، إذ توحي بتعارض مع المبادئ القرآنية والوقائع التاريخية، فالمبادئ الإسلامية لم تخصص قبيلة بعينها للحكم إلى يوم القيامة. والتاريخ السياسي لا يذكر أن أبا بكر احتّج بأي نص منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما تكلم عن أسبقية المهاجرين للإسلام، إذ قال[٢]: "إن الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم، بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه، فكنّا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة". وندرك من هذه الحادثة أن أبا بكر كان مفتقدا للنص الذي يدعم رأيه وهو في حاجة شديدة إليه؛ لأن النص دليل قاطع على صدق الفكرة، ولكن أبا بكر انطلق في الحديث عن أحقية قريش في الخلافة من قاعدة تاريخية سياسية اجتماعية، وهذا ما أكده عمر بن الخطاب في الحادثة ذاتها عندما خاطب الأنصار قائلا [٣]: "والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم. ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم وأولي الأمر منهم". ولو كان هنالك نص صريح لما عرض الأنصار فكرة الأميرين في الدولة حينما قالوا: منا أمير ومنكم أمير، ولما عارض سعد بن عبادة والحباب بن المنذر هذه الفكرة.

---

(١) يروي احمد بن حنبل في مسندة مرفوعا: "الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لاحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة" طبقات الحنابلة،ابن ابي يعلى، ٢٦:١ . ويروي البخاري عن عبدالله بن عمر مرفوعا: "لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان" صحيح البخاري،كتاب الأحكام،٧١٤٠.وانظر الشورى في العصر الأموي،ص٣٢٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى، رقم ٣١. سيرة ابن هشام،ج٤، ص٦٥٩.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج١ ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدرك ابن خلدون الدافع الاجتماعي في هذه القضية حينما قال[١]: "وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش". فابن خلدون ينطلق من مبدأ العصبية، إذ القوة مرتبطة بهذه العصبية، وبذهاب العصبية تذهب القوة، فتصبح السلطة تابعة للعصبية الجديدة.و يتفق تحليل ابن خلدون مع فعل أبي بكر وعمر في الانحياز لقريش لغلبتها وقوتها ومكانتها عند العرب. ومن هنا نستطيع القول إن صفة القرشية هي انبثاق تاريخي لا نصي.

ونظرت الفرق والأحزاب الإسلامية في العصر الأموي إلى هذه الصفة نظرات متباينة، فكان بنو أمية شديدي التعصب لهذه الصفة،إذ مثلت عندهم امتدادا للواقع الاجتماعي العربي في العصر الجاهلي، و يرى ابن خلدون "أن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه"[٢] وتبعا لتحليل ابن خلدون نستطيع أن نفسر موقف أبي سفيان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "أقاتلتني وأنت تعلم أني رسول الله؟ قال: علمت أنك صدوق ولا تكذب، وإنما قاتلناك لأنك تعلم حالي في قريش، وجئت بأمر لا يبقى معه شرف، فقاتلناك حمية وكراهة لأن تُذهب شرفي"[٣] .

وحاول معاوية بن أبي سفيان أن يؤكد حماية الله لقريش وإحاطته لهم،مستغلا هذه الصفة في تطبيق مبدأ الجبر، وأن هذه الصفة هبة من الله أنعم بها على قريش. فعندما كان معاوية واليا على الشام جاءه بعض أشراف الكوفة الذين اعترضوا على جبروت قريش،فكان رد معاوية أن " . . . قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل، ولم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأمحضهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوّأهم حرما آمنا (يتخطف الناس من حولهم).

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج١ ص٣٨٢.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج١ ص٣٨٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله أن ينقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم افتراه لا يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم"[١].

وعبّر جرير عن هذا المعنى مادحا عمر بن عبد العزيز بأنه من السادة الكرماء في قريش،يقول:[٢]

وأنتَ ابنُ الخضارمِ من قريشٍ هُمُ نصروا النبوةَ والجهادا[٣]

وأكثر الشعراء من ذكر هذه الصفة في انتصارهم لبني أمية و دفاعهم عن حقهم في الخلافة، ومن ذلك قول نابغة بني شيبان يمدح عبد الملك بن مروان بأنه خير قريش وأسرته أفضل أسرها، يقول[٤]:

آلُ أبي العاصِ آلُ مأثرةٍ غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نَفَحُوا

خيرُ قريشٍ وهُم أفاضلُها في الجدِّ جدٌّ وإنْ هُمُ مزحوا

أما قريشٌ فأنتَ وارثُها تكُفُّ من صعبِهم إذا طَمَحُوا

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص٤٢٦-٤٢٨.

(٢) الديوان، ص١٠٧.

(٣) الخضارم: السادة الكرماء

(٤) ديوان نابغة بن شيبان،ص٥١. وانظر الديوان ايضا ص٢٩.ديوان جرير،ص١٠٧.ديوان الاخطل، ص٢٥٩.ديوان الفرزدق، ص١٩٣.ديوان ابن قيس الرقيات:ص ٩٥، ١٩٣.ديوان عبدالله بن الزبير الاسدي،ص ٩٠،ديوان نابغة بن شيبان، ص٤٠، ١٥٧. الكميت (الروضة المختارة)، ص١٢ الهاشميات ،ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الشعراء يمدحون بني أمية بأنهم أهل البطاح [١]وهم أشرف من قريش الظواهر،فهذا النابغة الشيباني يمدح يزيد بن عبد الملك بأن أصله كريم، ويعود إلى المكيين الأصلاء الذين سكنوا البطاح،يقول:[٢]

إنَّ الخليفةَ فرعٌ حين تنسبُهُ من الأعاصي هجانٌ خيرُ منسوبِ

كالبدرِ أبلجُ عالي الهمِّ مُخْتَلَقٌ يُنمى إلى الأبطحياتِ المصاعيبِ

قومٌ بمكةَ في بطحائها وُلدوا أبناءُ مكةَ ليسوا بالأعاريبِ[٣]

ويمدح جرير هشام بن عبد الملك بأنه اعتلى عرش مكة،فهو مفخرة عبد شمس وهاشم،يقول:[٤]

سوّستَ مجتمعَ الأباطحِ كلِّها ونزلتَ من جبليْ قريشٍ في الذرى

وهذا كثير عزة يمدح بشر بن مروان أنه من قريش البطاح وبأنه من سلالة عريقة يقول [٥]:

بطاحيٌّ له نسبٌ مُصفّى وأخلاقٌ لها عَرضٌ وطولُ

نمى بك في الذؤابةِ من قريشٍ بناءُ العزِّ والمجدُ الأثيلُ

ويمدح الأخطل بني مروان منوها بأنهم أفضل قريش نسبا ومكانا،يقول:[٦]

أنتم خيارُ قريشٍ عند نسبتها وأهل بطحائها الأثرون والفَرَعُ

---

(١) قريش البطاح: الذين يتزلون الشِّعب بين أخشبي مكة،انظر لسان العرب مادة بطح .وقريش الظواهر: الذين يتزلون خارج الشعب، انظر لسان العرب مادة ظهر.

(٢) الديوان،ص٤٠

(٣) الهجان: الخالص الكريم، مختلق: الذي صلحت خلقته ،المصاعيب: الأشداء

(٤) الديوان،ص١٠

(٥) الديوان، ص١٢٠، وانظر ديوان النابغة الشيباني، ص٤٠، ١٥٧. وديوان جرير، ص١٠، ١٧، ١٠٧، ديوان الاخطل، ص٢٥٩.

(٦) الديوان،ص٢٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمسك الشيعة بقرشية الخليفة ولكنهم جعلوها لبني هاشم خاصة، إذ إن بني هاشم رهط النبي وعشيرته الأدنون وهذا ما نجده في أفكار الشيعة السياسية، فقد كتب الحسن بن علي رسالة إلى معاوية بن أبي سفيان جاء فيها: [١] "من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، رحمة للعالمين، فأظهر به الحق، وقمع به الشرك، وأعز به العرب عامة، وشرف به قريشا خاصة، فقال: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) فلما توفاه الله تنازعت العرب في الأمر بعده، فقالت قريش: نحن عشيرته وأولياؤه، فلا تنازعونا سلطانه، فعرفت العرب لقريش ذلك، وجاحدتنا قريش ما عرفت لها العرب، فهيهات! ما أنصفتنا قريش، وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين وسابقة في الإسلام، ولا غرو إلا منازعتك إيانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ولا أثر في الإسلام محمود...".

وأقام أنصار آل البيت صلة بين القرشية والنبوة كي يثبتوا حقهم في الخلافة، فقد خطب ابن عباس مرة فقال[٢]: "ليس حي يفخرون بأمر إلا وجنبهم من يشركهم إلا قريشا، فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها، ولا يساوون بها، ولا يدفعون عنها، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم. يريد أن يفخر عليكم بما تفخرون به. إنّ بنا فتح الأمر وبنا يختم ولك ملك معجل، ولنا ملك مؤجل، فإن يكن ملككم قبل ملكنا، فليس بعد ملكنا ملك، لأنا أهل العاقبة والعاقبة للمتقين".

ورأى أنصار ابن الزبير في صفة القرشية محاولة لاستعادة النفوذ القديم الذي كان يمثله مجتمع المدينة، ومن هنا نرى التأييد القبلي لابن الزبير خاصة في مرج راهط[٣]، فهذا التأييد لم يكن في حقيقته تأييدا للقرشية، بل كان تأييدا للمضرية خاصة بعد استفحال سيطرة اليمانية .

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٩.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٨٣.

(٣) انظر الأشعار التي تؤيد هذا الطموح،ديوان جرير، ص١٠، عبد الرحمن بن الحكم: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٤٤، مروج الذهب والمعادن الجوهر، ج٥، ص١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبّر الأخطل عن هذه الحالة بقوله معرّضا بالقيسية الذين ناصروا ابن الزبير[١]:

فلا تجعَلَّني يا بنَ مروان كامرئٍ غَلَتْ في هوى آلِ الزبيرِ مراجِلُهْ

يبايعُ بالكفِّ التي قد عـــرفتَها وفـــي قلبهِ ناموسُـــهُ وغوائلُـــــهْ[٢]

وربط أنصار ابن الزبير فكرة القرشية بالمكان وهو الحجاز بما فيه مـــن أمـــاكن مقدسة، وهذا يضفي على فكرة العصبية صبغة دينية مقدسة، وهذا ما تظهره همزية ابـــن قيس الرقيات التي ركز فيها على حرمة البيت الحرام، إذ أقام فيها صلة قوية بين القرشية والمكان، فضياع المكان يعني ضياع الخلافة وذهاب هيبة قريش، وفي هذا يقول[٣]:

عينِ فابكي على قريشٍ، وهل يُرْ جعُ ما فاتَ إنْ بكيتِ البكاءُ

ليـــس لله حرمـــةٌ مثـــلُ بيـــتٍ نحن حُجّابُهُ عليه المُـــــلاءُ

خَـــصـــّهُ الله بالكرامـــةِ فـــالبا دونَ والعاكفونَ فيه ســـــواءُ

حَـــرّقتـــه رجـــالُ لخمٍ وعـــكّ وجذامٌ وحميرٌ وصُـــــــداءُ

فبنيناهُ مـــن بعـــدِ مـــا حرّقـــوهُ فاستوى السَّمكُ واستقلّ البناءُ

كيف نومي على الفراشِ ولمـــّا يشملِ الشامَ غارةٌ شَعَـــــواءُ

وقد تسيطر فكرة القرشية كليا على الشاعر، فيتحول الانتماء من انتماء للشـــخص إلى انتماء للفكرة، فلا يشعر الشاعر بأي ضير في مدح من يتمثل هذه الفكرة. فولاء ابـــن قيس الرقيات لم يكن للزبيريين أنفسهم "وإنما كان لما يمثلونه من طموح إلى استعادة مـــا فقدت قريش من سلطان. والأمويون على أية حال من القرشيين، وإذا كان الأمر قد انتهى باجتماع كلمة قريش ممثلة في الأمويين، فلا بأس من أن يتحول الشـــاعر إلـــيهم بولائـــه

(١) الديوان، ص٢٤٩. انظر ايضا الديوان،ص ١٤٢، ١٥٢.

(٢) ناموسه: عداوته. غوائله: حقده.

(٣) الديوان، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدحهم بالحرارة والإخلاص الذي كان يمدح به الزبيريين من قبل، وأن يلتمس لهم العذر في تنكيلهم بأهل مكة والمدينة"[١].

أما فكر الخوارج فكان فكرا مخالفا لصفة القرشية، وربما كانت هذه المخالفة نتاج أمرين هما: رؤية الخوارج للنص، و التركيبة الاجتماعية القبلية للخوارج . ففكر الخوارج ارتبط بالنص ارتباطا مباشرا دون وساطة التاريخ،و هذا الفهم لطبيعة التعامل مع النص جعلهم متمردين على صفة القرشية.فلو كان هنالك نص صريح لما وجدنا اعتراضا من الخوارج، خاصة أنهم اشتهروا بالتدين،يقول عنهم زياد بن أبيه[٢]: "العجب من الخوارج أنك تجدهم من أهل البيوتات والشرف وذوي الغناء وحملة القرآن وأهل الزهد، وما أشكل علي أمر نظرت فيه غير أمرهم فمن كف عني يده ولسانه كففت عنه"، وذُكر أنه قيل لسمرة بن جندب في رجل أنه طويل الصلاة، فقال[٣]:" لو مات ما صليت عليه، ذهب إلى أنه خارجي".

ولعبت التركيبة القبلية للخوارج دورا مهما في تحديد رؤيتهم تجاه القرشية، فالقواعد الأساسية للخوارج كانت من تميم وبكر. فقد روي أنه لما ولي الحجاج العراق سنة ٧٥ هـ أمر المهلب أن يسرع في مناجزة الخوارج وينتهي من أمرهم، وكانت تميم أشد الناس جلدا على القتال، سواء في جيش المهلب أو جيش الخوارج، فيروى أن "المهلب حينما جاءه البراء بن قبيصة من عند الحجاج يستحثه في مناجزة الخوارج أمر أصحابه أن يهيجوا الخوارج، فخرج فرسان من أصحابه فخرج إليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارج "ويلكم أما تملون؟ فقالوا: لا حتى تملوا، قالوا: فمن انتم؟ قالوا: تميم، قالت الخوارج: ونحن تميم. وفي اليوم التالي فعلوا مثل ذلك حتى المساء، فقال لهم الخوارج: ويلكم من أنتم؟ قالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم. فقال البراء للحجاج حين رجع إليه، رأيت قوما لا يعين عليهم إلا الله"[٤].

---

(١) عبد القادر القط :في الشعر الاسلامي والأموي، دار الشباب، القاهرة، ص٣٦٧.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٢١٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٢٤٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند النظر إلى غالبية زعماء الخوارج،ندرك التأثير الكبير لهذه القبيلة في فكر الخوارج، فمِسعر بن فَدكي وحَرقُوص بن زهير وعُروة بن أَدِية ونافع بن الأزرق ومِرداس بن أَدية وقَطَري بن الفُجاءة من تميم. ويبدو أن تاريخ تميم السلبي والإيجابي أدى إلى بروز قوتها المؤثرة في المجتمع العربي وعلو شأنها في المجالس[١]، و هذه الميزة لتميم جعلتها صعبة الانقياد، فقد كانت مستقلة عن سلطان الحيرة في العصر الجاهلي[٢]، وعندما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم امتنعت تميم عن دفع الزكاة ورأت أنها إتاوة عليها لقريش تأباها نفسها، وارتد بنو تميم على إثر ذلك وانضموا إلى سُجاح بنت أوس التميمية[٣]، هذا فضلا عن كثرة عددهم[٤] وقوتهم[٥].

ومن هنا أصبح فكر الخوارج معبرا عما كان يمور في صدور القبائل المعارضة التي رفضت سلطان قريش[٦]، ويصور عتبان بن أصيلة الشيباني هذا الحنق الخارجي، إذ يرفض السلطة القرشية على الرعية، وهو يقيم مقابلة بين خلفاء قريش من بني أمية وأمراء الخوارج كسويد وشبيب فهو يقول [٧]:

لعمري لقد نادى شبيبٌ وصحبُه على البابِ لو أنّ الأميرَ يُجيبُ

فأبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً وذو النصح لو تُصغي إليه قريبُ

---

(١) ذكر ان هنالك خصالا عدة سودت تميما منها: كثرة عددها، والافاضة في الجاهلية يتوارثونه كابرا عن كابر، وان منهم اشرف بيت في العرب شرفته ملوك لخم حيث ألبسهم المنذر بن ماء السماء بردي أبيه محرق بن المنذر. انظر (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ج١٥، ص١٣٠).

(٢) ابن حبيب: المحبر، تحقيق ايلزة ليختن شتيتر، جمعية دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، ص ٢٥٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣، ص ٢٦٣.

(٤) وصفهم ابن حزم بقوله: "وهم قاعدة من اكبر قواعد العرب"جمهرة انساب العرب، محمد بن علي بن حزم الاندلسي، ص ٢٠٧.

(٥) سأل معاوية دغفلا النسابة: "ما تقول في بني تميم؟ قال: حجر خشن ان صادفته آذاك، وان تركته عافاك" (الجاحظ: البيان والتبيين، ٢:٨٠).

(٦) يرى الدكتور عبد العزيز الدوري ان جمهور الخوارج كانوا بدوا ممن كانت نزعة المساواة قوية عنده، وكانت النتيجة المنطقية لهذا المبدأ أن لا يختصوا قبيلة أو فخذا بالخلافة بل يمكن ترشيح كل عربي لها، ولذلك كانت مصلحة المسلمين تقضي ان يختار للخلافة افضل الناس بانتخاب الامة كافة (عبد العزيز الدوري: النظم الاسلامية ص٨٧).

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف ج٨، ص٣٢، ديوان الخوارج،ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتذكــرُ إذ دارتْ عليــك رماحُنــا بمسكِــنَ والكلبيُّ ثَــمَّ غريـــبُ

فلا صُلْــحَ ما دامتْ منابرُ أرضِنا يقــومُ عليها مــن ثقيفَ خطيــبُ

فإنّــكَ إلا تُــرضِ بــكرَ بنَ وائلٍ يكــن لــكَ يــومٌ بالعراقِ عَصيبُ

فلا ضيرَ إنْ كانت قريشٌ عداً لــنا يُصيبــون مِنّــا مــرةً ونصيــبُ

فإنْ يكُ منهم كان مروانُ وابنــــه وعمــروٌ، ومنهــم هاشمٌ وحبيبُ

فمِنّــا سُويــدٌ والبطيــنُ وقعنــبٌ ومنّــا أميــرُ المؤمنيــنَ شبيبُ

إن هذا الشعور الخارجي بنبذ سلطة قريش ومحاولة الخروج عليها جعــل شــاعرا خارجيا يتشفى عند رؤيته القائدين الأمويين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومنصور بن جمهور الكلبي يصليان خلف القائد الخارجي الضحاك بن قيس الشيباني، فقــال مبتهجــا وكأن صلاتهما وراءه انتصار على السلطة القرشية[١]:

ألم ترَ أنَّ الله أظهرَ دينَهُ فصَلّتْ قريشٌ خلفَ بكرِ بنِ وائلِ

وسارت بعض الفرق الإسلامية على طريق الخوارج في رفض سلطة قريش وجاء هذا الرفض تنظيرا وتطبيقا .[٢] وأظهر الشعر هذه الاحتقانات المتراكمة، فترى الشــاعرة سبرة بنت الحارث النميرية أن قريشا هي الداء ويجب القضاء عليها، فهي تقول بعد مرج راهط[٣]:

قريشٌ همُ الثأرُ المنيمُ فإنْ تَسلْ فتلــكَ دمــاءٌ شافيــاتٌ لدائــيا

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج٨، ص ٢٣٢.

(٢) يذكر لنا الشهرستاني ان بعض فرق الجبرية كـ (الضرارية) تقول: "ان الامامة تصلح في غير قريش، حتى اذا اجتمع قرشــي ونبطي، قدمنا النبطي، اذ هو اقل عددا واضعف وسيلة، فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة"، الملــل والنحــل، ١:٨٣. ورأت القدرية أن الإمامة "تصلح في غير قريش، وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها، وانها لا تثبــت الا بإجمــاع الأمة" الملل والنحل، ١:١٢٧.وانظر ايضا حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي،ص٣٣١-٣٤٣

(٣) أبو الفضل احمد بن ابي طاهر: بلاغات النساء، دار النهضة الحديثة، بيروت، ص١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا إنما يشفي المريضَ دواؤُهُ وكانتْ قريشٌ لو أُصيبتْ دوائيا

ويعبّر النجاشي الشاعر اليماني عن حنق اليمانية على قريش، إذ يرفض تحكم قريش في رقابهم[١] ،فقريش في نظره غير مستحقة لهذا المنصب يقول[٢]:

إنّ قريشـــاً والإمامـــةَ كالذي وَفَى طَرَفاه بعد أن كان أجدعا

وحقٌّ لمن كانتْ سخينةُ قومَه إذا ذُكـــرَ الأقـــوامُ أن يتـــقنعا[٣]

وكانت القبائل تدرك هذه السيطرة القرشية وبأن قريشا تعبث بهم، والموقف الـــذي حدث في موقعة صفين يوحي بذلك، فلما قتل أبو كعب رأس خثعم بالعراق، لـــم يســـتطع قاتله أن يمنع نفسه من البكاء وانصرف وهو يقول[٤]: "رحمك الله أبا كعب، لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمسّ بي رحما منهم وأحبّ إلي نفسا منهم، ولا أرى قريشا إلا وقد لعبـــت بنا"، وعبّر عن هذا الأمر أيمن بن خريم الأسدي المرجئي عندما قال له مروان بن الحكم يوم المرج "ألا تخرج فتقاتل معنا؟ قال: لا إن أبي وعمي شهدا بدرا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعهدا إلي أن لا أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله قال: ائتني ببراءة مـــن النار فأنا معك قال: اذهب فلا حاجة لنا فيك، فقال[٥]:

ولستُ بقاتلٍ رجلا يُصلّي على سلطانِ آخر من قريشٍ

لهُ سلطانُهُ وعَليّ إثمـــــي معـــاذَ الله من جهلٍ وطيـــشِ

---

(١) ليس مستغربا ان تهاجم اليمانية هذه الصفة، لأنها تحرمهم حق المطالبة او الوصول الى الحكم وفي ذلك يقول الجاحظ في حديثه عن مواقف الرجال من علي "... ومن رجل كره ان يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد وينبتان في مغرس واحد، لان ذلك اقطع لطماع قريش ان يعود الملك دولة في قبائلها، ومن قريش خاصة في بني عبد مناف الاقرب فالاقرب والاولى فالاولى لان الرحم كلما كانت امس، والجوار اقرب، والصناعة اشكل، كان الحسد اشد والغيظ افرط. فكان اقرب الامور الى محبتهم اخراج الخلافة من ذلك المعدن، ترفيها عن انفسهم من الم الغيظ وكمد الحسد (رسائل الجاحظ. للسندوبي ص ٢٤٣).

(٢) ابن قتيبة :الشعر والشعراء ، تحقيق محمد احمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ج١،ص ٣٣٣.

(٣) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن، وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها، انظر لسان العرب مادة سخن

(٤) المنقري: وقعة صفين، ٢٩٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٠، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أأقتلُ مسلماً في غيرِ شيءٍ فليس بنافعي ما عشتُ عيشي

وبعد معركة مرج راهط، رأى بعض الناس أن المستفيد من القتال بين القيسية و اليمنية هي قريش، لذلك رأى شاعر من القيسية وهو علي بن الغدير الغنوي أن تتوحد الصفوف وأن تترك قبيلة قريش تتصارع، فعليها خيرها وشرها ، فهو يقول[١]:

فمنْ مُبلغٌ قيسَ بنَ عيلانَ كلَّها بما احتازَ منها أرض نجدٍ وشامُها

فلا تُهْلِكَنْكُمْ فتنةٌ كلُ أهلِها كحيرانَ في طخياءَ داجٍ ظلامُها[٢]

فشأن قريش بالخصومة بينها إذا اختصمت حتى يقوم إمامها

هم أخذوها بين حتفٍ مُعجلٍ وخطَّة خسف لا تزال تُسامُها

فضمّوا جناحيكم إلى مُرْجَحَنَّةٍ معا حربها إن حاربتْ أو سلامُها

وشيموا سيوف الهند حتى تبيّنوا على أي أعداءٍ تُسلُّ حسومُها

وخلّوا قريشا تقتتل إنَّ مُلْكَها لها وعليها بِرُّها وآثامُها

فإن وسعت أحلامها وسعت لها وإن عجزت لم يَدْمَ إلا كلامُها

فإنَّ قريشا مُهلكٌ من أطاعها تنافس دنيا قد أحمّ انصرامُها

وجاء أشد الحقد على قريش من أبي حمزة الشاري بعد وقعة قَديد فقد "عرض من أسر في المعركة فمن كان قرشيا قتله، ومن كان أنصاريا خلوا سبيله"[٣].

وعلى الرغم من حنق بعض الفرق والأحزاب على قبيلة قريش عامة وإنكارها لصفة القرشية في الخليفة خاصة، إلا أننا نجد اعترافا واضحا من القبائل بسلطة

(١) المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار احياء الكتب العربية، ص١٣١.

(٢) الطخياء : الليلة شديدة الظلمة. انظر لسان العرب مادة طخا

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قريش،لأن قريشا كانت تسيطر على العصبيات الموجودة[١]. وهذا ما حدث في فتنة خراسان بين القيسية واليمنية، إذ "خاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد، ويقهرهم عدوهم من المشركين، فكتبوا إلى عبد الملك بن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلاعلى رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه"[٢] ، فولّى خراسان أمية بن عبد الله الأموي سنة ٧٤هـ.

إن هذه النظرة إلى السيطرة القرشية والاعتراف القبلي بهذه السيطرة لم يكن نتاج رؤية أموية، ولكنها فكرة اعترف بها بعض الأنصار بعد وفاة الرسول الكريم،ففي يوم السقيفة خطب بشير بن سعد الخزرجي قائلا[٣]: "يا معشر الأنصار أما والله، لئن كنا إلى الفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في الدين، ما أردنا إن شاء الله، غير رضى ربنا، وطاعة نبينا والكرم لأنفسنا، ثم إن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه، وأيم الله، لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم".

واستمرت هذه النظرة إلى السيطرة القرشية في العصر الأموي،وفي محاولة أخذ البيعة ليزيد بن معاوية تأكيد لهذه السيطرة، فعندما رأى روح بن زنباع إبطاء أهل المدينة في البيعة ليزيد خطب فيهم قائلا[٤]: "أيها الناس إنا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب، ولكنا ندعوكم إلى قريش ومن جعل الله له هذا الأمر واختصه به وهو يزيد بن معاوية..."[٥].

---

(١) يقول ابن خلدون "القرشية مرتبطة بالعصبية، ذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم واهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف، ولا يحملهم على الكرة، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة" (ابن خلدون: المقدمة، ١: ٣٣٩-٣٤٧).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٠٠.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١: ص١٦.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٣٩٢.

(٥) قال الحصين بن نمير السكوني اثناء حصاره مكة وبعد وفاة يزيد بن معاوية: "يا معشر قريش انتم ولاة الامر، وانما قاتلناكم في طاعة رجل منكم قد هلك..." (البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعملت صفة القرشية أحيانا على ضبط الأمور وإعطاء صاحبها أو المنادي بها صفة الوسطية التي يرتضيها الجميع، ومن هنا قام بعض (الثوار) على الحكم الأموي باستغلال هذه الصفة كمُطَرِّف بن المغيرة، فعندما اجتمع مطرف مع الخوارج قال لهم[١]: "أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة الغاصبين على ما أحدثوا وندعوهم إلى الكتاب والسنة وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يولون من ارتضوه على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فإن العرب إذا علمت أنه إنما يراد الرضا من قريش رضوا وقنعوا، فإنما الأئمة من قريش". وإذا أراد الشاعر أن يفتخر بنفسه فإنه يستثني قريشا من المفتخر عليهم، دلالة على السيطرة الشعورية على الشاعر، فالأخطل يرى أن قومه يفوقون الناس باستثناء قريش. يقول [٢]:

رأيتُ الناسَ، ما حاشا قريشاً فإنّا نحن أفضلُهُم فعالا

وصوّر جرير ما تتمتع به قريش من مكانة رفيعة عند العرب،وأنهم يقبلون حكمها ويثقون به ويخضعون له ،يقول مخاطبا الفرزدق:[٣]

تعالَوا نحاكمكُمْ وفي الحقِّ مَقنعٌ إلى الغُرّ من آلِ البطاحِ الأكارمِ

فإنّ قريشَ الحقِّ لن تَتْبَعَ الهوى ولن يقبلوا في الله لومةَ لائمِ

وإني لَراضٍ عبدَ شمسٍ وما قضتْ وراضٍ بحُكمِ الصّيدِ من آلِ هاشمِ

وحاول ابن قيس الرقيات أن يسوّغ في إحدى قصائده،سبب تصدر قريش القبائل،وسبب وجوب الخلافة فيها. وهو في قصيدته يسبغ القدسية على قريش وصولا إلى وجوب الخلافة فيها، إذ يستعين الشاعر برموز قريش كي يثبت هذه القدسية في قريش،

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص٣٩٩.

(٢) الديوان، ص٥٦٨.

(٣) الديوان، ص٤٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمنها النبي وكبار الصحابة، ويرى ابن قيس الرقيات أن الله وحده هو الذي يملك أمر قريش ويقرر بقاءها أو فناءها، يقول[١]:

أيها المشتهي فناءَ قريشٍ ... بيدِ الله عمرُها والفناءُ

إنْ تُودِّعْ من البلاد قريشٌ ... لا يكنْ بعدَهُم لحيٍّ بقاءُ

لو بكتْ هذه السماءُ على قو ... مٍ كرامٍ بكتْ عليهم السماءُ

نحن منّا النبيُّ الأميُّ والصّـ ... ـدّيقُ منّا التقيّ والخلفاءُ

وقتيلُ الأحزابِ حمزةُ منّا ... أسدُ الله والسّناءُ سناءُ

وعليّ وجعفرُ ذو الجناحيـ ... ـنِ هناك الوصيُّ والشهداءُ

والزبيرُ الذي أجابَ رسولَ الـ ... ـله في الكربِ، والبلاءُ بلاءُ

والذي نغّصَ ابنَ دومةَ ماتُو ... حي الشياطينُ والسيوفُ ظماءُ

د- التراث القبلي:

يقول ابن خلدون في حديثه عن العصبية والأنساب[٢]: "إن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنعرة والتناصر، فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية، والمنبت فيها زكيا محميا، تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى، وتعديد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها، فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب، وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرّها".

ويركز ابن خلدون على أهمية النسب في دعم سلطة القبيلة أو الحزب أو الفرد عبر العصبية، فسيرة الخليفة داعم أصيل لقوته. والتراث العائلي مقوّم أساسي لمرشح الخلافة

(١) الديوان،ص ٩٠ (ابن دومة: المختار. وهنا يمدح مصعبا)

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ١: ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو الخليفة، إذ ينظر المجتمع إلى الخليفة أو المرشح للخلافة على أنه امتداد لذلك الماضي، فيصبح التراث والماضي مُشكّلا للحاضر، أي يصبح التراث العائلي بشقيه: القبلي والديني مشكّلا للخليفة، ومن هنا كان هنالك تركيز كبير جدا على هذا التراث. ويبدو أن غالبية الأحزاب حاولت أن تنظر إلى التراث ممثلا في مرشحها للخلافة، وقد نستثني الخوارج من هذا الإدراك لأهمية التراث العائلي، وربما يعود هذا إلى أن الفكر الخارجي ليس فكرا فرديا، فهو عندما ينظر إلى الحياة، ينظر إليها بعين الجماعة، وينظر إليها أيضا بعين الحاضر وليس بعين الماضي، فلم يكن هنالك حديث عن التراث العائلي لأمرائهم، إنما كان حديثهم – شعرا ونثرا – يتحدث عن الجماعة والحاضر. وهم بذلك كوّنوا جماعة نفسية، وأبرز ما في هذه الجماعة النفسية "أن الأفراد الذين تتألف منهم، مهما كانوا ومهما تماثلوا أو اختلفوا في طراز حياتهم وأعمالهم وأخلاقهم وعقولهم، إذا ما تحولوا إلى جماعة منحتهم هذه الجماعة ضربا من الروح الجامعة. وهذه الروح تجعلهم يشعرون ويفكرون ويسيرون على وجه يخالف ما يشعر به ويفكر فيه ويسير عليه كل واحد منهم وهو منفرد، ومن الأفكار والمشاعر ما لا يظهر أو يتحول إلى أعمال إلا لدى الأفراد في الجماعة"[١]. وبهذا فقد صاغ الفكر (الخارجي) صفات تسبغ على الجماعة لا الفرد.

وأكثر أنصار بني أمية من الحديث عن التراث القبلي بما يضمه من معاني المجد والنسب والشرف، وأقاموا صلة بين الخليفة أو المرشح للخلافة، وتراث آبائه وأجداده، فجرير يمدح يزيد بن عبد الملك بأنه من أصل كريم من جهة الأب والأم، فهو يقول [٢]:

إنّ القديمَ وأسلافاً تُعدُّ لكُمْ نِعمَ القديمُ إذا ما عُدَّ والسلفُ

حربٌ وآل أبي العاصي بَنُوا لكمُ مجدا تلادا وبعضُ المجد مطَّرفُ

(١) غوستاف لوبون: روح الجماعات ، ص٣٠.

(٢) الديوان، ص٣٠٧. وانظر ايضا ص٤١١، ١١٧، ١٩٥،ديوان كثير عزة، ص٢٨٢،ديوان النابغة الشيباني، ص١٥٧، ١٥٨، ٤١، أعشى شيبان (البلاذري: أنساب الأشراف ٧:٢٣٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا ابنَ العواتكِ خيرَ العالمين أبــاً قد كان يُدفئُني من ريشكم كَنَــفُ

وقال النابغة الشيباني مادحا يزيد بن عبد الملك بأنه نال المجــد مــن جهــة آبائــه وأجداده[١]:

حكميّا بين الأعاصـــي وحربٍ أبطحيَّ الأعــمام والأخــوالِ
أُمّه مَــلْكَةٌ نمــتها مــلــوكٌ وهي أهلُ الإكرام والإجــلالِ
أمُّها بنت عامرِ بــنِ كُــريزٍ وأبــوها الــهمام يوم الفصالِ
وأبــوه عــبد الــمليك نــماه زاد طَولا على الملوكِ الطوالِ
فهو مَــلْكٌ نــمته أيضا ملوكٌ خــيرُ من يحتذي رقاق النعالِ
حالف المجد عــبشميا إمــاماً حــلّ داراً بــها تكون المعالي

وربط بنو أمية بين التراث العائلي والوراثة، وجاراهم بعض الشعراء مؤيدين لهــم في ذلك، ففضالة بن شريك يمدح يزيد بن معاوية مرددا أنه ورث الخلافة عن معاوية بن أبي سفيان، يقول فضالة[٢]:

إنّ حرباً وإنّ صخراً أبا سفــ ــيانَ حازا مجداً وعزاً تليدا
فهُمــا وارثــا العُلا عن جدودٍ ورِثوها آباءَهُم والجــــدودا
وحوى إرثَــها معاويةُ القِــــرْ مُ وأعطى صَفْوَ التراثِ يزيدا

ومن الملاحظ في حديث الشعراء عن التراث القبلي، أنهم حاولوا أن يثبّتوا علــو المنزلة من جهة الأب والأم، فكثيرا ما نجد صورة الأب والأم في الحديث عن الخليفــة، فالنابغة الشيــباني يمدح يزيد بن عبد الملك بأنه من أصل كريم، فهو ابن الخلفــاء مــن

(١) الديوان،ص١٥٧

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٣١٠، الاغاني، ج١٢، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قريش، ونسله خير نسل، وأمه خير نساء قريش، وأجداده خير من نزل تهامة من قريش. يقول [١]:

وأنت ابنُ الخلائفِ من قريشٍ نَــمَوْك وفي عــداوتــِهِمْ إباءُ
وعاتكــةُ التي وَرِثَــتْ كُريزاً وحرباً، فالكرامُ لها حِـــواءُ
عقيلةُ مَن تَكرّمَ مِن قــريــشٍ لها خشعتْ من الكرمِ النساءُ
وعودُكَ من أعالي النَّبعِ فــرعٌ رفيــعٌ لا يوازيــه السَّــراءُ
على الأعياصِ عندك حين تُعفى لَمُتــدحٍ مــن الثمن الغلاءُ
فعيصُكَ خيرُ عيصٍ في قريشٍ وهُمْ من كل سبّاتٍ بَـــراءُ
أُولاكَ السابــقون بكــلِّ خيــرٍ إذا كذب المُسبّقةُ البطـــاءُ
وخير المُتْهمين بنــو الأعاصي كما خيرُ الجبال بها حِــراءُ

واستغل الشعراء علو منزلة الخليفة خاصة من جهة الأم لإثبات أحقيته في الحكــم، ومن هنا نرى الدور الكبير الذي لعبته المرأة في إحداث أثر تاريخي في المرشح للخلافة، فالأخطل يمدح يزيد بن معاوية بأن أخواله من كلب. وفي هذا رفع لشــأن أمــه أيضــا، يقول[٢]:

(١) الديوان: ص٣١-٣٢ (نموك: نسلوك، عاتكة: ام يزيد وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية. كريز: هو جد جد عاتكــة لامهــا، حرب: جد معاوية. الحواء: مجتمع البيوت. خشعت: تراجعت امامها. العود: المنشأ. النبع: شجر صلب تتخذ منــه القســي والسهام ينبت في اعالي الجبال. السراء: شجر تتخذ منه القسي والسهام وليس كالنبع. الاعياص: اجداد يزيد من ابناء اميــة الاكبر. تعفى يقصدك العفاة وهم طلاب المعروف. العيص: الاصل. السبات: جمع سبّة وهي العار. اولاك: اولئك. المســبقة: المسبوقون. بطاء: وهو جمع بطيء الكليل العاجز. المتهمين: النازلون تهامة.).

(٢) الديوان،ص٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعم الخؤولةُ من كلبٍ خوؤلتُهُ ونعم ما وَلَدَ الأقوامُ، إذ ولدوا

وكذلك يمدح الوليد بن عبد الملك بأن خؤولته في بني عبس، إذ يقول [١]:

نساءُ بني كعبٍ وعبسٍ وَلَدْنَهُ فنِعمَ لعمري الجالباتُ جوالبُه

ويمدح الفرزدق عمر بن عبد العزيز بأن له مجدا تليدا من جهة الأب والأم،واصفا إياه بابن ليلى وهي من سلالة الفاروق عمر بن الخطاب، يقول[٢]:

سيروا فإنَّ ابنَ ليلى مِنْ أمَامِكُمُ وبــادروهُ فإن العُــرفَ مُبتَدرُ

أليس مروانُ والفاروقُ قد رفعا كفّيهِ والعودُ ماءَ العرقِ يعتصرُ

ويمدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك بأن أمه عاتكة أفضل النساء،ولا يفوقها إلا مريم بنت عمران، يقول[٣]:

فلا أمَّ إلا أمُّ عيسى عــلمتُــها كأمّكَ خيراً أمّهــاتٍ وأمــجدا

ويمدح جرير يزيد بن عبد الملك بأنه كريم،ذاكراً نسبه إلى أمه، يقول[٤]:

إلى الأبيض الجعدِ ابن عاتكةَ الذي لهُ فضلُ مُلكٍ في البريةِ غالبِ

ولم يقتصر الأمر على شعراء بني أمية، فابن قيس الرقيات يمدح ابن الزبير بأن نسـله يمتد إلى عائشة أفضل النساء [٥]:

ولــدتــكَ عــائشــةُ الــتي فــضــلــتْ أرومَ نســائِها

(١) الديوان، ص٢٠٨.

(٢) الديوان،ص١٦٦

(٣) الديوان،ص١٣٢

(٤) الديوان،ص٣٤١

(٥) الديوان، ص١١٨. المقصود هنا عائشة ام المؤمنين وهي خالته والخالة بمكانة الام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول في موضع آخر ذاكرا أمه [١]:

وابنُ أسماءَ خيرُ من مسح الركـــ ـــنَ فَعَالا وخيرُهُـــم بنيانـــا

ومن الجدير بالذكر أن بني أمية لا يبايعون إلا لأبناء الحرائر، أما أبنـــاء الإمـــاء فكانوا يستثنون من البيعة، فعندما أراد سليمان بن عبد الملك أن يبايع لابنه داود عدل عن ذلك فقال رجاء بن حيوة[٢]:" إنما منعه من عقد ولاية العهد لداود أنه كان ابن أمة، وكانوا يكرهون ذلك، ولا يولون إلا ابن حرة، فعدل عنه"، وفي حادثة هشام بن عبد الملك مـــع زيد بن علي، توضيح لهذا الارتباط. إذ روي أن هشاما قال لزيد[٣]: "بلغني أنـــك تريـــد الخلافة ولا تصلح لها، لأنك ابن أمة، فقال زيد: قد كان إسماعيل بن إبراهيم صـــلى الله عليه وسلم ابن أمة، وإسحاق عليه السلام ابن حرة، فأخرج الله من صلب إسماعيل، خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم". وكان بنو أمية يعتقـــدون أن خلافـــتهم ســـتزول إذا أعطيت الخلافة لابن أمة منهم[٤]. قال الأصمعي[٥]: "كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهـــات الأولاد"، وجاء عن ابن أبي الحديد[٦]: "كان يقال: إن دولة بني أمية آخرها خليفة أمه أمة، فلذلك كانوا لا يعهدون إلى أبناء الإماء منهم، ولو عهدوا إلى أبناء أمة لكان مسلمة بن عبد الملك أولاهم بها". وقال المسعودي[٧]: "كانت بنو أمية تكره أن تولي الخلافة أبناء أمهات الأولاد، لأنها كانت ترى أن ذهاب ملكها على يدي ابن أمة، فكان ذلك مروان بن محمد". و ذكر الأصمعي أن بني أمية "كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد منهم، فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه، وكانت أمه بنت يزدجرد ابن كسرى، فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات. ووثب مكانه مروان بن محمـــد، وأمـــه

---

(١) الديوان،ص١٥٧.

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج٥: ص٢٠٦.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين،ج١: ص٣١٠.

(٤) انظر الحديث عن شروط ولاية العهدفي كتاب "نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأمـــوي" د. حســـين عطـــوان، ص٥٢-٦٧.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٤: ص١٣١.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة،ج ٧ : ص١٥٧.

(٧) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٨١،عني بتصحيحه عبد الله إسماعيل الصاوي.بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كردية فكانت الرواية عليه"[١]، ويذكر ابن عساكر أبياتا للحكم بن الوليد بن يزيد وهو في السجن يقول فيها:

أَتُنزعُ بيعتي من أجلِ أمي وقد بايعتموا بعدي هجينا[٢]

ومروانٌ بأرضِ أبي نزارٍ كليثِ الغابِ مفترسا عرينا

فإن أهلكْ أنا ووليُّ عهدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينا

ويستدرك ابن عساكر فيقول: بهذا البيت الأخير احتج مروان في طلب الخلافة فأقبل إلى الشام حتى أخذها وأما قوله:

أتنزع بيعتي من أجل أمي وقد بايعتموا بعدي هجينا

وأنه ابن أم ولد ويزيد بن الوليد الذي بايعوا ابن أم ولد، وكان بنو مروان يرون أن ذهاب ملكهم على يد خليفة منهم ابن أم ولد"[٣] . وصرح معدان بن عبيد الطائي بأن الخلافة ذهبت لأنها انتهت إلى مروان بن محمد وهو ابن أمة،يقول: [٤]

ألا مَنْ مُبلغٌ مروانَ عني على ما كان من بُعدِ المزارِ

أَلمْ ترَ للخلافةِ كيف ضاعتْ لأنْ صارت لأبناءِ السراري

ويبدو أن المحافظة على ترابط المجتمع واستقراره كان سببا مهما في جعل الخلافة في أبناء الحرائر. فالعرب لا تنقاد لأبناء الإماء، يقول ابن عبد ربه:[٥] "كانت بنو أمية لا تستخلف بني الإماء، وقالوا لا تصلح لهم العرب".

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج١٢٠ص:٤

(٢) الهجين: الذي أمه غير عربية. انظر لسان العرب مادة هجن

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٥: ص٨١.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩،ص٢٤٤

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤: ص١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاولت المعارضة الطعن في نسب بني أمية، فقد خطب ابن الأشعث في جنده قبل معركة دير الجماجم[١]: "ألا إن بني مروان يعيّرون بالزرقاء[٢]، والله ما لهم بنسب أصح منه، ألا إن بني أبي العاص أعلاج من صفورية، فإن يكن هذا الأمر في قريش، فعني فقئت بيضة قريش، وإن يكفي العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس (ومد بها صوته)"، وفي شعر يزيد بن مفرغ الحميري،إشارة إلى أهمية النسب في الممدوح أو المهجو. إذ يصبح النسب مدار المدح والهجاء، فهو يهجو آل زياد بن أبيه بأنهم يفتقرون إلى النسب والأصل، فيقول [٣]:

أعبادُ ما للؤمِ عنك محوّلٌ ولا لك أمٌّ في قريش ولا أبُ

وقل لعبيدِ الله مالكَ والدٌ لحقٍّ ولا يدري امرؤ كيف تُنسبُ

ويبدو أن التقارب الزمني بين العصرين الجاهلي والأموي، و تعصب بني أمية للعرب، كانا عاملين مهمين في تصوير الخليفة تصويرا عربيا.فهذا النابغة الشيباني يمدح عبد الملك بن مروان بأنه ذو أصل كريم وهو خير قريش، يقول:[٤]

يبينُ فيه عتقُ الأعاصي كما يبينُ يوماً للناظرِ الصبحُ

وآلُ أبي العاصي أهلُ مأثرةٍ غُرٌّ عتاقٌ بالخيرِ قد نفحوا

خيرُ قريشٍ هُمُ أفاضلُها في الجدِّ جِدٌّ وإنْ هُمُ مزحوا

ويمدح جرير الوليد بن عبد الملك بكرم الأصل والنسب، فيقول:[٥]

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦: ص٣٤٩.

(٢) كان يقال لمروان ولولده بنو الزرقاء،يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم، وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء (الكنى والألقاب، عباس القمي، ج١،ص٢٩٧،المطبعة الحيدرية،النجف)

(٣) الديوان وانظر المقطوعات الشعرية التالية من ديوانه: (١، ٧، ١٠، ١١، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨)

(٤) الديوان، ص٥١

(٥) الديوان ص،٣٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنت ابن عيص الأبطحَينِ وتنتمي لفرعٍ صـــميمٍ لمْ تنلهُ الزعانـــفُ

نمتْكَ إلى العُليا فـــوارسُ داحـــسٍ وصيدُ منافٍ المقرَمَاتُ المطارفُ

لهُ باذخـــاتٌ من لُؤيِّ بن غالـــــبٍ يُقصِّرُ عنها المُدّعي والمخالـــفُ[١]

ويُمدح سليمان بسموّ منزلته وأصله، يقول جرير[٢]:

علـــوتـــمْ كلَّ رابـــيـــةٍ وفـــــرْعٍ وغـــيـــرُكُمُ المـــذانـــبُ والهجولُ[٣]

لكم فـــرعٌ تـــفـــرَّعَ كـــلَّ فـــرعٍ وفضـــلٌ لا تعـــادلـــُهُ الفـــــضولُ

لقد طالـــتْ مـــنابتُـــكُمْ فـــطـــابتْ فطـــابَ لكَ العـــمومةُ والـــخـــؤولُ

تزولُ الـــراســـيـــاتُ بكـــلِّ أفقٍ ومـــجـــدُكَ لا يـــُهـــدُّ ولا يـــزولُ

وهذا جرير يمدح عمر بن عبد العزيز بأنه ذو مجد تليد وأصل كريم،يقول[٤]:

ألـــفيْـــتَ بـــيتكَ في العـــلياءِ مَكـــنَّـــهُ أُسُّ البناءِ وما في سُـــورِهِ هـــدَمُ

والتفَّ عيصُكَ في الأعياصِ فوق رُبىً تجري لهُنّ سواقي الأبطحِ العُظُمُ

وفي قضـــاعةَ بيـــتٌ غيـــرُ مُؤتـــشَبٍ نعـــمَ القـــديمُ إذا ما حُصـــِّلَ القِدَمُ

ويمدح الأحوص يزيد بن عبد الملك بأنه ذو نسب رفيع في قريش،يقول[٥]:

يـــُشرِّفُ مجـــداً من أبـــيـــهِ وجـــدِّهِ وقـــد أورَثـــا بُنـــيانَ مـــجدٍّ مُشيَّدا

شريفُ قريشٍ حيـــنَ يـــُنسبُ والذي أقـــرّتْ لهُ بالمـــُلكِ كهـــلاً وأمردا

---

(١) المقرمات: الفحول الكريمة، استعارها الشاعر لأجداد الممدوح. المطارف : الشيء الجديد الحسن.

(٢) الديوان، ص٣٤٧

(٣) المذانب: مسيل الماء والجدول اذا لم يكن واسعا، الهجول: الأراضي المطمئنة

(٤) الديوان ، ص٤١٥

(٥) الديوان، ص١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصوّر حفص الأموي هشام بن عبد الملك سيدا عربيا كريم النسب، فيقول[١]:

إنّ هشـــامـــاً جـــدّهُ هـــشـــامُ مـــقـــابلٌ مـــدابـــرٌ هـــضـّـــامُ

جـــرى بـــهِ الاخوالُ والأعمامُ فَـــحلٌ كـــفـحـــلٍ كلـــُّهمْ قـــُدّامُ

ويمدح جرير هشاما بأنه حاز المجد الرفيع،فهو من سلالة عريقة،يقول[٢]:

وأحرزتَ المـــكـــارمَ كـــلَّ يومٍ بغـــُرةِ سابقٍ وشـــظاً ســـلـــيمِ

وتتـــزلُ مـــن أميةَ حـــيثُ تلقى شـــُؤونَ الهامِ مجتمـــعَ الصميمِ

وما قـــرْمٌ بأنجـــبَ مـــن أبيكمْ وما خـــالٌ بأكـــرمَ مـــن تمـــيمِ

ســـما أولادُ بـــرَّةَ بنـــتِ مـــرٍّ إلى العلياءِ في الحســـبِ العظيمِ

هـــ - الحِلْم:

تعد صفة الحلم من أهم الصفات التي ركز عليها المجتمع، وهي صفة عربيـــة، جاء الإسلام مرسخا لها. وجعل بعض الخلفاء الأمويين الحلم سياسة لهم، ومن أبرز مـــن تمثل هذه الصفة معاوية بن أبي سفيان،فقد ذكر المدائني عن مسلمة وغيره قالوا[٣]" أغلـــظ رجل لمعاوية وأسرف،فحلم عنه فقيل:أتحلم عن هذا؟ فقال:إنـــي لا أحـــول بـــين النـــاس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا.". وعمل معاوية في الوقت ذاته على أن ينقل هذا التمثل إلى ابنه يزيد، فهو في إحدى نصائحه ليزيد يقول له[٤]: "عليك بالحلم والاحتمـــال حتى تمكنك الفرصة، فإذا أمكنتك فعليك بالصفح، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور، ويقيك

(١) المرزباني: معجم الأدباء، ج١٠:٢١٢ ، حسين عطوان: الشعراء من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية،ص٣٤

(٢) الديوان ،ص٤١١

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٥،ص٢٨

(٤) نهاية الإرب، ج٦، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصارع المحذور". وأوصى مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز عندما ولاه مصر: "... إن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب، منطفئ الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليما ذا أناة"(١).

وأكثر الشعراء من الحديث عن هذه الصفة في الخلفاء (٢)، فالأخطل يمدح بني مروان بأنهم أوسع الناس حلماً، يقول (٣):

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهُم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

ويرى الفرزدق أن بني أمية ذوو أحلام واسعة،يقول:(٤)

يأبى لهم طولُ أيديهم وأن لهم مجدَ الرهان إذا ما أُعظم الخطرُ

إن عاقبوا فالمنايا من عقوبتهم وإن عَفَوا فذوو الأحلام إن قدروا

ويكثر الشعراء من الحديث عن العفو عند المقدرة، فالأخطل يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه يعفو عن المسيئين المخطئين، فيقول (٥):

أحيا الإله لنا الإمامَ فإنهُ خيرُ البريّةِ للذنوبِ غفورُ

نورٌ أضاء لنا البلادَ وقد دجتْ ظُلَمٌ تكاد بها الهداةُ تَجورُ

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٣١.

(٢) انظرشعر الاحوص، ص٢٢٠،ديوان الفرزدق: ص١٦٧، ٥١٢،ديوان الاخطل: ص٧٠، ١٥٠،ديوان عبد الله بن الزبير الاسدي: ص١١٢،ديوان ابن قيس الرقيات: ص٥٨،ديوان كثير عزة: ص١٢٤، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٩٤، ٣٢٥،شعر طريح بن اسماعيل الثقفي: ص٨٣، الكميت (الروضة): ص١١، ١٥، ٣٨، ٥٦، ٧٦، الهاشميات، أبو العباس الاعمى (الاغاني: ج١٦، ص٣٠٠)

(٣) الديوان: ص١٥٠.

(٤) الديوان،ص ١٦٧

(٥) الديوان، ص٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدح الكميت بني هاشم بأنهم أوفى الناس وأحلمهم، يقول [١]:

وهُمُ الأوفونَ بالناس في الرأ فةِ والأحلمونَ في الأحلامِ

ورأى بعض الشعراء أن انعدام هذه الصفة في الخليفة،لا يؤهله لأن يكون سيدا مطاعا،وفي ذلك يقول النابغة الشيباني: [٢]

وليس يسودُ ذو ولدٍ ومالٍ خفيفُ الحِلْم ليس له حياءُ

و- الشجاعة:

وركز الشعراء على صفة الشجاعة[٣] ،فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان بأنه شجاع لا يهاب،يقول: [٤]

أنت الأميـنُ أميـنُ الله لاسَـرِفٌ فيما ولـيتَ ولا هيّـابةٌ وَرَعُ
مثلُ المهنّـد لـم تُبهرْ ضـريبتُـهُ لم يَغْشَ غرْبَيهِ تفليلٌ ولا طَبَعُ
واري الزنادِ من الأعياصِ في مَهَلٍ فالعـالَمونَ لِما يقضي به تبَعُ

ويمدح الأخطل الوليد بن عبد الملك بالشجاعة العظيمة،فهو لا يكلّ ولا يملّ من القتال،وهو منقذ القوم عند الشدة،وحامي البلاد من المعتدين،يقول: [٥]

لقد ولّتْ جذيـمةُ من قريـشٍ فتاها حـين تحزبُها الأمـورُ
بـهِ ترمي أعاديـها قريـشٌ إذا ما نابـهـا أمـرٌ كبيـرُ

---

(١) الروضة المختارة، ص١٥- الهاشميات ص٢٦.

(٢) الديوان:ص٢٠

(٣) انظر ديوان جرير، ص١١٧، ديوان الفرزدق: ٧٣، ٨١، ٨٥، ١٢٨، ١٩٠،١٣١، ٢٠٤، ٢٣١، ٣٠٠، ٤٢٦، ٤٣٨، ٥٥٥، ٦٠١، ٦٠٧، الكميت (الروضة): ص٩، ١٢، ٥٦. الهاشميات ص٢٠، ص٢٣، ص٦٧.

(٤) الديوان،ص٢٧٨

(٥) الديوان،ص١٩٧،وانظر في الديوان:ص٢٩٧،٢٨٣،٢٤٥،٢٣٠،٢١٩،٢٠٩،١٧٧،١٤٩،١٣٠،١٢١،٧٠،٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكفّيــهِ الأعنّــة لا سَـــؤومٌ قتالَ الأعجمــينَ ولا ضَجورُ
قتلــتَ الرومَ حتّى شــذّ منها عصائبُ ما تُحوِّرُها القصورُ
وأنتم حينَ حاربَ كــلُّ أُفــقٍ وحينَ غَلَتْ بما فيها القــدورُ
غشمتُم بالسيوفِ الصِّيدِ حتى خبــا منها القباقبُ والقــدورُ
وأعطيتم على الأعداءِ نصراً فــأبصــرتم بهِ والناسُ عُورُ[١]

ويمدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك بأنه حازم في القول شجاع في الفعل، وله جلالة ومهابة عند الناس، يقول[٢]:

هل تعلمون بني أميــةَ قاتلوا إلا بــسيــفِ نبــوةٍ لم يُفلــلِ
ضربوا بحقِّ نبوةٍ كانت لهمْ وســيــوفِ أُسدِ خفيّةٍ لم تنكُلِ
وترى البلادَ ووحشَها يخشينَهُ مــلِكاً ولــيس يقولُ ما لم يفعلِ

ويقول الفرزدق يمدح بشر بن مروان بشدة البأس ورباطة الجأش[٣]:

يا بشرُ إنك سيفُ الله صــيلَ بهِ على العدوِّ وغيثٌ ينبتُ الشجرا
مَنْ مثلُ بشرٍ لحربٍ غيرِ خامدةٍ إذا تســربلَ بالــماذيِّ واتّزرا
كمُخْدرٍ مِنْ ليوثِ الغيل ذي لِبَدٍ ضرغامةٍ يحكم الهاماتِ والقصرا
نرى الأُسودَ له خُرساً ضراغِمُها يَسْجُدْنَ من فَرَقٍ منه إذا زَأَرا [٤]

ويعبّر الوليد بن يزيد عن شجاعته مصورا شدة تحمله وقوة عزيمته وثباته، يقول [٥]

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرِّ لم تجدْ نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزعُ

---

(١) تحوّرها:تردّها ، القدور: جانب الأرض ، غشمتم: ضبطتم ، الصّيد: المتكبر، القباقب:صوت قرع الأضراس، الهــدير:ترديــد الصوت
(٢) الديوان،ص٤٦٥
(٣) الديوان:ص ٢٠٤
(٤) الماذي: الدرع، المخدر: الاسد. القصر: الاعناق
(٥) الديوان،ص٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا ما هُمُ همُّوا بإحدى هَنَاتِهمْ حسرْتُ لهمْ رأســـــي فلا أتقنَّعُ

ويرى الكميت في بني هاشم أسودا عند القتال لا جبناء ساعة النزال. يقول [١]:

وإذا الحربُ أومضتْ بسَنا الحر بِ وســـار الهُــمامُ نحو الهُمامِ

فهمُ الأُسْدُ في الوغى لا اللواتي بين خــيْسِ الــعرينِ والآجامِ [٢]

واستغل بعض المرشحين للخلافة هذه الصفة كي يثبتها فــي نفســه وينفيهــا عــن الخصم، إذ تمثل عبد الله بن الزبير هذه الصفة حينما قتل أخوه مصــعب، فخطــب فــي أنصاره قائلا[٣]: "إنا والله لا نموت حتف أنوفنا، ولكن قعصا بالرماح، وموتا تحت ظلال السيوف، وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهليــة ولا إسلام قط"

ز- الكرم:

وهي من صفات الخليفة وتكررت كثيرا في الأدب الأموي[٤]، إذ كان خلفــاء بنــي أمية يوصون أبناءهم بأن يكونوا من أهل الجود والبذل، فمعاوية يقول لابنه يزيد[٥]: "اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب، لتميل به مودتهم، وتعظم في أعينهم، وتكــف بــه عنــك عاديتهم، وإياك والمنع، فإنه مفسدة للمروءة، وإزراء بالشريف"، ويوصي عبد الملك أبناءه

---

(١) الكميت: الروضة المختارة، ص١٢، الهاشميات. ص٢٣.

(٢) الخيس: الشجر الكثير الملتف، ويقال هو الأجمة. انظر لسان العرب مادة خيس

(٣) ابن قتيبة: عيون الاخبار، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت،ج ١٢: ص٢٤٠.

(٤) انظر:ديوان جرير: ص٧٧، ١٧٧،ديوان الفرزدق: ص١٦٧، ٥١٢،ديوان الاخطل: ص٧٢،ديوان ابن قيس الرقيات: ص٨، شعرطريح بن اسماعيل: ص٨٣، الكميت (الهاشميات): ص٩، ١١، ٣٨، ٥٦، ٧٦ .

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوله[١]: "كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن له القلوب"

وكان لهذه الصفة دور مهم في انحياز الشعراء إلى الخليفة، فيصبح الشاعر معبـــرا بالكلمة عما كان يقوم به الخليفة بالفعل. فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان وبني أمية أنهم أفضل الخلق وأكرمهم فيقول[٢]:

ألستمْ خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

ويشبه الفرزدق كرم الخليفة سليمان بن عبد الملك بالفرات دليلا على العطاء الكبير، يقول[٣]:

أرى كلَّ بحرٍ غيرَ بحركَ أصبحتْ تشقّقُ عن يبسِ المَعينِ ســواحلُهْ

كأنّ الفراتَ الجوْنَ يجري حبــائبُهْ مُفجَّرةً بــين البيــوتِ جداولــُهْ

ويبالغ الفرزدق في مدح عمر بن عبد العزيز بالكرم، إذ يصبح الفرات ضئيلا أمام كرمه يقول[٤]:

وقد حُمدتَ بأخلاقٍ خُبرتَ بــها وإنما يا ابن ليلى يُحــمد الخبرُ

سخاوةً من ندى مروانَ أعرفُها والطعنُ للخيل في أكتافها زُوَرُ

ونائلٌ لابنِ ليلى لو تضـــــمَّنَهُ سيلُ الفرات لأمسى وهو مُحتَقَرُ

---

(١) نهاية الإرب، ج٦، ص٣٥.

(٢) الديوان، ص٧٧، ص١٧١.

(٣) الديوان،ص٤٣٨

(٤) الديوان، ص١٦٧، ٥١٢. وانظر الأخطل،ص ٧٣. ابن قيس الرقيات، ص٨. فــريح ابــن إسماعيــل، ص٨٣، الكميــت (الهاشميات)، ص٢٠، ٢٤، ٧٧، ١٠٣، ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدح ابن قيس الرقيات الأمويين بأنهم يؤدون الحمالات، ويقضون الديون ويبذلون العطايا الجزيلة ويغنون في الشدائد، يقول[١]:

أهلُ الحمالاتِ والدسيعةِ والـ ... مغنون عند الشدائد البَهمَا

اخترتُ عبدَ العزيز مُرتَغِبا ... واللهُ للمرءِ خيرُ مَنْ قَسَمَا

مِنَ البهاليلِ مِنْ أمية يز ... دادُ إذا ما مدحتُهُ كَرَمَا

ويمدح كثير عزة بني أمية بأن طلاب الحاجات يقصدونهم في الصباح والمساء طالبين عطاياهم، يقول[٢]:

لهم أنديةٌ بالعَشيِّ وبالضُحى ... بهاليل يرجو الراغبون نوالَها

إن إدراك المجتمع العربي الإسلامي لأهمية هذه الصفة ، لم يقتصر على الطرح الإيجابي لها[٣]، فقد نُقِد الخلفاءُ و الشعراءُ البخلاءُ من المطالبين بالخلافة خاصة عبد الله ابن الزبير،قال عبد الملك بن مروان وهو على فراش موته[٤]: "ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر مني، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا". ولاحظ الشعراء هذه الصفة في ابن الزبير، قال شاعر من قضاعة يصفه بالبخل [٥]:

عدمتُ قريشاً إن رَضوا بك سيّداً ... وأنتَ بخيلُ الكفِّ غيرُ جوادِ

---

(١) الديوان،ص ١٥٣ (الدسيعة: العطايا. البهم: المشكلات الصعبة).

(٢) الديوان، ص٧٩.

(٣) قال معاوية بن أبي سفيان: مهما كان في الملك فلا ينبغي ان تكون فيه خمس خصال: لا ينبغي ان يكون كذابا، فوعد بخير لم يرج وان وعد بشر لم يخف. ولا ينبغي ان يكون بخيلا، فإنه اذا كان بخيلا لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة؛ ولا ينبغي ان يكون حديدا فإنه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية، ولا ينبغي ان يكون حسودا فإنه إذا كان حسودا لم يشرف احدا، ولا يصلح الناس الا على اشرافهم. ولا ينبغي ان يكون جبانا فإنه إذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه" (نهاية الارب، السفر السادس، ص٤).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦: ص٤٢٢.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦: ص٣٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستغل الشاعر فضالة بن شريك الأسدي بخل ابن الزبير كي يقيم مفارقة واضحة بينه وبين بني أمية الأجواد، إذ يمثل ابن الزبير الصورة السلبية في الحكم، ويمثل الأمويون الصورة المشرقة، يقول [١]:

أرى الحاجاتِ عندَ أبي خبيبٍ ... نَكِدنَ ولا أميةَ في البلاد
من الأعياصِ أو من آل حربٍ ... أغرَّ كغرَّةِ الفرسِ الجوادِ
شكوتُ إليه أنْ نَقَبتْ قُلوصي ... فَرُدَّ جوابٌ مشدودُ الصفاد
يضنُّ بناقةٍ ويرومُ ملكاً ... مُحالٌ ذلكم غير السدادِ
ولُيتَ إمارةً فبخلْتَ لمّا ... وليتهمُ بمُلْك مستفادِ
فإن وليتْ أميةُ أبدلوكم ... بكل سَمَيْدَعٍ واري الزنادِ
وإذْ لم ألقهم بمِنىً فإني ... ببيتٍ لا يَهشُّ له فؤادي[٢]

ح- الفصاحة:

كان بنو أمية يهتمون بصفة الفصاحة، وهذا ظاهر من وصاياهم لأبنائهم، فعبد الملك بن مروان يوصي ابنه الوليد بقوله[٣]: "إنه لا يلي أمر العرب إلا من يحسن كلامهم"، ونجد أن معظم خلفاء بني أمية كانوا فصحاء كيزيد بن معاوية[٤]، وخالد بن يزيد[٥] ، وعبد الملك بن مروان[٦] وسليمان بن عبد الملك[٧] وعمر بن عبد

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج١٢: ص٧٦. وانظر ايضا اعشى ربيعة. الاغاني ج١٥: ص٥٩، ابو العباس الاعمى. الاغاني ج١٥: ص٦٠.
(٢) نكدن: قلّ العطاء انظر اللسان مادة نكد ،نقبت:رقت أخفاف البعير انظر اللسان مادة نقب، السميدع:الكريم الشجاع انظر اللسان مادة سمدع
(٣) فوات الوفيات، ج٤: ص٢٥٤.
(٤) البداية والنهاية ، ج٨، ص٢٣.وانظر حسين عطوان: نظام ولاية العهد في العصر الأموي،ص٥٢-٦٧
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٦.
(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٠.
(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزيز[١] والوليد بن يزيد[٢] ويزيد بن الوليد[٣] ومروان بن محمد[٤]. وأَبرَزَ الشعراء هــذه الصفة في الخليفة، فالأحوص يمدح معاوية بن أبي سفيان بالفصاحة وطلاقة اللسان فــلا يتلجلج عند الكلام، يقول [٥]:

يقضي فلا خَرِقٌ ولا مُتتعتعٌ لِغَباوةٍ في القولِ حينَ يقولُ

ويمدح أحد الشعراء معاوية بأنه خطيب مفوه، ينساب الكلام على لسانه، فهو يقول[٦]:

رَكوبُ المنابــرَ وثّابُها معنّ بخطبته مجــهرُ

تريع إليه هوادي الكلامِ إذا ضلَّ خطبته المهذرُ

ويبدو أن صورة الخليفة الخطيب المفوه كانت مسيطرة على أذهان الشعراء، إذ أكثر الشعراء من وصف خلفاء بني أمية وهم يخطبون على المنابر، فابن قيس الرقيات يمــدح الأمويين بالفصاحة والخطابة وهم بلغاء في كلامهم وصمتهم، يقول [٧]:

خطباءٌ على المنابرِ فرسا نٌ عليها وَقَالةٌ غيرُ خُرْسِ

ويصف كثير عزة بني أمية بأنهم خطباء وكلامهم هو القاطع في الأمر، يقول[٨]

وهم حكامُ معضلةٍ عَقــامٍ فكم بعثوا بها فصْلَ الخطابِ

إذا قرعوا المنابرَ ثمَّ خطّوا بأطرافِ المخاصرِ كالغضابِ

قضَوا فيها ولم يتوهّمــوها بفــاصلةٍ مُبيّــنَةِ الصــوابِ[٩]

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٧٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤٩ ص١٣٢.

(٣) فوات الوفيات، ج٤، ص٤٦٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٣٣٣.

(٥) الديوان، ص٢٢٠.

(٦) البيان والتبين، ج١، ص١٢٧.

(٧) الديوان، ص٥٨.

(٨) الديوان،ص٢٨١

(٩) العقام: الشديدة ،المخاصر: عصا يحملها الخطيب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدح كثير عزة عمر بن عبد العزيز بالخطابة والفصاحة وبحكمة القول،يقول: [١]

فتىً صمتُهُ حِلمٌ وفصلٌ مقــالُهُ وفي البأسِ محمودُ الثناءِ صليبُ

خطيبٌ إذا ما قال يوماً بحكمةٍ من القولِ مغشيٌّ الرّواقِ مــهيبُ

(١) الديوان،ص ١٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

الصفات الإسلامية:

وعت جميع الفرق والأحزاب أهمية الصفات الدينية الإسلامية في مرشحيها وأمرائها، فعلى الصعيد الأموي كان هنالك إحساس عند بعض خلفاء بني أمية بأهمية هذه الصفات ودورها في دعم السلطة. فمما يذكر أن ابن عضاة الأشعري أحد قادة بني أمية "أتى مروان بن الحكم فألفاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركون بفنائه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه، والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن، فقال ابن عضاة يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر . . " [١]، وعندما دخل المجتمعون في الجابية على مروان بن الحكم "فإذا عنده مصباح وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه، فقالوا له: يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر، فقال: استخير الله واسأله أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، خيرها وأعدلها ما شاء الله ولا قوة إلا بالله" [٢]

ورأى شعراء بني أمية أن يجذّروا الصفات الدينية في خلفائهم[٣]، فأبو ثمامة الكلبي يمدح مروان بن الحكم ،مفضلا إياه على ابن الزبير تفضيلا دينيا ،ومرددا أن مروان إمام التقوى والحق، وأن ابن الزبير إمام الضلالة والباطل، يقول[٤]:

وأُشهدكمْ أني لمروانَ سامعٌ ... مطيعٌ وللضحاكِ عاصٍ مُجانبُ

إمامانِ أمّا منهما فعلى الهدى ... وآخرُ يدعو للضلالةِ كاذبُ

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف. ج٦، ص ٢٦٠.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦.

(٣) انظر:ديوان ابن قيس الرقيات: ص٩،ديوان جرير: ص٢٢٤، ٤٠٩، ٤١١،ديوان العجاج: ص١٦٤،ديوان الفرزدق: ص٣٧٨،ديوان عدي بن الرقاع: ص١٧٠، ١٧١، ٢٠٩،ديوان النابغة الذبياني: ص١٥٨،ديوان الاخطل: ص٤١،شعر طريح بن اسماعيل الثقفي: ص٨٣.

(٤) نقائض جرير والاخطل، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك إن الله وهبه هذه الصفات الدينية الممثلة في الصواب في الحكم والعطف على الناس:[١]

أرى الله قد أعطى ابن عاتكةَ الذي له الدين أمسى مستقيم السوالف
تُقى الله والحُكم الذي ليس مثلُهُ ورأفةَ مهديٍّ على الناس عاطفِ

ويمدح جرير الخليفة هشام بأنه ذو دين واستقامة، فيقول:[٢]

أميرَ المؤمنين جمعتَ ديناً وحِلماً فاضلاً لذوي الحلومِ
أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجّ الموارِدُ مستقيمِ

أ- العدل:

في الأدب الأموي حديث موسع عن العدل، إذ كان لهذه الصفة دور كبير في إحداث نوع من المفاضلة بين الفرقاء، فعندما سأل معاوية بن أبي سفيان امرأة من بني كنانة تدعى دارمية الحجونية، لماذا أحبت عليا قالت[٣]: "أحببت عليا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية . . ." . وتوافرت هذه الصفة في بعض خلفاء بني أمية،وخاصة عمر بن عبد العزيز[٤] ، فقد خطب عمر في الناس قائلا[٥]: "وما منكم أحد يبلغنا حاجة لا يَسَعُ له ما عندنا، إلا حرصنا أن نسد من حاجته ما استطعنا، وما منكم من أحد يعني حاجة لا يَسَعُ له ما عندنا، إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي حتى يكون عيشنا وعيشه عيشا واحدا، وأيم الله لو أردت غير هذا من غضارة عيشي لكان اللسان به ذلولا، وكنت بأسبابه

(١) الديوان،ص٣٧٨

(٢) الديوان،ص٤١

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ٣٤٢.

(٤) في فكر القدرية والمعتزلة ان حكام بني امية بغاة يجب قتالهم حتى يفيئوا الى امر الله باستثناء عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد، وعمر اعترف بشرعيته لعدله وان كان قد تولاها بعهد اسلافه الظالمين الغاصبين يقول عمرو بن عبيد "اخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا استحقاق له، ثم استحقها بالعدل حين اخذها" (مروج الذهب، ج٢، ص ١٥٢).

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢: ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عالما، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دلّ فيها على طاقته ونهى فيها عن معصيته" .

وطلب عمر بن عبد العزيز من الحسن البصري أن يصف له الإمام العادل. فكتب له الحسن البصري رسالة طويلة أوضح له فيها صفات الإمام العادل، فهو الراعي الذي يذود عن الأمة، وهو الأب الحاني والأم الشفيقة، ووصي اليتامى والمساكين، والقائم بين الله وعباده[١]، وفي رسالة يزيد بن الوليد إلى أهل العراق بعد مقتل الوليد بن يزيد تأكيد قوي لصفة العدل في الخليفة[٢].

وأكثر الشعراء من الحديث عن هذه الصفة في الخليفة أو المرشح للخلافة[٣] ،فجرير يمدح هشام بن عبد الملك بالعدل، لأنه يحكم بالحق ويبتعد عن الظلم، وهو يستحق بذلك لقب إمام العدل، يقول[٤]:

أميرُ المؤمنينَ قضى بعدلٍ ... أحلّ الحِلّ واجتنبَ الحراما

أتمّ الله نعمتَهُ عليكم ... وزادَ الله مُلكَكُمُ تماماً

وباركَ في مسيركُمُ مسيرا ... وباركَ في مقامِكُمُ مقاما

بحقِّ المستجيرِ يخافُ روعاً ... إذا أمسى بحبلِكَ أن يناما

فيا ربَّ البريةِ أعطِ شُكراً ... وعافيةً وأبقِ لنا هشاما

وثقنا بالنجاح إذا بلغنا ... إمامَ العدل والملكَ الهُماما

---

(١) انظر الرسالة في ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص١٢.

(٢) انظر الرسالة في البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص١٩٥.وفي الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٥،ص٣٨٦

(٣) انظر:ديوان الفرزدق: ص٢٣٣، ٣٧٨،ديوان جرير: ص١٦٧، ٤٠٩،ديوان عدي بن الرقاع: ص١٢٠،ديوان الاحوص: ص١٢٣،ديوان النابغة الشيباني: ص١٥٨، الكميت (الروضة): ص١١ الهاشميات ص٢٣، النابغة الجعدي (الاغاني): ج٥، ص٢٨.

(٤) الديوان، ص٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحاول الفرزدق أن يجعل العدل صفة متوارثة بين خلفاء بني أمية،إذ إن عدل سليمان مستمد من عدل أبيه عبد الملك بن مروان.يقول[١]:

ولقد هدى بك كلَّ ملتبسٍ وشفى بعدلك كلَّ ذي غمر[٢]
وأخذتَ عدلاً من أبيك لنا وقلعتَ عنّا كلَّ ذي كبْرِ

ويصف النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك أنه لا يظلم في الحكم ولا يحابي أتباعه،يقول[٣] :

عادلٌ مقسطٌ وميزانُ حقٍّ لم يَحِف في قضائه للموالي

ورأى الفكر الشيعي في انعدام هذه الصفة في بني أمية ذريعة للخروج على الخليفة القائم، فعندما ثار الحسين بن علي على يزيد بن معاوية خطب في الناس قائلا[٤]: "أيها الناس، إن رسول الله قال: "من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلا يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله".

وأدركت الفرق الإسلامية أهمية هذه الصفة. فقد عبر الخوارج عن الظلم الذي لحق بالمجتمع نتيجة فقدان العدل،[٥] فعمران بن حطان يصور شعوره بالظلم بقوله[٦]:

حتى متى لا نرى عدلا نعيشُ به ولا نرى لدعاةِ الحقِّ أعوانا

---

(١) الديوان،ص٢٣٣

(٢) الغمر : الشدة

(٣) الديوان،ص١٥٨

(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج٦،ص ٢٩٢.

(٥) يقول الشهرستاني عن الخوارج: "ان خروجهم في الزمن الاول على امرين: احدهما بدعتهم في الامامة، اذ جوزوا ان تكون الإمامة في غير قريش، وكل ما ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما، فان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله او قتله" الملل والنحل،ج١،ص١٢٥

(٦) ديوان الخوارج، ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينصح عمر بن ذُكينة الربعيّ الخارجي عمر بن عبد العزيز أن يسير في النـــاس بالعدل، ويهدده بالثورة عليه إن حاد عن ذلك، فهو يقول[١]:

فإن قصدتَ سبيلَ الحقِّ يا عمرُ آخاك في الله أمثالي وأشباهي

وإن لحقتَ بقومٍ كنتَ واحـــدَهُم في جورِ سيرتهم فالـــحكمُ لله

وطعن الكميت بن زيد في حكم بني أمية؛ لأنه يفتقر إلى العدل، ومدح حكـــم بنـــي هاشم لأنهم يحسنون ولاية أمور المسلمين، يقول [٢]:

ســـاسةٌ لا كـــمن يـــرعى النا سَ ســـواءً ورِعْـــيَةَ الأنـــعامِ

لا كـــعبد الـــمليك أو كـــوليدٍ م أو كـــسليمانَ بـــعدُ أو كـــهشامِ

رأيُهُ فـــيهمُ كرأي ذوي الثُّلَّـــ ـــةِ في الثائجاتِ جُنْحَ الظلامِ[٣]

ب- التقوى:

وهي صفة مهمة في الخليفة،فعندما أراد عبد الملك أن يخلع أخاه عبد العزيز عـــن ولاية العهد ويعطيها لولديه، نظر إلى وجود هذه الصفة في ولديه، إذ قال لهما[٤]: "إن يرد الله أن يعطيكم إياها لا يقدر أحد من العباد على ردها عنكم، وقال لهما: هل قارفتما حراما قط؟ قالا: لا والله، قال: الله أكبر وليتماها ورب الكعبة".

وركز الشعراء على هذه الصفة، فعدي بن الرقاع العاملي يمدح بنـــي أميـــة بـــأنهم يأمرون بالتقوى والمعروف، يقول [٥]:

---

(١) ديوان الخوارج، ص٢١١.

(٢) الروضة المختارة، ص١٤ الهاشميات ص٢٥.

(٣) الثلة:الجماعة من الضأن ، الثائجات:الضأن الصائحات

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧:ص ٢٥٣.

(٥) الديوان، ص١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآمرون بتقوى الله أُمــتَهُم والكائنون على المعروفِ أعوانا

والقائلون أتينا كلَّ مــكرمةٍ قــدَّامنا فَــحَصُوا عنها لأخرانا

ولم يكتف شعراء بني أمية بإسباغ التقوى على خلفاء اشتهروا بهذه الصــفة، بــل أسبغوها على خلفاء اشتهروا بالخلاعة المجون، فالنابغة الشيباني يمدح يزيد بن عبد الملك بأن الله أكرمه بخصال التقوى والبر، فهو الخليفة العابد الذي يقوم الليــل ويبكــي خوفــا وخشية من الله. يقول[١]:

وحــباهُ الــمليك تــقوىً وبرّاً وهــو مِنْ سُوسِ ناسكٍ وصّالِ

يــقطعُ اللــيلَ آهــةً وانتحاباً وابــتــهــالا لله أيَّ ابــتــهالِ

راعــَهُ ضــيغمٌ من الأُسدِ وَرْدٌ جــا بــليلٍ يــهيسُ في أدغالِ

تــارةً راكــعاً وطوراً سجوداً ذا دمــوعٍ تــنــهلُّ أيَّ انهلالِ

ولــه نــحــبــةٌ إذا قــام يتلو ســوَراً بــعد ســورةِ الأنــفالِ

مــوفياً بالعهودِ من خشيةِ اللا هِ ومــن يَعــْفُهُ يــكن غيرَ قالِ

مــُحســنٌ مُــجملٌ تــقيٌّ قويٌّ وهــو أهلُ الإحسانِ والإجمالِ[٢]

ويأتي مدح طُرَيْح بن إسماعيل الثقفي الوليد بن يزيد ردا على ما اتهم به الوليد من زندقة وفجور، فهو إمام الهدى والتقوى، والرعية تحبه لتقواه وصدقه وجدّه،وتأتي طاعة الرعية له عن حب ورضىً " لأنه نفّذ مــا وعــدهم بــه عنــدما ولــي الخلافــة،فأعز ضعيفهم،وأنصف مظلومهم، وأمّن خائفهم،وأغنى فقيرهم،وطهّر نفوسهم،وألّف بينهم،وحمى ديارهم،فإذا هم بسياسته أمة واحدة متكاتفة متعاونة متراحمة،تلهج بالــدعاء له،وتصــفيه أصدق المحبة،ولأن إصلاحات الوليد المختلفة فاقت إصلاحات الخلفاء السابقين،فإذا هــو

---

(١) الديوان، ص١٥٨

(٢) السوس: الأصل. جا: جاء. يهيس: يمشي بثقة. قالٍ: مبغض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند طريح صاحب منزلة جليلة رفعه الله إليها بتكرمه وتقواه وحسن عبادته،ومثل أعلى للخليفة الصالح الكامل،وإمام الهدى الفاضل."[١]، يقول طريح [٢]:

أنت إمامُ الهدى الذي أصلـ ... حَ الله به الناسَ بعدما فسدوا

لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ ... إليك قد صار أمرُهُ سجدوا

واستبشروا بالرِّضا تباشرِهُم ... بالخلد لو قيل إنكمْ خُلدُ

وعجَّ بالحمدِ أهلُ أرضِكَ حتى ... كاد يهتزُّ فرحةً أُحدُ

رُزقتَ من وُدِّهم وطاعتِهم ... ما لم يجدْهُ لوالدٍ ولدُ

أثلَجهم منك أنّهم علموا ... أنك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ

وأنّ ما قد صنعتَ من حسنٍ ... مصداقُ ما كنتَ مرةً تَعِدُ

يرفعك الله بالتكرم والتقوى ... فتعلو وأنت مقتصدُ

ويرى الدكتور حسين عطوان أن محاولة تفخيم صورة الوليد بن يزيد كانت تتبع من" الشعراء القرشيين أو من الموالي أو من القيسيين،فهم الذين تأكدت سلطتهم بفوزه بالخلافة،فتحلّقوا عليه وتباروا في إكبار شخصيته العربية الإسلامية،وسياسته العادلة،وإدارته الصارمة،وما حققه للأمة من التضامن والقوة.وهم بذلك يرسمون له شخصية قوية تخالف الشخصية التي رسمها له المؤرخون"[٣].

واهتمّ الشيعة بصفة التقوى اهتماما كبيرا؛ لأن الفكر الشيعي قائم على أسس دينية،ولذلك أكثر من إسباغ الصفات الدينية على الأئمة[٤] فالكميت يمدح آل البيت بأنهم

---

(١) حسين عطوان، الوليد بن يزيد ،عرض ونقد ،ص٣٨٩

(٢) الديوان، ص٨٣. الأغاني ج٤، ص ٣٢٣.

(٣) الشعراء من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية،ص٣٩

(٤) انظر الكميت (الروضة): ص٥٨، ٩، ١٢، ١٤، ٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصيبون في أفعالهم فلا يضلون عن الصواب،وهم الذين ثبّتوا أحكام الإسلام فيعرفون حلاله وحرامه،يقول [١]:

والمصيبين باب ما أخطأ النـــــــاسُ ومُرسي قواعد الأحكامِ

وهمُ الآخذون من ثقة الأمـــــــرِ بتقواهمُ عُرىً لا انفصامِ

ومُحـلّون مُحرمـون مُـقـرّو نَ لِحـلٍّ قـراره وحـــرامِ

واستغل الفكر الشيعي وأنصاره الصفات الدينية في تشكيل مفارقة مع الرؤية الأموية، كي يثبّت هذه الصفات فيه وينفيها عن بني أمية، فأبو دهبل الجمحي ينفي هذه الصفات عن الأمويين ويهجوهم بعد مقتل الحسين بأنهم ظالمون للرعية، يقول[٢]:

تبيتُ سُكارى من أمية نـوّمـا وبالطّفِ قتلى ما ينامُ حـميمُها

وما أفسدَ الإسلامَ إلا عصـابـةٌ تـأمّر نَوكاها ودامَ نعيمُـــها

فصارتْ قناةُ الدين في كفِّ ظالمٍ إذا اعوجّ منها جانبٌ لا يُقيمُها[٣]

وأسبغ شعراء الشيعة على أئمتهم صفة التقوى، فالكميت بن زيد يرى أن بني هاشم هم أهل التقوى والصلاح والعفاف والكرم والخضوع للحق، يقول[٤]:

هينونَ لينونَ في بـيـوتـهُمُ سِنْخُ التُّقى والفضائلِ الرُّتُبُ[٥]

والـعارفـو الـحقِّ للمُدلّ بهِ والـمُتلفونَ كـثيرَ ما وهبوا

---

(١) الكميت، الهاشميات،ص١٩

(٢) الاغاني، ج٧، ص١٣٨.

(٣) الطف: أرض من ضاحية الكوفة كان فيها مقتل الحسين بن علي

(٤) الروضة المختارة: ص٥٨ الهاشميات ص٦٩.

(٥) السنخ: الاصل، الرتب: الثابتة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وركز الخوارج كثيرا على الصفات الدينية،مما دفع الجاحظ إلى القول بـــأن فشـــل الخوارج عائد إلى أنهم "طلبوا الخلافة بالدين وحده دون النسب[١]"، و نجـــد فـــي شـــعر الخوارج هذا الاهتمام بالصفات الدينية في أفرادهم ورؤسائهم، فمليكـــة الشـــيبانية تمـــدح الجماعة الخارجية بالعفاف والتقوى والكرم، فتصبح الجماعة ممثلة للفرد. تقول [٢]:

أين الذين إذا ذكرتَ فعالَهم عـــُرفوا بحسنِ عفافةٍ ووقارِ

أين الذين إذا أتاهم ســـائلٌ بـــذلوا لـــه أمـــوالَهم بيسارِ

أين الذين إذ ذكرنا دينـــهم قالت عشائرُهم هـــُمُ أخياري

ويبدو أن فكر الخوارج كان يصوغ إنسانا خارجيا ملتزما بمفهوم فكري وعقـــدي يحاول أن يطبقه نظريا وعمليا، و الصفات الدينية الممثلة في الفرد الخارجي تعطيه معلم القدوة، وهو الأقدر على تمثل الدين،فهو نتيجة لذلك الأقدر على تولي الخلافـــة والحكـــم والقيادة،فهذه مليكة الشيبانية ترثي الضحاك بن قيس الخارجي بصفات دينية، إذ هو الذي كان يأمر المجتمع الخارجي بالخشوع والتقوى، تقول [٣]:

ذهـــب الذي قد كان يأمُرُنا بالخوفِ والمعروفِ والذِّكرِ

وأوجد هذا التمسك بالصفات الدينية في فكر الخوارج نوعا من التشدد في النظر إلى الأمور والحكم على الناس،فالخارجي هو المؤمن وغيره الكافر.فالحصـــين بـــن حفصـــة السعدي يرى في قطري بن الفجاءة وليّاً وفي المهلب كافرا، يقول [٤]:

أفي كلِّ يومٍ للمهلبِ أســـلَمَتْ له شفتاكَ الفمَ والقلبُ طائرُ

فحتّى متى هذا الفرارُ حذارَهُ وأنتَ وليّ والمهلبُ كـــافرُ

(١) الحيوان، ج٢: ص١٠١.

(٢) ديوان الخوارج، ص٢٤٠، ٢٤٨.

(٣) ديوان الخوارج ، ص٢٣٦.

(٤) ديوان الخوارج،ص ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبرزت صفة التقوى جلية عند الخوارج، فهذا أبو بلال مرداس بن أدية، أحد زعماء الخوارج، يرى أن الحياة الحقيقية هي حياة التقوى التي عاشها مع عبد الله بن وهب الراسبي، فهو يقول بعد مقتل عبد الله بن وهب الراسبي[١]:

أبعدَ ابنِ وهبٍ ذي النزاهةِ والتُّقى ومن خاضَ في تلك الحروبِ المهالكا

أحبُّ بقاءً أو أرجّي سلامةً وقد قتلوا زيدَ بنَ حصنٍ ومالكا

فيا ربِّ سلِّمْ نيَّتي وبصيرتي وهبْ ليَ التُّقى حتى أُلاقي أولئكا

ويبقى أبو بلال مثل القدوة والشجاعة فشجاعة أبي بلال ومقتله[٢] النموذج الأسمى عند عمران بن حطان، إذ تصبح الحياة ثقيلة مكروهة بعد أبي بلال،ويود لو مات ميتة أبي بلال، يقول[٣]:

لقد زاد الحياةَ إليَّ بُغضاً وحبّاً للخروج أبو بلالِ

أُحاذر أنْ أموت على فراشي وأرجو الموتَ تحتَ ذرا العوالي

ولو أنّي علمتُ بأنَّ حتفي كحتفِ أبي بلالٍ لم أُبالِ

وتقوى أبي بلال النموذج الأسمى عند عبيدة بن هلال اليشكري، إذ يقول[٤]:

أنا ابنُ خيرِ قومِهِ هلالِ

شيخٌ على دين أبي بلالِ

وذاك ديني آخر الليالي

---

(١) ديوان الخوارج،ص ٦٢.

(٢) قتل ابو بلال وهو ساجد يصلي.

(٣) ديوان الخوارج، ص١٥٩.

(٤) ديوان الخوارج، ص١١١، ٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف أحد الخوارج نافع بن الأزرق بأنه مات على التقوى فهو صادق في دينه، يقول [١]:

شمتَ المهلبُ والحوادثُ جمةٌ والشامتون بنافعِ بنِ الأزرقِ

أنْ مات غيرَ مُداهنٍ في دينِهِ ومتى يمرَّ بذكرِ نارٍ يُصعقِ

واستغل الزبيريون صفة التقوى في تدعيم سلطتهم عن طريق رمزهم عبد الله بن الزبير، فأمه أسماء بنت أبي بكر تقول عندما سمعت بمجيء أهل الشام[٢]: "اللهم إن عبد الله بن الزبير كان معظما لحرمتك، وقد جاهد فيك أعداءك وبذل لك مهجة نفسه لرجاء ثوابك فلا تخيبه. اللهم أظهره وانصره. اللهم ارحم طول ذلك السجود والنحيب، وذلك الظمأ في الهواجر، وما أقول هذا القول تزكية له، ولكنه الذي أعلمه منه وأنت أعلم بسريرته وعلانيته، اللهم إنه كان برا بوالديه فاشكر ذلك له".

وفي موقف أهل الحجازمن تولية يزيد بن معاوية العهد، ما يدل على أهمية الصفات الدينية في المرشح للخلافة، فكان سبب إنكارهم لخلافته وخلعهم له هو إسرافه في المعاصي[٣].

ويقول موسى شهوات واصفا يزيد بالاستهتار بالدين وبأنه يشرب الخمر ويترك الصلاة[٤]:

لستَ منّا وليس خالُك منّا يا مُضيعَ الصلاةِ للشهواتِ

فإذا ما غلبْتَنا فتنصّرْ اتركنّ الصلاةَ والجُمُعاتِ

(١) ديوان الخوارج، ص٨٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧: ١٢٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥: ص٣٣٨. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥: ص٤٨٠

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف. ج٥. ص ٣٤٢. وانظر المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحمل ابن الزبير على يزيد بن معاوية حملة شديدة، متهما إياه بالفجور، فقد خطب ابن الزبير مرة فقال[١]: "يزيد الخمور ويزيد الفجور ويزيد الفهود ويزيد القرود ويزيد الكلاب ويزيد النشوات ويزيد الفلوات، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده".

ويبدو أن الصورة التي رسمت ليزيد بن معاوية هي الصورة التي أرادها أهل الحجاز خاصة، و المعارضون له عامة، وليست الصورة الواقعية. و تضارب الروايات في هذه القضية خير مثال على محاولة صوغ الصورة وفق الفكر لا الواقع، فوفد أهل المدينة يقول: [٢] "إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين ويشرب الخمر ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخراب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا خلعناه، فتابعهم الناس"، ولكن هذه الشهادة تنفيها شهادة ابن الحنفية الذي أشاد بالسيرة الحسنة ليزيد إذ رآه مواظبا على الصلاة ومتحريا للخير[٣].وقد دحض الدكتور حسين عطوان عددا من الروايات التي تشنّع بيزيد بن معاوية،فبعض الروايات" قد حرّف الرواة أجزاء منها تحريفا بيّنا للتشهير بيزيد والتشنيع عليه"[٤] وروايات" لا تقف عند اتهام يزيد بن معاوية بالمجون والفحش،بل تتعدى ذلك إلى اتهامه بالزندقة والكفر،وقد أنكر ذلك الإمام الغزالي في فتوى طويلة"[٥].

وحاولت المعارضة أن تستغل عدم وجود هذه الصفة عند بعض الخلفاء الأمويين كي تطعن في الشرعية الأموية، وفي المحاورات التي دارت بين اليمانية والوليد بن يزيد قبيل مقتله، دليل واضح على إدراك المجتمع لأهمية هذه الصفة، إذ قال الوليد بن يزيد ليزيد بن عنبسة السكسكي[٦] "يا أخا السكاسك ألم أزد في أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمناكم؟ فقال له: ما ننقم عليك في أنفسنا ولكنا ننقم عليك

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥: ص٣٣٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥: ص٤٨٠.

(٣) انظر ابن أكثم: الفتوح،، ج٣: ص١٦٢.

(٤) انظر حسين عطوان: الأمويون والخلافة ،ص٨٩

(٥) المصدر نفسه ،ص٩٤

(٦) انظر تمحيصا للروايات التي ذكرت الوليد بالخلاعة والمجون في كتاب الوليد بن يزيد عرض ونقد،د. حسين عطوان،ص٢٢٠-٢٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتهاك ما حرم الله من شرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله وإتيانك الذكور"[١].

وعندما دخل أبو حمزة الشاري مكة في أواخر الدولة الأموية خطب خطبة نقد فيها السياسة الأموية، ويبدو أنه استند في نقده على انتهاك بني أمية لحدود الله ومحارمه، فهو يقول: [٢] ". . . ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود، الفاسق في بطنه، المأفون في فرجه " ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال: "ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في دينه، المأفون في فرجه، الذي لم يؤنس منه رشد . . يأكل الحرام ويشرب الخمر . . حبّابة عن يمينه وسلاّمة عن يساره تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدَّ ثوبه، ثم التفت إلى إحداهما فقال: "ألا أطير ألا أطير"! نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه...".

وكما استغلت المعارضة ضعف صفة التقوى في بعض خلفاء بني أمية لكي تطعن في الشرعية الأموية،استغل الأمويون هذه الصفة لكي يطعنوا في شرعية المعارضة، فمسلمة بن هشام يذم خالدا القسري وأخاه أسدا،طاعنا في تقوى والديهما، فأبوهما يستحل الحرام ويقارف الفواحش وأمهما فاجرة كافرة، يقول[٣]:

أراحَ من خالدٍ وأهلَكَهُ ... ربّ أراحَ العبادَ من أسدِ
أما أبوهُ فكان مُؤتشِباً ... عبداً لئيماً لأَعبُدِ قُعُدِ
يرى الزناء والصُّلبَ والخمـ ... ـرَ والخنزيرَ حِلاّ والغيَّ كالرشدِ
وأمُّهُ همُّها وبغيتُها ... هَمُّ الإماءِ المواهن الشرُّدِ
كافرةٌ بالنَّبي مؤمنةٌ ... بقسِّها والصليبِ والعُمُدِ

(١) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩ : ص١٧٨.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢: ص١٢٢-١٢٤.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التعامل مع هذه الصفة لم يقتصر على دائرة الصراع بين بني أمية والمعارضة، بل نجد حديثا عنها داخل البيت الأموي، و في المحاورة التي جرت بين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد، مثالا واضحا على أهمية توافر الصفات الدينية والأخلاقية في مرشح الخلافة إذ "كتب هشام بن عبد الملك إلى الوليد: ما تدع شيئا من المنكر إلا أتيته وارتكبته، غير متحاش ولا مستتر، فليت شعري ما دينك؟ أعلى الإسلام أنت أم لا؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد – ويقال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه:

يا أيُّها السائلُ عن ديننا ... نحن على دينِ أبي شاكرِ

نشربُها صرفاً وممزوجةً ... بالسُّخنِ أحياناً وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة! فالزم الأدب واحضر الصلوات"[١]. فهشام بن عبد الملك كان يريد خلع الوليد؛ لأنه وجد مسوغا لذلك وهو نقص الصفات الدينية والأخلاقية في ولي العهد، ولكنه لم يستطع لأن ابنه مسلمة أبا شاكر كان يفتقد هذه الصفات أيضا.و سأل هشام نسطاس قائلا "يا نسطاس، أترى الناس يرضون بالوليد! إن حدث بي حدث؟ قال: بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين، فقال: ويحك لا بد من الموت، أفترى الناس يرضون بالوليد؟ قال: يا أمير المؤمنين إن له في أعناق الناس بيعة، فقال هشام: لئن رضي الناس بالوليد ما أظن الحديث الذي رواه الناس "إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار" إلا باطلا"[٢].

وإذا كانت المواجهة بين هشام والوليد أخذت طابع الجدال والمناظرة، فإن المواجهة بين الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد بن عبد الملك أخذت طابع الثورة،إذ استفاد يزيد بن الوليد من اتهام أهل الشام للوليد بن يزيد بالمجون والتهتك، فكانت الثورة عقابا من الله له على انتهاكه لمحارمه، يقول يزيد بن الوليد في كتاب كتبه إلى أهل العراق موضحا فيها مساوئ الوليد[٣]: ". . . ثم أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم التي لا يأتي

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص١٣٠. الأغاني، ج٧ : ص٤.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨: ص٣٨٠.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩: ص٣١، البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلها مسلم، ولا يقدم عليها كافر، تكرماً عن غشيان مثلها، فلما استفاض ذلك منه واستعلن واشتد فيه البلاء، وسفك فيه الدماء، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليخلي العاملين بها إلا قليلا، سرت إليه مع انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين، منكرا لعمله وما اجترأ عليه من معاصي الله، ومتوخيا من الله إتمام الذي نويت، من اعتدال عمود الدين والأخذ في أهله بما هو رضى..."[١]. و رسم يزيد بن الوليد لنفسه صورة الخليفة التقي الورع الحريص على إقامة الدين ونشر العدل،يقول في خطبة له بعد قتله لابن عمه: "... أيها الناس، إني والله ما خرجت بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك، وما أقول هذا إطراء لنفسي، إني لظلوم إن لم يرحمني ربي، ولكن خرجت غضبا لله ودينه، وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه، لما هدمت معالم الدين، وعفي أثر الحق وأطفئ نور الهدى وظن الجبار العنيد المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، وانه لابن عمي في النسب، وكفئي في الحسب، فلما رأيت ذلك، استخرت الله في أمره، وسألته أن لا يكلني إلى غيره، ودعوت إلى مجاهدته، فأجابني من أجابني من أهل ولايتي، وسعيت عليه حتى أراح الله منه العباد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي"[٢].

ج- العلم والفقه في الدين:

اهتم الشيعة بتوافر صفة العلم والدين في أئمتهم، والناظر إلى أشعار الكميت يجد اهتماما واضحا بهذه الصفة، فهو يمدح بني هاشم بأن علمهم هبة من الله ومنّة منه،يقول: [٣]

---

(١) ليس مستغرباً أن يقف يزيد بن الوليد هذا الموقف، فموقفه موقف القدرية الذين يرون العزل بسبب المجون والفسق، وهذا ماثل في موقف يزيد بن عنبسة السكسكي (أحد القدرية) من خلع الوليد، ويرى القاضي عبدالجبار أن الشرع أوجب في الإمام أنه لا يخلع إلا عن فسق، يقول: "ثبت بالشرع في الإمامة أن الخلع والإزالة لا تجور من غير حدث، إن خلعه لا يجوز مع السلامة، لإجماعهم على ذلك" (القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج٢ ق١ ، تحقيق عبد الحليم محمود، الدار المصرية،ص٣٠٥).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص١٩٢.

(٣) الروضة المختارة، ٩-١٢ الهاشميات ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للـــقريبين مـــن ندى والبعيديـــ ن من الجورِ في عُرى الأحكامِ

والمصيبينَ بابَ ما أخطأ النا سُ ومـــرسي قـــواعدَ الإســـلامِ

غـــالبينَ هـــاشميينَ في العلمِ رَبَـــوا مـــن عطـــيةِ العـــلاّمِ[١]

ويقول في موضع آخر إن لهم نصيبا كبيرا من العلم[٢]:

وإنْ هاجَ نبتُ العلمِ في الناسِ لم تزلْ لهم تلعةٌ خضراءُ منه ومَذنبُ

ويبدو أن العلم الذي يتحدث عنه الكميت في أشعاره، يختلف كليا عن العلـــم الـــذي انتشر على يد منظري الإمامية، فالعلم الذي تحدث عنه الكميت هو العلم الزيدي الأقـــرب إلى العلم الدنيوي الشرعي، فهو علم (معتزلة الشيعة)، لكن علم الإمامية هو علم غيبي لا يعلمه إلا الأئمة يتوارثونه إماما عن إمام.

ويصبح الإمام عند الشيعة الكيسانية هو المتفرد في إبانة الطريق للرعية؛لأنه العالم بأحكام الشرع، ومن ذلك قول كثير عزة مادحاً ابن الحنفية:[٣]

بيّنْ لنا وانصحْ لنا يا ابن الوصي

بيّنْ لنا مـــن ديـــننا مـــا نبتغـــي

وروي أن المغيرة بن سعيد أحد المتشيعين لآل البيت "أتى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال له: أقر بعلم الغيب حتى أجبي لك العراق، فقال: أعوذ بالله، ثم أتى محمد بن علي بن الحسين فقال له مثل ذلك فزجره وشتمه"[٤].

---

(١) عرى الاحكام: العلم بالفقه والحكم الشرعي ،غالبيين: نسبة الى غالب بن فهر

(٢) الروضة المختارة، ٣٩ص ،الهاشميات ص٥٠.

(٣) الديوان،ص٤٩٧

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- التراث الإسلامي:

يرى ابن خلدون أن الخلافة "نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا"[١] .وهذا التعريف يرى أن الخلافة ذات شقين: شق دنيوي وشق ديني، إذ تتمثل الصفات ذات المرجعية العربية أي التراث العائلي القبلي في الشق الدنيوي وتتمثل الصفات ذات المرجعية الدينية أي التراث العائلي الديني في الشق الديني. ولمّا كانت التركيبة العربية ذات بعدين: عربي، وإسلامي، كان لا بد من التركيز أيضا على التراث الديني، إذ يلعب الدين دورا مهما في إثبات الأحقية وفي انقياد الآخرين، فجرير يستحضر شخصية عمر بن الخطاب كي يقيم رؤية حاضرة لعمر بن عبد العزيز، فهما يشتركان في القربى والسيرة،يقول مادحا عمر بن عبد العزيز بأنه يسير على نهج ابن الخطاب في السيرة والعمل: [٢]

أشبهتَ من عمرَ الفاروقِ سيرتَهُ سنّ الفرائض وائتمّتْ به الأممُ

ويرى جرير في معاوية بن هشام بن عبد الملك إيماناً وتقوى،ذلك أنه من آل مروان ذوي الصلاح والتقوى.يقول:[٣]

إلى معاويةَ المنصورِ إنّ له ديناً وثيقاً وقلباً غيرَ حيّادِ

من آل مروانَ ما ارتدّت بصائرهُمْ من خوفِ قومٍ ولا هَمّوا بإلحادِ

و تمثل الفرزدق تاريخ بني أمية كي يجذّر هذه الصفات الدينية في ممدوحه، فهو يتبع التسلسل التاريخي للخلفاء حتى يصل إلى سليمان بن عبد الملك، فيمدحه بأبيات تحتوي على الكثير من الصور الدينية التي اعتمد فيها على أبي بكر وعمر وعثمان

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص١٣٤.

(٢) الديوان، ص٤١٥، ١٢٣.

(٣) الديوان،ص١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك الذين اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهم بذلك يستحقون الجنة. يقول الفرزدق [١]:

إنـّا لـنرجو أن تـُعيـدَ لـنـا ... سـُنَنَ الـخلائفِ من بني فهرِ
عـثـمـانَ إذ ظـلموه وانتهكوا ... دَمَـهُ صـبـيـحةَ ليلةِ النحرِ
ودِعـامـة الـدين التي اعتدلتْ ... عـُمـراً وصـاحبَهُ أبـا بكرِ
وابـني أبي سـفـيـانَ إذ طلبا ... عـثـمانَ مـا بـاتا على وتَرِ
وأبـاكَ إذ كـشـفَ الإلـهُ بـهِ ... عـنـّا الـعمى وأضاءَ كالفجرِ
وأخـاكَ إذ فـتـحَ الإلـهُ بـهِ ... وأعـزَّهُ بـالـيـُمـنِ والنصرِ
خـلـفـاءَ قد تـركوا فرائضَهُم ... فـيـنـا وسـُنَّةَ طـيبيّ الذكرِ
تـبَـعوا رسـولـهُمُ بسـُنـّتِهِ ... حـتى لـقَوهُ وهـم على قَدْرِ
رُفـقـاءَ مـتـكئينَ في غُرفٍ ... فـرحـين فـوق أسرّةٍ خُضرِ
فـي ظـلٍّ من عَنتِ الوجوهُ لهُ ... حُـكمِ الـحكومِ ومـالكِ القهرِ

ومزج بعض الشعراء بين التراثين العربي والديني، وفي ذلك قوة للخليفة، إذ هو جامع للمجد من طرفيه، فيحاول أن يشكل أنموذجا يحتوي على الرؤيتين: العربية الممثلة في القبلية، والدينية الممثلة في الإسلام. ففضالة بن شريك يمدح يزيد بن معاوية بعزّه القديم وبشرف أبيه الذي حفظ الدين، ومنع الله به الأمة من الهلاك، يقول [٢]:

إذا ما قريشٌ فاخرتْ بـقديـمها ... فـخرتَ بـمجدٍ يا يزيدُ تليدِ
بـمجدِ أميرِ المؤمنين ولم يـزلْ ... أبـوك أمـينَ الله غـيرَ بليدِ
بـه عصم الله الأنامَ من الـردى ... وأدركَ تبلا من معاشرَ صيدِ

(١) الديوان،ص ٢٣٣.
(٢) الأصفهاني: الاغاني، ج١٢:٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى جريرٌ عمرَ بن عبد العزيز وارثا للمجد من طرفيه: الديني الممثل في ابن الخطاب، والعربي الممثل في مروان بن الحكم. يقول مادحا إياه برفعة النسب[١]:

عليكمْ ذا الندى عمرَ بنَ ليلى جواداً سابقاً، ورِث الجيادا

إلى الفاروقِ ينتسب ابنُ ليلى ومروانَ الذي رفع العمادا

ويرى الفرزدقُ يزيدَ بن عبد الملك مستمِداً مجده من تراثيه العربي والإسلامي:[٢]

ورثت ابنَ حربٍ وابنَ مروانَ والذي به نصرَ الله النبيّ محمدا

وإذا كانت الرؤية الأموية تنطلق عند بعض الشعراء من إرث أبي بكر وعمر وعثمان، فإن المرجعية الشيعية كانت مستمدة من بيت النبوة و خاصة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب، فعندما ولي الحسن بن علي الخلافة قام خطيبا فقال[٣]: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد. أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذي افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت".

وقام الحسين بن علي باستحضار التراث العائلي ذاته حين أوشك القتال أن يقع بينه وبين الجيش الذي أنفذه ابن زياد، إذ خطب الحسين خطبة استهلها بقوله[٤]: "أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند الله، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي...".

---

(١) الديوان،ص ١٠٧، ١٩٥، وانظرديوان الفرزدق، ص٤٣٢، ١٣٢.

(٢) الديوان،ص١٣١

(٣) الاصفهاني: مقاتل الطالبيين ، شرح السيد أحمد صقر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ص٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤: ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقام شعراء الشيعة صلة وثيقة بين أي إمام من أئمتهم والإمام الأول علي بن أبـــي طالب، فكثير عزة يرى أن ابن الحنفية يستمد سموه من والده علي بن أبي طالب فهو خير الناس. يقول [١]:

أنتَ إمـــامُ الحـــقِّ لســـنا نمـــتري

أنـــتَ الذي نرضـــى به ونرتـــجي

أنتَ ابنُ خيرِ الناسِ من بـــعد النبي

يا ابن عليٍّ ســـرِْ ومـــن مثلُ علي

حتى تحـــلّ أرضَ كـــلـــبٍ وبلـــي

و جمع عبد الله بن عباس بين التراثين القبلي والديني في احتجاجه لحق بني هاشـــم في الخلافة، فهو يقول في معرض محاورته لابن الزبير في هذا الأمر:[٢] "إن أول مـــن أخذ الإيلاف وحمى ميراث قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب. والله لقد نشأت ناشئتنا مع نائشة قريش، وإن كنـــا لقـــالتهم إذا قـــالوا وخطباءهم إذا خطبوا، وما عن مجد كمجد أولنا، وما كان في قريش مجد لغيرنا لأنها في كفر ماحق ودين فاسق وضلة وضلالة في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا، وبعث لها سراجا فأنتجه طيبا من طيبيين لا يسبه ولا يبغي عليه غائلة، فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا. ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعد واحد".

---

(١) الديوان، ص٤٩٦

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٥. وانظر محاورات ابن عباس لمعاوية، مؤلف من القرن الثالث: أخبار الدولـــة العباسية،ص٥٠-٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قال الإمام إبراهيم بن محمد لمروان بن محمد حينما حاوره في طلب الخلافة: [1]" رجوتَها وقلدتَها وأنت ابن طريد رسول الله ولعينه، وكيف لا أرجوها وأنا ابن عمه ووليه...".

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤: ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

قدسية الخليفة:

في الأدب الأموي حديث عن شخصية الخليفة، هل هي مقدسة أو غير مقدسة؟ وتباينت الفرق الإسلامية في نظرتها إلى ذات الخليفة، فنظر بنو أمية وأنصارهم إلى الخليفة نظرة فيها قدر كبير من القدسية، وربما كانت هذه النظرة مرتبطة بمنهج التعويض الذي اتبعه بنو أمية، فافتقادهم للنص والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم جعلهم يبحثون عن الأطر التعويضية التي تمثلت في الجبر والوراثة والضرورة الاجتماعية. ولم تقتصر هذه النظرة على خليفة بعينه أو عصر واحد، بل شملت معظم خلفاء بني أمية المتقدمين منهم والمتأخرين. فمعاوية بن أبي سفيان يجعل الخليفة غير محاسب يوم القيامة؛ لأن الخليفة اختيار من الله، يقول: [١] "لقد أكرم الله الخلفاء أفضل الكرامة، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنة وجعل أنصارهم أهل الشام" وظهرت هذه القدسية للخليفة عند الوليد بن عبد الملك عندما قال للفقيه الزهري "ما حديث يحدثنا به أهل الشام أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات"[٢] .وروي لهشام بن عبد الملك "أن من ولي الخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار"[٣] وخطب هشام بن عبد الملك يوم بويع بالخلافة قائلا: [٤] "الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام".[٥]

وتشكل الأحاديث السابقة صورة توحي باستحالة دخول الخليفة النار؛ لأنه مصطفى من الله عز وجل،وهو مبرّأ من الذنوب والآثام، وفي ذلك يقول عدي بن الرقاع مادحا الوليد بن عبد الملك بأن الله اختاره وجعله خليفة له على الأرض [٦]:

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥: ص١٢٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١: ص٥٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧: ص٢١٣.

(٤) الآبي: نثر الدر، تحقيق محمد علي القرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج٣: ص٦٥.

(٥) يذكر الدكتور حسين عطوان طائفة كثيرة من أحاديث القدر والجبر، في كتابه: الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي،ص٧٥-١٠٠

(٦) الديوان، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا وعدتَ الناسَ خيراً جاءَهُم عفواً وأنتَ لما تقولُ فعولُ

أمراً قضـــاهُ على لسانكَ ربـــُّنا فنداك لا عِسرٌ ولا مَمطولُ

فالحمـــدُ والنـــعمـــاءُ لله الـــذي جُـــعلتْ كرامتُه إليكَ تؤولُ

ويستغل الفرزدق هذه القدسية في إبراز قدرة عبد الملك بن مروان وانتصاره علـــى عدوه، إذ الخليفة ظل الله في الأرض ولا غالب له ؛لأنه مؤيد من الله، يقول[١]:

فـــالأرضُ لله ولاّها خـــليفـــتَهُ وصاحبُ الله فيها غيرُ مغلوبِ

واستغل بنو أمية وأنصارهم هذه القدسية في القضاء على المعارضة، فقـــد روي أن ابن سيرين قال: [٢] "ما ذكرت من قتل مع ابن الأشعث إلا قلت ليتهم لم يخرجـــوا، فـــإذا ذكرت قول الحجاج قلت: ما حل لهم إلا ما صنعوا. قال: يقول المنافقون إن خبر الســـماء قد انقطع وكذبوا، إن خبر السماء عند خليفة الله وقد أنبأه الله أنه قاتلهم ومشردهم، يقـــول هذا لأهل الشام" .

وتبدو صورة الخليفة الراعي لشؤون الناس الممارس لسلطته الاجتماعية المستمدة من الله، حاضرة في ذهن الشعراء،فهو يقوم بأمور الناس ويرعى مصالحهم،وهو نعمة من الله أسبغها عليهم،فطاعته واجبة ؛لأنها من طاعة الله، يقول عدي بن الرقاع [٣]:

نـــحن الـــرعيةُ والـــرحمنُ يحفظُنا وأنتَ في الأرضِ بعدَ الله ترعانا

قضى عليهم له في الحق قد علموا جـــهدَ الـــنصيحةِ إسراراً وإعلانا

يـــرونَ طـــاعـــتـــَهُ لله ربـــِّهـــم رضـــىً وعـــصيانَهُ لله عصيانا

فـــأنـــت غـــيثٌ بـــإذن الله أرسلهُ للـــمسلمين حَيَاً والأرض عمرانا

(١) الديوان،ص ٢٦.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٣: ص٤١٦.

(٣) الديوان، ص١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي التنظيرات الأموية حديث مهم عن الخليفة والرسول ضمن صور متقاربة أو متبادلة،إذ يجعل بعض الشعراء الخليفة في المقام الثاني بعد النبي، فالفرزدق يمدح يزيد ابن عبد الملك بأنه المؤهل لخلافة النبي لو كان بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي، لأن يزيد منتقى من الله، يقول [١]:

ولو كان بعدَ المصطفى من عبادِهِ نبيٌّ لهم منهم لأمرِ العزائمِ

لكنتَ الذي يختارُهُ الله بعدَهُ لِحملِ الأماناتِ الثقالِ العظائمِ

ويرى الفرزدق أن يزيد بن عبد الملك النبيَّ المنتظر لو لم يبشر عيسى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، يقول: [٢]

لو لم يُبشِّر به عيسى وبيّنَهُ كنتَ النبيَّ الذي يدعو إلى النورِ

ويقرن بعض الشعراء قدسية الخلفاء بقدسية الأنبياء، فالفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك بأن مقامه من مقام الأنبياء. فلو أرسل جبريل إلى غير الأنبياء لأرسل لهشام، ولو كتب الخلود لامرئ لكتب لهشام، يقول: [٣]

ولو أُرسلَ الروحُ الأمينُ إلى امرئ سوى الأنبياءِ المصطفين الأكارمِ

إذاً لأتتْ كفَّيْ هشامٍ رسالةٌ من الله فيها مُنزلاتُ العواصمِ

ولو كان حيٌّ خالداً أو مُملَّكٌ لكان هشامَ ابنَ الملوكِ الخضارمِ

وتذكر بعض الروايات أن بعض أنصار بني أمية قدّموا الخليفة على الرسول،فقد ذكر البلاذري أن " البزيغ بن خالد الضبي قال: سمعت الحجاج يقول على المنبر:أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته، فقلت:لله عليّ ألا أصلي خلفك أبدا، وإن

(١) الديوان، ص٥٩١، ص٥٥٥.

(٢) الديوان، ص١٩٠.وانظر مدحه لعمر بن الوليد بن عبد الملك، ص١٣٥

(٣) الديوان، ص٦٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيت قوما يجاهدونك لأجاهدنك،فخرج في الجماجم فقتل" [١]. ولاحظ ابن كثير هذا الأمر في ترجمته للحجاج فقال[٢]: "ومن الطامات أيضا ما رواه أبو داود: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، ثنا جرير، وحدثنا زهير بن حرب، ثنا جرير، عن المغيرة، عن بزيع ابن خالد الضبي قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبدا، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاهدنك معهم. زاد إسحاق فقاتل في الجماجم حتى قتل. فإن صح هذا عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول". وعندما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة، خطب خالد القسري قائلا: [٣] "أيها الناس، أيهما أعظم، أخليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا من فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام استسقاه فسقاه ملحا أجاجا[٤]، واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا".

و يعبّر بعض الغلاة من أنصار بني أمية تعبيرا مباشرا صريحا عن تفضيلهم للخليفة على الرسول إن صح ذلك عنهم، و من ذلك قول ابن شفي الحميري مخاطبا هشام بن عبد الملك: [٥] "أمير المؤمنين خليفة الله، وهو أكرم على الله من رسوله، فأنت خليفة ومحمد عليه السلام رسول ولعمري لضلالة بجيلة بأسرها أهون على الخاصة والعامة من ضلالة أمير المؤمنين".

وكما كان الخليفة مقدسا عند بني أمية، كان الإمام مقدسا عند الشيعة، ويبدو أن الحديث عن قدسية الإمام كان يتشكل في الدائرة الكيسانية،وتشتمل أدبيات الكيسانية النثرية منها والشعرية في هذا العصر على كثير من أفكارهم الغيبية، فابن الحنفية عندهم حي

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف،ج١٣:٣٨١

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩: ص١٥٨.

(٣) النويري :نهاية الإرب، ج٢١: ص٣١٦.

(٤) المقصود بالملح الأجاج: بئر زمزم. والعذب الفرات: البئر التي حفرها الوليد في ثنية الحجون.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩: ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرزق[١]، ومن هنا جاء مصطلح الغيبة لا الموت دلالة على الرجوع، وقد عبر كثير عزة عن هذا المعنى، إذ يرى أن ابن الحنفية لم يمت، يقول: [٢]

ما مِـتَّ يا مهديُّ يا ابنَ المهتدي أنـتَ الذي نرضى به ونرتجي

ويتمنى كثير عودة الوصي (ابن الحنفية) فقد أطال الغيبة في جبل رضوى يقول[٣]:

ألا قـلْ للـوصيِّ فدتكَ نفسي أَطـلتَ بذلك الجبلِ المـقامـا

ويرى كثير أن غيبة ابن الحنفية فيها دعوة للتفاؤل، فتصبح الغيبة ممهدة للرجوع الـذي سينتصر به الحق على الباطل، ويقام به العدل ويُزال الظلم، يقول:[٤]

وسـبطٌ لا يذوق الموتَ حتى يـقـودَ الـخيـلَ يقدمها اللواءُ
تـغـيَّبَ لا يرى عنهم زمانا بـرضـوى عـنده عسلٌ وماءُ
مـن البيتِ المحجَّبِ في سراةٍ سـراةٍ لـفّ بـيـنـهمُ الإخاءُ
عـصائبُ ليس دون أغرّ أَجْلَى بـمـكـةَ قـائـمٌ لـهم انتهاءُ

ويبدو أن هذه الصورة المقدسة لابن الحنفية كانت من صنع غلاة الكيسانية ولـم يكن لابن الحنفية يد في صوغها، فقد بلغ ابن الحنفية أن الكيسانية تقول: "إن عندهم شـيئا من العلم فقال محمد: إنا والله ما ورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين"[٥].

وأما طبيعة الخليفة عند الخوارج فهي لا تمتاز بالقدسية ولا التعظيم،وتلك نتيجـة طبيعية للفكر الخارجي المتمسك بحرفية النصوص "ولعل أكثر الخوارج لم ينصروا عليـا بادئ الأمر لكونه من سلالة النبي، وإنما لأنه كان في نظرهم أجدر الناس بالخلافة وقـد

---

(١) "الامام في نظر الكيسانية لم يمت وانه في جبل رضوى بين اسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وانه يعود بعد الغيبة فيملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً (الملل والنحل، ج١: ص١٣٤)

(٢) الديوان، ص٤٩٦

(٣) الديوان،ص ٥٣٨.

(٤) الديوان، ص٥٢١.

(٥) ابن سعد:طبقات ابن سعد، ج٥: ص٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجمع الناس على اختياره ولذا اعتبروا الخارجين عليه آنذاك كفارا كطلحة والزبير، فلما حكم في دين الله لم يعد جديرا بتولي الخلافة ووجب الخروج عليه، وهكذا تجدهم قد ربطوا بين سلوك الخليفة وعقيدته"(١).

وكان الخوارج ينددون بعلي ومعاوية وأنصارهما الضالين، فعندما قرب المَصكَّ الطائي الخارجي للقتل على يد سيف بن هانئ برئ إلى الله من قاتله سيف ومن علي بن أبي طالب ومن معاوية بن أبي سفيان،فقال: (٢)

يا لهف نفسي على سيفٍ وشيعتِهِ لو كنتُ ألحقتُ سيفاً بالخبيثينا

أبرا إلى الله من سيفٍ وشيعتِهِ ومن عليٍّ ومن أصحابِ صفينا

ومن معاويةَ الغاوي وشيعتِهِ أخزى إله الورى تلك العثانينا(٣)

وخطب أبو حمزة الشاري عند دخوله مكة، فجرّم خلفاء بني أمية وذمهم "فمعاوية لعين رسول الله وابن لعينه، ويزيد يزيد الخمور والقرود والفهود، ويزيد بن عبد الملك الفاسد في دينه، المأفون في فرجه يأكل الحرام ويشرب الخمر"(٤).

وكان القدرية يطعنون على بني أمية أيضا،ففي نقد غيلان الدمشقي لخلفاء بني أمية دليل واضح على رفض القدرية تقديس الخليفة، فقد ذكر أن هشاما قال لغيلان الدمشقي: "زعمت أن ما في الدنيا ليس هو عطاء من الله لنا. فقال له غيلان: أعوذ بجلال الله أن يأتمن أو يستخلف من خلقه فجاراً"(٥).

ويقتضي مفهوم العدل الإلهي عند غيلان والقدرية "أن الله تعالى لو عفا عن عاص يوم القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله، وإن أخرج من النار واحدا أخرج

---

(١) احسان النص : الخطابة العربية في عصرها الذهبي،ص٩٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨:٤٥، ديوان الخوارج: ص ٢٠٢.

(٣) العثانين: جع عثنون وهو طرف اللحية، انظر لسان العرب مادة عثن

(٤) انظر الخطبة في الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢: ص١٢٢-١٢٤.

(٥) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ،ص ٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هو في مثل حاله"[١] وهذا المفهوم لا يحظى بترحيب خلفاء بني أمية الذين كانوا يعتمدون على أحاديث وضعت لخدمتهم، وأهمها أن الخلفاء لا يحاسبون.[٢].

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١: ص١٤٨.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ،ج٢٠،ص٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثـــالث

ســـلطات الخليفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

السلطة السياسية :

تعد السلطة السياسية أهم السلطات ، وهي التي تحدد الأسلوب والطريقة التي يتبعها الخليفة في سوس رعيته وإدارة شؤون الدولة، فهي تمثل المعالم العامة للإدارة، ومثلت خطب المبايعة وتولّي الخلافة جزءاً من السياسة العامة التي يتبعها الخليفة. وتضم السلطة السياسية بين ثناياها أموراً عديدة أهمها: مسؤولية الخليفة في ترشيح ولي العهد، و تعيين الولاة وعزلهم، واتخاذ قرار الحرب والسلم في الأحداث الكبيرة، وإحداث التوازن والاستقرار في الأمصار المختلفة.

أ- ترشيح ولي العهد :

حرص خلفاء بني أمية على تعيين ولي للعهد يقوم بأمر المسلمين بعدهم، وذلك درءا للمفاسد التي يمكن أن تحدث بعد موت الخليفة(١)، ولم يشذ عن ذلك إلا معاوية بن يزيد فإنه لم يعهد (٢)، وعبّر معاوية بن أبي سفيان عن حرصه على وحدة الرعية وتماسكها من خلال توليته يزيد العهد، فهو يقول (٣) : "إني أرهب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لاراعي لها "، ورأى سليمان بن عبد الملك أن تولية أخيه يزيد العهد بعد عمر بن عبد العزيز فيه درء للفتن ، فهو يقول(٤): " لولا أني أخاف اختلاف بني مروان بعدي، ووقوع الفتنة. بذلك السبب ما وليت يزيد، ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز " ،وعبّر عمر بن عبد العزيز عن شعور سليمان هذا، إذ رأى أن درء المفاسد خير من جلب المنافع، فقد قال عند احتضاره (٥):" لو اخترت للأمة غير يزيد كان أولى، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن يقع في ذلك فتنة وفرقة، وأنا أولّي سليمان ما تولّى، والمسلمون أولى بالنظر في أمرهم ".

ورغب خلفاء بني أمية في تولية أبنائهم العهد " إلا عمر بن عبد العزيز، فإنه شذ عنهم، ولكنه لم يستطع أن يخرجها منهم، وكانوا فريقين، فمنهم من عهدوا إلى أبنائهم، وسهلوا لهم الطريقة إلى الفوز بالخلافة ، ومنهم من اشتهوا الخلافة لأبنائهم وتأتّوا لصرفها إليهم ولكنهم أخفقوا في عقد العهد لهم، لأنهم عجزوا عن خلع أولياء العهد المبايعين " (٦).

---

(١) انظر في ذلك، حسين عطوان: نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة ، ص٤٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٥، ص٥٣٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٥،ص٣٠٤ ، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ،ص١٦٦.

(٤) اللاذري: انساب الأشراف ج٨،ص٢٤٣.

(٥) البلاذري: انساب الأشراف ، ج٨،ص٢٤٣.

(٦) حسين عطوان: الامويون والخلافة ،ص ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهرت هذه الرغبة في تولية الأبناء العهد في خطب الخلفاء ومحاوراتهم ، فهذا معاوية بن أبي سفيان يخطب قائلا [١]: " الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني قد كبر سني ووهن عظمي وقرب أجلي وأوشكت أن أُدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلــف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا ..." .

وأراد عبد الملك بن مروان أن يخلع أخاه عبد العزيز عن ولاية العهد ويوليها ابنه الوليد، فكتب إلى أخيه "إن رأيت أن تصيّر هذا الأمر لابن أخيك، فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين، فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد "[٢]، وأراد الوليد بن عبد الملك أن يبايع لابنه عبد العزيز [٣]،وحاول سليمان أن يعهد لولده أيوب، [٤]وعهد الوليد بن يزيد إلى ولديه الحكم وعثمان [٥].

وعلى الرغم من أن ترشيح ولي العهد من مسؤولية الخليفة السياسية، إلا أن خلفاء بني أمية وجدوا صعوبات جمة في خلع ولي العهد المبايع، وتولية أبنائهم، وذلك بسبب حرص بني أمية على الوحدة والاستقرار وعدم إثارة الفتن والخلاف داخل الدولة، فلم يخلع عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز عن ولاية العهد، رغم سعيه لذلك. [٦] ولم يستطع الوليد ابن عبد الملك أن يخلع أخاه سليمان، فقد ذكر المدائني انه "كان الوليد وسليمان وليي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز، ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس، فقال عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك ، فاكتب إلى سليمان" [٧].

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ،ج١،ص١٢١.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٤٥.
(٣) المصدر السابق ،ج٦، ص٤٨٩.
(٤) المصدر نفسه ، ج٦، ص٥٣١.
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٤٥.
(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٤٥.
(٧) المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأراد سليمان أن يقصي أخويه مروان ويزيد عن ولاية العهد وأن يجعلها لولده[١]،وتمنى يزيد خلع أخيه هشام عن ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد [٢]، وحاول هشام ابن عبد الملك أن يخلع ابن أخيه الوليد بن يزيد ويولي ابنه مسلمة فلم يقدر [٣].

ولم توجد في هذا العصر صيغة محددة لتولية العهد، فقد انتقلت الخلافة من الفرع السفياني إلى المرواني بعد وفاة معاوية الثاني [٤] وبايع مروان بن الحكم لولديه عبد الملك وعبد العزيز [٥]، وبايع عبد الملك لولديه الوليد وسليمان [٦] وبايع الوليد بن عبد الملك لأخويه سليمان ويزيد[٧]، وبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز وأخيه يزيد [٨] وبايع يزيد لأخيه هشام وابنه الوليد بن يزيد [٩]،وبايع الوليد بن يزيد لولديه الحكم وعثمان[١٠]، وبايع يزيد بن الوليد بن عبد الملك لأخيه إبراهيم [١١].

وقد يرشَح ولي العهد لتقواه كما في مبايعة سليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وتقديمه له على أخيه يزيد بن عبد الملك [١٢]. وقد يرشح ولي العهد من غير ولد الخليفة لصغر ابنه كما في مبايعة يزيد بن عبد الملك لأخيه هشام بن عبد الملك ، إذ كان الوليد بن يزيد صغير السن [١٣]. وقد يخالف الخليفة المبدأ الذي رسخه بنو أمية في أن يكون ولي العهد من أبناء الحرائر، فقد عقد الوليد بن يزيد البيعة لابنه الحكم وهو ابن أمة[١٤]، وهذا العمل الذي قام به الوليد يدل على" تطور في فكره السياسي، وهو تطور نشأ عن عمق فهمه للإسلام، واستجابته لما يدعو إليه من المؤاخاة بين المسلمين والمساواة بينهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم، مما أدى إلى تخلصه من عقدة النسب التي كان الخلفاء المروانيون السابقون يتحرجون منها، ولا يجرؤون على التخلي عنها " [١٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٦، ص٥٣١.
(٢) البلاذري: انساب الأشراف ،ج٧، ص٢٠٩.
(٣) المصدر نفسه،ج٩، ص٣٥٠.
(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٥، ص٥٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٦١ .
(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٦١
(٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٩٩.
(٨) المصدر نفسه ،ج٦، ص٥٥١.
(٩) المصدر نفسه ،ج٧،ص٢٠٩.
(١٠) المصدر نفسه ،ج٧، ص٢١٨.
(١١) تاريخ خليفة ،ص٢٩٣.
(١٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦،ص٥٥.
(١٣) البلاذري: انساب الأشراف، ج٨، ص٣٧١
(١٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧،ص٢١٨.
(١٥) حسين عطوان: الأمويون والخلافة ،ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظهر الشعراء سلطة الخليفة في ترشيح ولي العهد، فقد حثّوا خلفاء بني أمية على ممارسة هذه السلطة والعمل على توليه أبنائهم العهد، فهذا مسكين الدرامي يحث معاوية على عقد البيعة لابنه يزيد، فهو يقول [١].

بَني خُلفاءِ اللهِ مهــلاً فإنمــا يُبوئُها الرحمنُ حيثُ يريدُ
إذا المنبُر الغربيُّ خلاّه ربُهُ فإن أميرَ المؤمنينَ يزيــدُ

وحض بعض الشعراء خلفاء بني أمية على أن يجعلوا عقد البيعة وراثة مباشرة فيهم، ومن الأب للابن، ومن ذلك قول عبد الله بن همام السلولي مخاطبا يزيد بن معاوية أن يولي ابنه العهد: [٢].

أعطيت طاعةَ أهل الأرضِ كلهمِ فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرَعــاكا
وفي معاويةَ الباقــي لنــا خَلَفُ إذا هَلَكْتَ ولا نَسمعْ بِمنعاكا

ويرى ابن همام السلولي أن عقد البيعة سُنة أموية ، وعلى يزيد بن معاوية أن يتبعها ، فيعقد البيعة لولده معاوية، يقول ابن همام :[٣]

يزيدُ يا ابنَ أبي سفيان هل لكُمُ إلى ثنــاءٍ وودٍّ غيــرِ مُنصــــرمِ
فاعهدْ بِقائلكمُ خُذها يزيدُ وقُــلْ خُذها مُعاويَ غيرُ العاجزِ الهَــرمِ
ولاتحُطّ بها في غيــرِ داركُــمُ إنّي أخافُ عليكــمْ حَيــرةَ النَّــدمِ
إنّ الخلافَة إنْ تعرفْ لثالثكــمْ تثبــت معادِنهــا فيكــمْ ولاتَــرُمِ

وحضّ جرير الوليد بن عبد الملك على عقد البيعة لابنه عبد العزيز ، فهو جدير بها إذ إنه خيار الوليد والرعية، يقول :[٤]

إلى عبد العزيز سَمتْ عيون الــ رعيةِ إن تُخيّــرَتِ الرِّعــــاءُ
إليــه دعــتْ دواعيَــهُ إذا مــا عِمادُ المُلكِ خرّتْ والسمــــاء
وقــال أولو الحكومةِ من قريشٍ علينا البيْــعُ إذ بلــغَ الغــلاءُ
رأوا عبدَ العزيــز ولــيّ عهــدٍ وما ظلموا بــذاك ولا أســاؤا
فــزحلفهــا بأزفُلهــا إليــهِ أميرَ المــؤمنين إذا تشــاء[٥]

---

(١) الديوان ،٣٣.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ،ج٢، ص١٠٩.
(٣) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء ،ص٦٢٩.
(٤) الديوان،ص١٤
(٥) زحلفلها : ادفعها اليه . بازفلها : باجمعها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضا حاضاً الوليد على عقد البيعة لعبد العزيز :[١]

إذا قيل أيّ الناس خيرُ خليفةٍ أشارتْ إلىعبدِ العزيزِ الأصابعُ

رأوهُ أحقّ الناس كُلِّهمُ بهـا وما ظلمُوا إنْ بايعوهُ وسارعـوا

وأيّد جرير سليمان بن عبد الملك في عقد البيعة لابنه أيوب، إذ يرى جرير أن أيوب ذو علم ومعرفة وفضل من الله ، يقول :[٢]

إنّ الإمامَ الذي ترجى نُوافلهُ بعدَ الإمامِ ولي العهـدِ أيـوبُ

الله أعطاكمُ من علمـهِ بكـمُ حكما وما بعد حكم الله تعقيـبُ

الله فضلـــهُ والله وفّقـــهُ توفيقَ يوسفَ إذ وصاهُ يعقوبُ

ويُعظّم الفرزدق سليمان بن عبد الملك ، لأنه أراد تولية ابنه أيوب العهد، يقول:[٣]

جعلتَ لَهُمْ وراءَكَ فاطمأنـّوا مكانَ البدرِ إذ هَلكُوا هِلالا

وليَّ العهدِ من أبويـكَ فيـهِ خلائقُ قدْ كَمَلْنَ له كَمـَالا

تقىً وضمانةً للنـاس عَـدْلاً وأكثرَ مَنْ يُلاثُ بهِ نوالا[٤]

وعندما أراد هشام بن عبد الملك أن يخلع الوليد بن يزيد عن ولاية العهد ، ويعقدها لابنه مسلمة، قال الكميت مستحسنا هذا العمل : [٥]

إن الخـلافةَ كائنٌ أوتادُها بعدَ الوليدِ إلى ابنِ أمّ حكيمِ

---

(١) البلاذري: انساب الأشراف ،ج٨، ص٨٧.

(٢) الديوان ،ص٣٤.

(٣) الديوان ،ص٤٤٧.

(٤) يلاث: يلتف حوله .

(٥) البلاذري: انساب الأشراف ،ج٨، ص٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- تعيين الولاة وعزلهم :

كان للولاة دور مهم في الدولة الإسلامية ، فهم الذين ينفذون سياسة الخليفة، ويتكلمون باسمه ويحاربون دفاعا عنه وعن الخلافة، وكانوا على ارتباط مباشر بالخليفة، وكثيرا ما كان الخليفة يتقصى أخبارهم ويتابع سياساتهم في الأمصار المختلفة.

وحفظت المصادر الأدبية والتاريخية أسماء الولاة الذين عينوا أوعزلوا في ذلك الوقت، وذكر خليفة بن خياط ثبتا كاملا بأسماء الولاة في العصر الأموي، فمن أشهر الولاة في عهد معاوية، عمرو بن العاص عامله على مصر، وعقبة بن نافع الفهري عامله على أفريقيا، وعبد الله بن عامر بن كريز عامله على البصره، ومروان بن الحكم عامله على المدينة ومكة والطائف، والمغيرة بن شعبة عامله على الكوفة، وولى زياد بن أبيه البصرة سنه ٤٥ هـ[١]، ويلاحظ أن عمال معاوية في بداية تكوين الدولة كانوا من الأقربين، وربما يعود هذا الأمر إلى حرص معاوية على التعامل مع أُناس يثق بهم، لأن دولته ناشئة، وكان يحرص على استقرار أمره .

وتتضمن المصادر التاريخية المختلفة سائر عمال بني أمية على الأمصار، وليس هنا مقام حصرهم، ولكن يلاحظ أن ثمة تفاوتا في طبيعة الولاة الذين استعملوا في هذا العصر، فإذا كان معاوية بن أبي سفيان اعتمد على أقاربه في إدارة شؤون الدولة، فإن عمر بن عبد العزيز اعتمد على أهل الفقه والعلم ، وكان ولاته من ذوي الخبرة والمعرفة بالأمور الفقهية، فقد كان عدي بن أرطاة الفزاري على البصرة، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن نعيم على خراسان، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد على مكة وأبو بكر محمد ابن عمرو بن حزم على المدينة، وكلهم من الفقهاء [٢].

وجهد خلفاء بني أمية أن يتبعوا أسسا معينة في تعيين ولاتهم وعمالهم، فكان "معاوية إذا أراد أن يولي رجلا من بني حرب ولاّه الطائف، فإن رأى منه ما يعجبه ولاه مكة معها ، فإن أحسن الولاية وقام بما ولي قياما حسنا جمع له معها المدينة"[٣].

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ، ص١٤٥-١٧٤.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٥١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتخذ خلفاء بني أمية من تعيين الولاة وسيلة إلى التلاحم والتماسك بين الرعية عامة، وأنصار بني أمية خاصة، فعندما قدم عبد الرحـــمن بن زياد وافداً على معاوية قال[١]: "يا أمير المؤمنين أما لنا حق؟ قال: بلى، قال: فماذا توليني ؟ قال: بالكوفة النعمان رشيد، وهو رجل من أصحاب النبي صلى الله علية وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان، وعبّاد بن زياد على سجستان، ولست أرى عملا يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله ، قال أشركني، فإن عمله واسع يحتمل الشركة، فولاّه خراسان".

وكان الخليفة أحياناً يعين ولاته ويعزلهم بناءً على رغبة الرعية ، وذلك حرصا على استقرار المجتمع ، فمما يذكر في هذا الشان أن عبيد الله بن زياد وفد في أهل العراق إلى معاوية، فقال معاوية :[٢] "إئذن لوفدك على منازلهم وشرفهم، فأذن لهم، ودخل الأحنف في آخرهم، وكان سييء المنزلة من عبيد الله، فلما نظر إليه معاوية رحب به، وأجلسه معه على سريره، ثم تكلّم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله، والأحنف ساكت، فقال: مالك يا أبا بحر لا تتكلم! قال: إن تكلمت خالفت القوم، فقال: انهضوا فقد عزلته عنكم، واطلبوا والياً ترضونه"، وعندما عزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز، وولّى الوليد بن عتبة سنة ٦١ هـــ، وأراد أن يأخذ عبد الله بن الزبير، عمل ابن الزبير بالمكر في أمر الوليد بن عتبة، فكتب إلى يزيد بن معاوية "إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق لا يتجه لأمر رشد، ولا يرعوى لعظة الحكيم، ولو بعثت إلينا رجلا سهل الخلق، لين الكنف، رجوت أن يشمل من الأمور ما استوعر منها، وأن يجمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا، إن شاء الله، والسلام" [٣]، فعزل يزيد الوليد بن عتبة، وبعث مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

ورغب بنو أمية في بسط سلطتهم على جميع الأمصار، فعمدوا إلى تعيين ولاة أقوياء يكونون عونا لهم في القضاء على المعارضة، وهذا ما عبّر عنه زياد بن أبيه عندما كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يقول له [٤]: "قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فأشغلها بالحجاز" .ولما قدم مسلم بن عقيل الكوفة، كتب عبد الله بن مسلم الحضرمي – حليف بني أمية في الكوفة – إلى يزيد بن معاوية " أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة، فبايعته

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣١٧.
(٣) المصدر نفسه ، ج٧، ص٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة، فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك، وعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف[١]"

وعندما اجتمعت كتب أنصار بني أمية في الكوفة عند يزيد بن معاوية، تحذره من تحركات مسلم بن عقيل، كتب يزيد بعهده إلى عبيد الله بن زياد يوليه الكوفة، ويأمره أن يقضي على حركة مسلم، إذ يقول في كتابه: [٢] "أما بعد، فانه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسِرْ حين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوقفه أو تقتله أو تنفيه والسلام ، "وكتب هشام بن عبد الملك إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو على اليمن سنه ١٢٠هـ، أن "سِرْ إلى العراق، فقد وليتك إياه، وإياك أن يعلم بذلك أحد، وخذ ابن النصرانية وعماله فاشفني منهم" [٣].

ومارس الخلفاء الأمويون سلطتهم في مراقبة الولاة والسؤال عن سيرتهم في الرعية، فقد كان عبد الملك بن مروان " شديد اليقظة، كثير التعاهد لولاته"[٤]، وكذلك كان سليمان بن عبد الملك،إذ كان يراقب ولاته مراقبة دقيقة[٥]. وأظهرت مكاتبات عمر بن عبد العزيز مع عماله، حرصا شديداً على متابعة ما يقوم به الولاة[٦]،وكان هشام ابن عبد الملك أكثر خلفاء بني أمية متابعة لولاته، وكان كثير المحاسبة لهم ، قال كاتبه غسان بن عبد الحميد:[٧] "لم يكن أحد من بني أمية أشد نظراً في أمر أصحابي ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام"، وسأل هشام الوفد الذي جاء من عند نصر بن سيار، عن نصر، فقالوا: [٨]" ليس بالشيخ يخشى خرفه، ولا الشاب يخشى سفهه، المُجرِّب المُجرِّب، قد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته".

وظهرت سلطة الخليفة في عزل الولاة، وكانت هنالك أسباب كثيرة لعزلهم، فقد عزل بعض الولاة لسوء أخلاقهم، وأنهم لا يمثلون قدوة لرعيتهم، ومن ذلك عزل معاوية لابن أخته ابن أم الحكم، فقد قيل لمعاوية[٩] "إن ابن أختك صاحب شراب ويشرب مع سعد بن

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٩٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٥٣.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص٢٣٠.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٢٢.

(٦) ابن الجوزي: سيرة عمر ص٨٦.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧،ص٢٠٣.

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧،ص١٩٤.

(٩) البلاذري: انساب الاشراف ،ج٥، ص١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هبّار من ولد أسد بن عبد العزى بن قصي " ، وعزل عمر بن عبد العزيز عددا من ولاته، لأنهم لا يمثلون النموذج الإسلامي الذي يشدد عليه عمر، فقد كتب إلى الجراح بن عبد الله الحكمي واليه على البصرة: [١]" بلغني أنك قد استعملت عبد الله بن الأهتم، وإن الله عزوجل لم يبارك لعبد الله ولأهل بيته في العمل، فإذا أتاك كتابي هذا فاعزله، وإنه مع ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين، وبلغني أنك استعملت عمارة الطويل، ولا حاجة لي بعمارة، ولا بضرب عمارة، ولا برجل غمس يده في دماء المسلمين، فإذا أتاك كتابي هذا فاعزله، وبلغني أنك استعملت السيّال بن المنذر، وإني لا أرى ما سيّالك هذا".

وعُزِل بعض الولاة لأن مواقفهم كانت تتعارض وتوجهات الخليفة، فقد عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة وقال له [٢]:" أعزلك لثلاث لو لم تكن إلا واحدة منهن لوجب أن تقتلع اقتلاع الصمغة، قال: وما هن ؟ قال: أتيتني وعبد الله بن عامر في يدي وقد أقرّ لي بألف ألف درهم فانتزعته مني، واستصرختك ابنتي على زوجها فلم تصرخها، ورأيت انك قد ذهبت في السماء عاليا فأردت أن أضع منك".

وكتب عبد الملك بن مروان رسالة إلى عامله على البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص، موضحاً فيها أن عزله إياه كان بسبب مخالفته لأوامر عبد الملك في إدارة الحرب، إذ قال له في الرسالة: [٣] " أما بعد، فإني كنت حددت لك حدّاً في أمر المهلب ، فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك، فوليت المهلب الجباية، ووليت أخاك حرب الأزارقة، فقبح الله هذا رأياً ! أتبعث غلاماً غرّاً لم يجرب الحروب، وتترك سيداً شجاعاً حازماً قد مارس الحروب ففلج [٤]، تشغله بالجباية؟ أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري مالا بقية لك معه، ولكن تذكرت رحمك فكفتني عنك، وقد جعلت عقوبتك عزلك، والسلام".

وكان حِرْص بني أمية على استقرار الدولة ودرء الفتنة دافعاً مهما لعزل بعض الولاة، إذ مثل هذا العزل إرضاء للرعية، وإشعاراً من الخليفة بأنه معنيّ بأمنهم وسلامتهم، فعندما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان سنة ٨٢ هـ، بعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمداً إلى أهل العراق وأمرهما " أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام [٥].

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر ص٨٦.

(٢) البلاذري: انساب الأشراف ،ج٥، ص١٤٥.

(٣) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ،ج١، ص٣٩٥.

(٤) فلج : فاز .

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦،ص٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستغل الحجاج حِرص الخلفاء الأمويين على استقرار المجتمع وأمنه، كي ينتقم من عمر بن عبد العزيز الذي أجار الخارجين على الخليفة ، واتّهم الحجاج بالظلم والجور عند الوليد بن عبد الملك، فقد كتب الحجاج إلى الوليد "إن مَنْ قبلي مِنْ مُراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجأوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن، فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر عليّ برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، ، فولّى خالداً مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز" [١].

وفي سنة ١٠٤ هـ عزل يزيدُ بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عن المدينة ومكة لأنه أظهر معاملة غير حسنة لفاطمة بنت الحسين، إذ كان يلحّ على الزواج منها [٢]، وعزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن خراسان وصرف أخاه أسداً عنها، لأن أسدا تعصب للأزد وأفسد الناس بالعصبية[٣].

وقام هشام بن عبد الملك بعزل خالد القسري ١٢٠ هـ لأنه سفّه رجلاً من آل عمرو بن سعيد بن العاص ، وأراد التقليل من هيبة قريش والخلافة ، فكتب هشام يعزله[٤].

وتحدث الشعراء الموالون لبني أمية عن سلطة الخليفة في تعيين الولاة وعزلهم، إذ مدحوا خلفاء بني أمية لتعيينهم أو عزلهم بعض الولاة تارة، وعاتبوهم تارة أخرى لأنهم أبقوا على بعض الولاة، فهذا الفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك بالعدل، ولكنه يبث شكواه إلى الخليفة من سوء معاملة الوالي للرعية، فيفرض عليهم من الضرائب ما لا يطيقون، فهو يقول:[٥]

رجاكَ المشرقانِ لكلِّ عـــانٍ ... وأرملـــةٍ وأصحـــابُ الثُّغـــورِ
وكنتَ جعلتَ للعمّال عهـــداً ... وفيـــهِ العاصمـــاتُ من الفُجورِ
فمن يأخذْ بحبلِكَ يجْلُ عنـــهُ ... عشا عينيهِ منكَ بيـــاضُ نـــُورِ
أميرَ المؤمنين وأنتَ تشفـــي ... بعـــدلِ يـــديكَ أدواء الصُّـــدورِ
فكيفَ بعاملٍ يسعى علينـــا ... يُكلّفنُـــا الدراهـــمَ في البُـــدورِ
وأنّى بالدراهـــمِ وهيَ منَّـــا ... كرافعِ راحتيـــهِ إلى العَبـــورِ [٦]

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٤٨٢.
(٢) المصدر نفسه ،ج٧،ص١٢.
(٣) المصدر نفسه ، ج٧، ص٤٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص١٤٥.
(٥) الديوان ،٢٥٠.
(٦) البدور : مطالع الاهلة . العبور : كوكب يطلع في الجوزاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الفرزدق معاتباً يزيد بن عبد الملك أنه ولّى العراق عمر بن هبيرة، وهو رجل غير موثوق، سيئ الخلق، وهو غير مؤتمن على امتطاء الحصان، يقول: [١]

أميــرَ المؤمنينَ وأنتَ والٍ شفيقٌ لستَ بالوالي الحريصِ[٢]
أأطعمــتَ العراقَ ورافديْهِ فَزارِياً أَحَذَّ يــدِ القميــصِ [٣]
ولم يكُ قبلَها راعي مَخَاضٍ لِيأمَنَهُ على وَرِكَيْ قَميــص [٤]
تفيهقَ بالعــراقِ أبو المُثنَّى وعلَّمَ قومَهُ أَكْلَ الخبيــصِ[٥]
ستحملُهُ الدَّنيئةُ عن قليــلٍ على سِيساءِ ذِعْلَبَةٍ قَمُوصِ[٦]

ومدح الشعراء بعض الولاة ، ولكن هذا المدح في الحقيقة مدح للخليفة الذي عيّن هذا الوالي، فهذا الفرزدق يمدح المهاجر بن عبد الله الكلبي عامل هشام بن عبد الملك على اليمامة أنه جاء ليقضي على الفرقة ويقيم الوحدة والأمن، يقول: [٧]

رأيتُ هشاماً سدَّ أبــوابَ فتنــةٍ براعٍ كَفَى مِن خوفهِ ما يُحاذرُهْ
بمُنتخَبٍ من قيس عِيلانَ صعَّدتْ يَدَيْهِ إلىذات البُرُوجِ أكابِــــرُهْ
فما أَحدٌ مِنْ قيسِ عيلانَ فاخــراً عليهِ ولا منهمْ كثيرٌ يُكاثِــــرُهْ
ونامتْ عيونٌ كان سُهِّــدَ ليلُهَــا وفتَّحَ باباً كُلُّ بــادٍ وحاضِــرُهْ

وقال جرير يمدح المهاجر بن عبد الله الكلابي بأنه حَسَنُ المعاملة للرعية، لأنه مقيم للعدل فيهم، يقول : [٨]

لقد بعثَ المُهاجرَ أهــلُ عــدْلٍ بعَهْدٍ تَطمئِنُ بــهِ القلــوبُ
تَنجَّبــكَ الخليفــةُ غيــرَ شــكٍّ فساسَ الأمرَ مُنْتَجَــبٌ نَجيبُ
فحُكْمُكَ يا مهاجرُ حكمُ عدلٍ ولوكَرِهَ المنافــقُ والمُريــبُ

---

(١) الديوان ،ص٣٣٨.
(٢) الحريص : شديد القسوة .
(٣) الاحذ : المقطوع اليد ، اراد انه قصير اليدين عن طلب المعالي .
(٤) القميص : ضرب من العدو .
(٥) تفيهق: توسّع وتنطح ، ابو المثنى : كنية المخنث .، الخبيص: حلوى من تمر وسمن
(٦) السيساء : الظهر . الذعلبة : الناقة السريعة، اراد ان اعماله الدنيئة ستركبه مركبا صعبا .
(٧) الديوان ،ص٣٨١.
(٨) الديوان ،ص٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدح جرير خالداً القسري بأنه أخضع العراق لحكم بني أمية ، وأنه حكم بالعدل، وأقام الحق ، يقول: [١]

لقد كان داءٌ بالعراق فما لَقُــوا ... طبيباً شفــى أدواءهم مثلَ خــالدِ
شفاهُمْ برفقٍ خالطَ الحِلْمَ والتُّقَى ... وسيرةِ مَهديٍّ إلىالحقِّ قاصـــدِ
فإنَّ أميرَ المؤمنيــنَ حَباكُــمُ ... بمُستبصرٍ في الدِّينِ زينِ المساجدِ
فإنَّ ابنَ عبدِ الله قد عُرفتْ لهُ ... مواطنُ لا تُخزيهِ عند المَشاهــدِ
فأبلى أميرَ المؤمنينَ أمــانــةً ... وأَبلاهُ صِدقاً في الأمورِ الشدائدِ

ج- اتخاذ قرار الحرب والسلم في الأحداث الكبيرة :

وهي سلطة مهمة لأنها قد تحدد مصير الدولة، إذ يصبح الخليفة منافحا عن الدولة ضد الغزوات الخارجية، والثورات الداخلية التي قامت عليه. وقد مارس خلفاء بني أمية هذه السلطة على نطاق واسع، فعلى المستوى الخارجي أقرَّ الخلفاء الأمويون سياسات وقرارات حاسمة في التعامل مع الدول والقوميات المختلفة، فكانت الفتوحات الأموية مظهرا دالا على ممارسة الخليفة سلطته السياسية في إقرار الحرب والسلم. ويسرد خليفة ابن خياط جريدة طويلة من الغزوات التي أمر بها الخلفاء [٢]، ففي سنه ٥٠ هـ وجه معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع إلى إفريقيا فخطّ القيروان وأقام بها ثلاث سنين [٣]، ووجه عبد الملك إلى المغرب [٤]، وبعث ابنه يزيد بن معاوية وأبا أيوب الأنصاري لغزو الروم [٥]، وأغزى يزيدُ بن معاوية يزيدَ ابن أسد أرض الروم سنه ٦٤ هـ [٦].

---

(١) الديوان ،ص١٣٧.
(٢) انظر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ،ص١٥٠-٣٢٠.
(٣) تاريخ خليفة ،ص١٥٨.
(٤) المصدر نفسه ،ص١٥٨.
(٥) المصدر نفسه ،ص١٥٩.
(٦) المصدر السابق ،ص١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر سلطة الخليفة في عقد الحرب جلية من خلال المراسلات والمكاتبات التي كانت تجري بين الخلفاء وولاتهم، وأظهرت هذه المراسلات المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الخليفة، فعندما تعرض المسلمون إلى القتل والتنكيل على أيدي الترك سنة ٨٠ هـ، كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج، يدعوه إلى قتال رتبيل ملك الترك، فقال [١]: "أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر به مصاب المسلمين بسجستان، وأولئك قوم كتب الله عليهم، فبرزوا إلى مضاجعهم، وعلى الله ثوابهم، وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرج الذي أصيب به المسلمون أو كفّها، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موفقاً"، وفي عهد الوليد بن عبد الملك حدثت فتوحات مهمة كفتح أرمينية والأندلس وعمورية وكابل وخوارزم [٢].

وفي عهد سليمان فتحت جرجان وطبرستان، وبعث سليمانُ بن عبد الملك مسلمةَ ابن عبد الملك لفتح مدينة الصقالبة سنه ٩٨ هـ [٣].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز أغارت الترك والخزر على أرمينية وأذربيجان، فقتلوا من المسلمين جماعة، ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي[٤]، وفي عهد يزيد بن عبد الملك فتحت صقلية ومدن كثيرة من أرض الروم[٥]،وفي خلافة هشام التي استمرت عشرين عاما، حدثت فتوحات أموية كثيرة كانت تتجه نحو ارض الروم وبلاد ما وراء النهر[٦]، وأغزى الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد بن عبد الملك وأمره أن يسير إلى قبرس [٧]، وهكذا تسترسل المصادر التاريخية والأدبية في الحديث عن الغزوات التي حدثت في عهد الخلفاء .

وكما مارس الخلفاء سلطتهم السياسية في اتخاذ قرار الحرب ، مارسوا حقهم في إقرار الصلح مع الملوك والأمراء الذين حاربوهم ، فقد يعقد الخليفة صلحا مع الأعداء

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه ،ج٦، ص٣٢٧.
(٣) المصدر نفسه ،ج٦، ص٥٣٢ . تاريخ خليفة ،ص٢٤٤-٢٤٦.
(٤) المصدر نفسه ،ج٦،ص٥٥٣.المصدر نفسه، ٢٤٩.
(٥) تاريخ خليفة ،ص٢٤٥-٢٥٨.
(٦) انظر تاريخ خليفة ص٢٦٢-٢٨٢.
(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧، ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقنا لدماء المسلمين، ويذكر الطبري أنه في سنة ٧٠ هـ ثارت الروم " واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين ، فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين" [١].

وأظهر عمر بن عبد العزيزعدلاً وتقيً في تعامله مع أهل سمرقند ، إذ أخرج جيش المسلمين من هذه البلدة لأنه دخلها بغيا وظلماً، فمما يذكر أن أهل سمرقند شكوا إلى عمر بن عبد العزيز أن قتيبة أخذ بلادهم عنوة، فغدر بهم وظلمهم، فكتب عمر إلى عامله سليمان بن أبي السرى" أن أهل سمرقند قد شكوا إلي ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فان قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة" [٢]، وقد يقر الخليفة فعل الوالي في الصلح وعقد المعاهدات ، كما فعل هشام بن عبد الملك إذ أقرّ الصلح الذي عقده نصر بن سيار مع أهل السُّغد [٣].

وأما على المستوى الداخلي ، فقد ظهرت سلطة الخليفة جلية في المشاركة الفاعلة في القضاء على حركات الخارجين على الدولة ، خاصة تلك الحركات التي لاقت تأييداً من طوائف من الناس ، وأحياناً كان الخليفة يقود الحرب قيادة ميدانية، فعندما نزل مصعب بن الزبير الكوفة سنه ٧١ هـ، استعد عبد الملك بن مروان لملاقاته، فقال له رؤساء أهل الشام [٤]" يا أمير المؤمنين، لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك، ثم سرحته إلى مصعب ، فقال عبد الملك: أنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأي، ولعلي ابعث من له شجاعة ولا رأي له، وإني أجد في نفسي أني بصير بالحرب، شجاع بالسيف إن ألجئت إلى ذلك، ومصعب في بيت شجاعة، أبوه أشجع قريش، وهو شجاع ولا علم له بالحرب، يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي".

وكانت ثورات الخوارج على الخليفة متتابعة لا تفتر ولا تلين ، ويكاد لا يخلو عهد خليفة من ثورة للخوارج ، ففي سنة ٧٢ هـ ثار الخوارج على عبد الملك، فكتب

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج،٦،ص١٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٥٦٨.

(٣) المصدر نفسه ،ج٧، ص١٩٢.

(٤) المصدر نفسه ،ج٦، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أخيه بشر بن مروان عامله على الكوفة ، يأمره بإمداد خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاصي عامله على البصرة ، بالجنود لمناجزة الخوارج ، ومما جاء في كتابه " أما بعد فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض إلى الخوارج، فسرّح إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه ، فإذا قضوا غزاتهم تلك، صرفتهم إلى الرّي فقاتلوا عدوهم، وكانوا في مسالحهم وجبوا فيئهم حتى تأتي أيام عقبهم فتعفيهم وتبعث آخرين مكانهم [١]، وبعث عبد الملك بن مروان بكتاب إلى بشر بن مروان وهو بالكوفة سنه ٧٤ هـ ، آمراً إياه بتزويد المهلب بن أبي صفرة بذوي الخبرة والشجاعة كي يقاتل بهم الازارقة الخوارج ، وجاء في الكتاب " أما بعد ، فابعث المهلب في أهل مصر إلى الازارقة من أهل مصره ووجوههم وفرسانهم وأولي الفضل والتجربة منهم، فإنه أعرف بهم. وخلِّه ورأيه في الحرب، فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين، وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً حسيباً صليباً يعرف بالبأس والخبرة والتجربة للحرب، ثم أنهض إليهم أهل المصرين فليتبعوهم أيَّ وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم، والسلام عليك"[٢].

وعندما اقترب شبيب الخارجي من المدائن سنه ٧٧هـ كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان " أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيباً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في كلها يقتل أمراءهم، ويفلُّ جنودهم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل، والسلام"[٣]. فلما أتى عبد الملك كتابه، بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف، وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين. وحاربهم الوليد بن عبد الملك وكان عنيفاً معهم، وخرج على زمنه زياد الأعثم والهيصم بن جابر [٤]، وقاتلهم سليمان بن عبد الملك، فقضى على الثورة التي قام بها داود العبدي [٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص١٧١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص١٩٦.

(٣) المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٥٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ،ج٨، ص٩٥.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ،ج٨،ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحارب عمر بن عبد العزيز الخوارج ، ولكنه كان رحيما بهم، وأوصى ولاته بأن يكونوا رحماء بمن يقاتلونهم، فهو يكتب إلى يحيى بن يحيى عامله على الموصل بشأن قتال الخوارج: " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يحيى بن يحيى، أما بعد فإني ذكرت في كتاب الله "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" وإن من العدوان قتل النساء والصبيان، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً، ولا تقتلن أسيراً، ولا تطلبن هارباً، ولا تجهزن على جريح إن شاء الله " [١]،وفي سنه ١٠٠ هـ بعث عمر بن عبد العزيز جيشا بقيادة مسلمة بن عبد الملك لقتال الخوارج [٢].

وحارب يزيد بن عبد الملك أولئك الخوارج، ففي سنه ١٠١ هـ وجه جيشا بقياده عبد الحميد بن عبد الرحمن لقتال شَوْذَب الخارجي [٣].

وفي سنه ١٢٦ وجه مروان بن محمد جيشا بقيادة ابنه عبد الله لمحاربة الضحاك بن قيس الخارجي[٤]، وفي سنه١٣٠هـ أعدّ مروان بن محمد جيشاً لدخول المدينة كي يقاتل أبا حمزة الشاري الخارجي [٥].

وفي ثورة ابن الأشعث كان للخليفة عبد الملك بن مروان دور مهم حاسم في القضاء عليها، إذ كان لخطبه ومكاتباته أثر نفسي كبير في نفوس جنده، فعندما ثار ابن الأشعث سنه ٨١ هـ وخلع الحجاج وعبد الملك، كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يسأله أن يبعث إليه بالجنود ، فخرج عبد الملك إلى الناس فقال [٦]: "إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري، اللهم سلّط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك".

وفي سنه ١٠١ هـ وجه يزيد بن عبد الملك جيشا لقتال يزيد بن المهلب[٧]،وفي سنه ١١٧هـ خرج الحارث بن سريج على الخليفة فقاتله هشام بن عبد الملك وكتب إلى خالد القسري بأن يبعث أسداً أخاه لقتال الحارث [٨].

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٧٨.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٥٥٥.
(٣) المصدر نفسه ،ج٦، ص٥٧٦.
(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٧، ص٣٤٥.
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٧، ص٣٤٧.
(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص٣٣٩.
(٧) المصدر نفسه ، ج٦، ص٥٨.
(٨) المصدر نفسه ، ج٧، ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث الشعراء كثيراً عن سلطة الخليفة في عقد الحرب والصلح، ورأوا أن الخليفة هو الأساس في الانتصار، فهو شجاع لا يهاب خوض الحروب، ويتقدم الجيش في القتال، فهذا الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بعد قتله مصعب بن الزبير، إذ يرى في الخليفة قائداً عسكرياً فضلاً عن سلطته السياسية، يقول: [١]

مُفترشٌ كافتراش الليث كَلْكَلَهُ ... لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَـــزَرُ [٢]
مقدَّمٌ مائتي ألــف لمنزلـــــةٍ ... ما إن رأى مِثلَهم جنٌّ ولا بَشَرُ
يَغشى القناطِرَ يَبنيها ويهدمُها ... مُسوِّمٌ فوقَه الراياتُ والقَتَـــرُ
حتى تكونَ لهم بالطَّفّ ملحمةٌ ... وبالثَّويّة لم يُنبض بها وَتَــر [٣]
وتستبينَ لأقوامٍ ضلالَتُـــــهمْ ... ويستقيمَ الذي فـــي خدِّهِ صَعَرُ

ومدح الفرزدق عبد الملك بن مروان بأنه قضى على ابن الزبير، فحمى الإسلام والمسلمين وقضى على الضلالة التي جاء بها ابن الزبير، يقول : [٤]

إذا لاقى بنو مروانَ سلُّـــوا ... لدِين الله أسيـــــــافاً غِضـــابا
صوارِمَ تمنعُ الإسلام منـــهمْ ... يُوكَّلُ وقــعُهُنَّ بمـــــن أرابا [٥]
بهنَّ لقوا بمكة مُلحديـــــها ... ومــسكنَ يُحسنون بها الضِّرابا [٦]
فلم يتركن من أحدٍ يصلّـي ... وراء مُكـــذِّبٍ إلا أنـــــابا
إلى الإسلام أو لاقي ذميـما ... بهـــا ركن المنيةِ والحِســـابا[٧]

ويرى جرير أن الوليد بن عبد الملك أخضع الأعداء واستحق النصر، وانقادت له الأمة، يقول[٨]:

---

(١) الديوان ،ص١٤٩.
(٢) الجزر : القتلى
(٣) الطف :مكان مقتل مصعب بن الزبير، الثوية: ظاهر مكة، لم ينبض بها وتر : اي انها حرب صعبة كلها ضرب وطعن
(٤) الديوان ،ص٢٤٠.
(٥) أراب : بمنعنى ارتاب .
(٦) يشير إلىارسال عبد الملك الحجاج إلىمكة لمحاربة ابن الزبير ، ومسكن اشارة إلىالواقعة التي قتل فيها مصعب بن الزبير .
(٧) لاقى : ذميما : لاقى منيته مذموما .
(٨) الديوان: ص٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونازعت أقواما فلمّا قهرتَهُمْ وأُعطيتَ نصراً عاد منك العواطفُ
لقد وجدوا منكمْ حِبالاً متينةً فذلّوا ولانتْ للقيادِ السّوالِفُ

ويصور عدي بن الرقاع العاملي عمر بن عبد العزيز فارساً يقود جيشاً عرمرماً يغزو به أرض الروم ، يقول :(١)

غزا عُمَرُ المنصور نفساً ووالهاً وليسَ لِمَنْ لمْ ينصرِ الله ناصرُ
بجيشٍ تَضلُ البُلقُ في حَجَراتِهِ علانيةً والمُبتغي فيه حائرُ (٢)
وعسْكَرَ جنباً ما يريمُ مكانَهُ بأرضِ فضاءٍ وهو للرومِ واترُ
تُحبِّسُ أفواجاً عليه سبيُّهم كما حُبستْ في ذي المجازِ الأباعِرُ
فَنِعم إمامُ القوم إذ كان غازياً ونعمَ الفتى في أهله والمسافِرُ

ورأى الفرزدق في بني أمية حصناً للأمة من الفتن ، فهم الذين يقضون على الفرقة في كل عصر، منذ أيام معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم، يقول في مدحه هشام ابن عبد الملك : (٣)

وكائنْ إليكم قاد من رأسِ فتنةٍ جنوداً وأمثالُ الجبالِ كتائبُهْ
فمنهُنّ أيامٌ بصفينَ قد مَضَتْ وبالمَرْجِ والضحاكُ تجري مقانبُهْ (٤)
سما لهما مروانُ حتى أراهُما حياضَ منايا الموت حُمراً مشاربُهْ
فما قام بعدَ الدّار قوّادُ فتنةٍ ليُشعلها إلا ومروان ضاربُهْ

ويقول الفرزدق إن آباء الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد أخمدوا نار الفتن يوم دير الجماجم، فعادت اللحمة والوحدة بين الرعية :(٥)

كلا أبويك استلَّ سيفَ جماعةٍ على فتيةٍ تلقى البنينَ نساؤُها (٦)
فما أُغمدا حتى أنابت قلوبُهُم وسمَّح للضربِ الشآمي دماؤُها (٧)

---

(١) الديوان،ص ٢٠٢.
(٢) أي :من ابتغى فيه ضالة او حاجة تحير فيه من كثرته
(٣) الديوان ،ص٨٢
(٤) المقانب : جماعة من الخيل تجمع للغارة . ، الضحاك : الضحاك بن قيس ، قتله مروان بن الحكم في مرج راهط
(٥) الديوان ،ص١٤.
(٦) يشير إلىارسال عبد الملك الحجاج إلى العراق وفتكه بابن الاشعث يوم دير الحجاجم ، اما قوله تلقى البين نساؤها ، لعله اشار إلى شجاعة نساء الخوارج .
(٧) سمح : لان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- إحداث التوازن والاستقرار في الأمصار :

بذل خلفاء بني أمية جهداً كبيراً في المحافظة على استقرار الدولة، وساسوا الناس بالترغيب والترهيب ، فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: [١] "لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف ذاك ؟ قال: كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها"، ووجه الخلفاء الأمويون ولاتهم إلى حسن سياسة الرعية ، لتكون العلاقة مع الرعية علاقة ود وانسجام، ومن هذا ما كتبه عبد الملك بن مروان إلى الحجاج موبخاً إياه على سياسة القوة والبطش التي يفتخر بها، يقول في كتابه إليه: [٢] "أما بعد، فإن أمير المؤمنين رآك – مع ثقته بنصيحتك – خابطاً في السياسة خبط عشواء الليل، فإن رأيك الذي يسوّل لك أن الناس عبيد العصا، هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة، كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هداه، إذا رجوا بذلك إدراك الثار منك، وقد وليت العراق من قبلك ساسة، وهم يومئذ أحمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم، وللشدة وللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة، والسلام".

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على البصرة عدي بن أرطاة، ينفّره من اتباع سياسة الحجاج التي تعتمد على البطش والظلم ، يقول:[٣] "أما بعد، فإني كتبت إليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخير من الله تعالى والثواب عليه، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف، وأرغب عنها وعن اقتدائك بها، فإن الحجاج كان بلاء وافق خطيئة قوم بأعمالهم، فبلغ الله عز وجل في مدته ما أحب من ذلك، ثم انقطع ذلك وأقبلت عافية الله عز وجل، فلو لم يكن ذلك إلا يوما واحداً أو جمعة واحدة، كان ذلك عطاء من الله عز وجل، ونهيتك عن فعله في الصلاة، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحل له، ونهيتك عن فعله في الزكاة، فإنه كان يأخذها من غير حقها، ثم يسيء مواقعها، فاجتنب ذلك منه، واحذر العمل به فإن الله عز وجل قد أراح منه وطهر العباد والبلاد من شره، والسلام".

ومثلت الموازنة بين القبائل في السياسة والأعمال الإدارية، معلماً مهماً لسلطة الخليفة السياسية، فأناط خلفاء بني أمية بالقبائل القيسية واليمانية، عدداً من الإدارات والمناصب في الأمصار المختلفة، رغبة في استمالة الرعية وإرضائها، وأشرك بعض

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ،ج٢، ص٢٣٨.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣،ص١٧.

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلفاء رؤساء القبائل في إقرار بعض السياسات المهمة في الدولة، كما فعل معاوية بن أبي سفيان، حينما استشار رؤساء القبائل في تولية يزيد ولاية العهد [١]، وظهر اهتمام معاوية بالتوازن القبلي جليا في وصيته لابنه يزيد قبيل وفاته إذ قال له فيها: [٢]" انظر أهل الحجاز فانهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مئة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم..."

وطلب زياد بن أبيه من معاوية أن يكتب إليه بسيرة يتبعها في العرب، فكتب إليه معاوية: "يا أبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظراً، انظر أهل اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنهم في السر، وانظر هذا الحي من ربيعة فأكرم أشرافهم وأهن سفلهم، فان السفلة تبع للإشراف، فأما هذا الحي من مضر فان فيهم فظاظة وغلظة فاحمل بعضهم على رقاب بعض، ولا تَرُمنَ بالظن دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدها، والسلام " [٣].

وتمثّل معظم الخلفاء الأمويين أسلوب الموازنة بين القبائل[٤]، فقد وازن عبد الملك ابن مروان في الوظائف بين القبائل القيسية واليمنية، فولّى الحجاج العراق والمهلب بن أبي صفرة خراسان، وحدّ من العصبية القبلية [٥]، وسار سليمان على نهج أبيه، إذ ساوى بين القيسية واليمانية، وعلى الرغم من أن خؤولته في قيس إلا انه أعاد لليمانية دوراً فقدوه في عهد الوليد، إذ أعاد للمهالبة دورهم في الحياة السياسية [٦]، وربما كان التوازن والتسامح عند سليمان نابعاً من شخصية سليمان، فكان " لين الجانب، لا يعمد إلى سفك الدماء ولا يستنكف عن مشورة النصحاء " [٧].

---

(١) انظر في ذلك الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٥، ص٣٠٢ ، وكذلك ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ،ج١، ص١٨٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٥، ص٣٢٣.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ،ج٥، ص٢٢٣.

(٤) انظر حديثا عن ذلك في كتاب: الأمويون والخلافة ،ص١٩٥،١٩٠،١٦٧،١٦٥،١٦١،١٤٥

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٣٠٣.

(٦) المصدر نفسه ، ج٦، ص٥٢٢.

(٧) المسعودي: التنبيه والإشراف ،ص٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان عمر بن عبد العزيز دائم الحث على نبذ العصبية القبلية، والدعوة إلى روح التسامح والمساواة والعدل[١]، وترك لعن علي، [٢]كما حاور القدرية[٣] ،والخوارج ليردهم إلى صفوف الأمة[٤].

وبقي يزيد بن عبد الملك على صله حسنة مع يمانية الشام، على الرغم من تأييد القبائل اليمانية في العراق وخراسان لثورة يزيد بن المهلب [٥]، وأقام هشام بن عبد الملك علاقة حسنة مستقرة مع فئات المجتمع فاهتم بالموالي في خراسان [٦]، وسالم الخوارج طويلا [٧]. واهتم الوليد بن يزيد بالموالي، ففي عقده ولاية العهد لابن أمة "ما يشير إلى رغبته في مراعاة الموالي ورعايته بهم، واحترامه لهم واشتغاله بمشكلاتهم، ووعيه لمطامحهم، وعزمه على إشراكهم بالتدريج في أرفع المناصب السياسية التي احتكرها العرب" [٨].

وكان الخليفة الأموي عامل أمن واستقرار حينما اشتعلت الفتن والنزاعات بين القبائل، فعندما حدثت الفتنة بين قيس وكلب بعد وقعة مرج راهط "بلغ عبد الملك أن كلبا جمعت لتغير على قيس وفزار خاصة، فكتب إليهم يقسم لهم بالله لئن قتلوا من بني فزار رجلا ليقيدنهم به فكفوا" [٩] . وعندما حدثت الفتنة بين القيسية واليمانية في خراسان سنه ٧٤ هـ "خاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين، فكتبوا إلى عبد الملك: أن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه " [١٠]، فبعث عبد الملك أمية بن عبد الله القرشي .

وأراد خلفاء بني أمية أن يكسبوا ثقة رعيتهم، فنظروا إلى طبيعة مجتمعهم، وتخيروا للرعية ما يلائم أهواءهم تارة، ويخدم مصالحهم تارة أخرى، فعندما ثارت

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر،ص١٠٤-١٠٨.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ،ج٤، ص٥٩.
(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ،ج٦، ص٣٧١.
(٤) ابن الحكم : سيرة عمر،ص٨٣-٨٩.
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٦٢.
(٦) الدينوري: الاخبار الطوال ،ص٣٣٩.
(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧، ص١٣٠.
(٨) حسين عطوان: الامويين والخلافة ،ص٦٤.
(٩) البلاذري: أنساب الأشراف ، ج٧، ص٥٦.
(١٠) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ،ج٦، ص٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القيسية على ابن أبي خازم والي خراسان سنه ٤٣هـ شكوا إلى معاوية، فبعث معاوية إلى ابن أبي خازم، يقول له : [١]" قم اعتذر إلى الناس غداً" . وأقرّ يزيد بن عبد الملك الوالي الذي ارتضاه أهل إفريقية بدلا من الوالي الذي قتلوه، ففي سنه ١٠٢ هـ قام أهل أفريقية بقتل يزيد بن أبي مسلم، وولوا محمد بن يزيد مولى الأنصار وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك "إنّا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا مالا يرضاه الله والمسلمون، فقتلناه وأعدنا عاملك، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إني لم ارض ما صنع يزيد بن أبي مسلم، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية " [٢].

ووعى خلفاء بني أمية أهمية الثقل القبلي في تعيين الولاة وعزلهم ، فلم يوافق الخليفة هشام بن عبد الملك على توليه سلم بن قتيبة خراسان، لأن أسرته ضعيفة بها، ففي سنه ١٢٠ هـ " قيل إن يوسف بن عمر لما قدم العراق أراد أن يولي خراسان سلم بن قتيبة، فكتب بذلك إلى هشام، ويستأذنه فيه، فكتب إليه هشام، إن سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة، ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه " [٣].

وعندما أراد هشام بن عبد الملك والياً على خراسان أثنى يوسف بن عمر على القيسية وأرسل للخليفة أسماء عدة، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكناني فقال هشام: [٤] "ما بال الكناني آخرهم! وكان في كتاب يوسف إليه، يا أمير المؤمنين: نصر بخراسان قليل العشيرة " فكتب إليه هشام: " قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية، وذكرت نصراً وقلة عشيرته، فكيف يقل من أنا عشيرته؟ ولكنك تقيسّت علي، وأنا متخندف عليك، أبعث بعهد نصر، فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله [٥] ما أن تميماً أكثر خراسان".

ورأى يزيد بن الوليد بن عبد الملك أن أهل العراق يكنّون منزلة كبيرة لبيت عمر بن عبد العزيز، فولّى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز العراق سنه ١٢٦ هـ وقال له[٦]" إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسِرْ إليها فقد وليتُكها " .

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٦١٧

(٣) المصدر نفسه ،ج٧، ص١٥٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧، ص١٥٦.

(٥) بله بمعنى على ، والمقصود ان تميما اكثر اهل خراسان .

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثنى الشعراء الموالون لبني أمية كثيرا على الخليفة الأموي الذي أنقذ الدولة من مهالك الفتن، فهذا كثير عزة يرى أن مروان بن عبد الملك ثبّت الاستقرار في الدولة عندما قهر أعداءه في وقعة مرج راهط، يقول مادحاً إياه:(١)

أبوكَ الذي لمّا أتى مرجَ راهطٍ وقد ألّــبوا للشرّ فيمنَ تألّبـــا
تشنّأ للأعداءِ حتى إذا انتـــهوا إلى أمرهِ طوْعاً وكرهاً تحبّبــا (٢)

ومدح جرير عبد الملك بن مروان بأنه موحّد الأمة بعد تعرضها للفتن والفرقة، يقول :(٣)

أنت المبارك يهدي الله شيعتَــهُ إذا تفرّقتِ الأهـــواءُ والشِّيعُ

وصوّر جرير اجتماع كلمة القبائل على الخليفة يزيد بن عبد الملك، فهم يقبلون بأي أمر يعرضه ،يقول(٤):

ترضى قُضاعةُ ما قضيتَ وسلَّمت لرضىً بُحكمِكَ حِميرٌ ونِزارُ
قيسٌ يرونَكَ ما حييت لهُمَ حيـــاً ولآل خِندفَ مُلكُكَ استبــشارُ

ومدح جرير يزيد بن عبد الملك بأنه مطاع عند أهل الشام وهم لا يألون جهدا في اتباع أوامره، يقول :(٥)

تدعو فيُنصرُ أهلُ الشام إنَّــهُمُ قومٌ أطاعوا ولاة الحقِ وَأتلفوا
ما في قلوبهمُ نَكْثٌ ولا مَرضٌ إذا قَذَفْتَ مُحِلاًّ خالعاً قذفــوا

ويرى الفرزدق أن قضاء يزيد بن عبد الملك على الفتن التي حدثت ، فيه حقن لدماء المسلمين واستقرار للدولة، وأنه فعل شيئاً حسناً عندما قضى على المهالبة، فهو يقول: (٦)

فلولا الذي لا خيرَ في الناس بعدَهُ به قتلَ الله الذي كان خُبّــرا
به دمّر الله المزونَ ومن سَعَـــى إليهم كما كان الفراعين دمّرا (٧)

---

(١) الديوان ،ص٢٦٧.
(٢) تشنأ : اظهر البغضاء .
(٣) الديوان ،ص٢٧٨.
(٤) الديوان ،ص١٦٧.
(٥) الديوان،ص ٣١٨، وانظر الديوان،ص ٢٨٤،١٩٥.
(٦) الديوان ،ص٣٠٠ وانظر الديوان ،ص٦٤٨.
(٧) المزون: هم رهط المهلب بن ابي صفرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطلب الفرزدق من الخليفة هشام بن عبد الملك أن يتذكر دور تميم في الذود عن الخلافة، ولا ينسى فضلهم، وأن يرفع عنهم الظلم الذي صبّه عليهم خالد القسري بالعراق ، فهو يقول: [١]

فقل لبني مروانَ ما بـــــالُ ذمّـــــةٍ ... وحُرمَةِ حلٍّ ليس يَرعى ذمامُها
ألا في سبيلِ الله سَفْـــكُ دمـــــائِنا ... بلا جُرمةٍ منّا يبين اجترامُـــها
أرى مُضَرَ المصرينِ قد ذلّ نصرها ... ولكنّ قيساً لا يُذلُّ شآمُـــــــها
فمَنْ مبلغٌ بالشامِ قيســــاً وخِندفـــاً ... أحاديثَ ما يُشفى ببرءٍ سقامُها
أحاديثَ منّـــــا نشتكيـــــها إليهـــمُ ... ومظلمةً يغشى الوجوهَ ظلامُها
فإنْ مَنْ بها لن يُنكر الضَّيـــمَ منهُمُ ... فيغضب منها كهلُها وغلامُها
يَعُدْ مثلُها مِـــــنْ مِثْلِهم فينكِّـــــلوا ... فيعلمَ أهل الجور كيف انتقامُها [٢]
بغلباء من جمهورها مضـــــــــريةٍ ... تُزايل فيها أذرُعَ القومِ لامُها [٣]
دمُ ابنُ يزيدٍ كان حلاًّ لخـــــــالدٍ ... ألهفي لنفسٍ ليس يُشفى هُيامُها [٤]
أنقتلُ فيكم إذ قتلـــــنا عَدُوّكَـــــم ... على دينكمْ والحربُ باد قَتامُها
غضبنا لكم يا آلَ مروانَ فاغضبـــوا ... عسى أنّ أرواحاً يسوغُ طعامُها
صِلوا من تمـــيمٍ مـــــا تميمٌ تُجُّدهُ ... إذا ما حبالُ الدين رثَّتْ رِمامُها [٥]

---

(١) الديوان ،ص٥٦٢.

(٢) يعد من مثلهم: اي يخرج عليهم مثل ابن المهلب.

(٣) الغلباء : الكتيبة القوية ، لامها : درعها .

(٤) ابن يزيد : هو الذي قتلته بنو تميم، وكان خارجياً، وخالد، هو خالد القسري، وأراد أن يقتص من تميم لأنهم قتلوا الخازجي .

(٥) تجده : تجدده – رمامتها : الحبل البالي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

السـلطة الأمـنية

للسلطة الأمنية أثر كبير في إظهار قيمة الخليفة،وأوردت المصادر حديثا موسعا عن هذه السلطة على مسارين: الأمن الداخلي، المتمثل في المحافظة على الوحدة ، وعدم التهاون مع الخارجين على الدولة. والأمن الخارجي، المتمثل في الجهاد والدفاع عن الأمة. و في رسالة أبي بردة بن أبي موسى مثال واضح على نجاح بني أمية في إقناع الرعية بأن الخروج عليهم يعدّ مساسا بوحدة المسلمين وأمنهم، فعندما قتل بنو أمية حجر ابن عدي رأس الشيعة في الكوفة، كتب أبو بردة أحد وجوه الكوفة زمن معاوية[1] "هذا ما شهد عليه الشهود أبو بردة ابن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، فكفر بالله كفرة صلعاء، وأتى معصية شنعاء". وأسرف بنو أمية في القضاء على المعارضة،مسوّغين ذلك بدرء الفتنة، فكان هناك تسويغ أموي لقتل الحسين بن علي؛ إذ شق عصا الطاعة وخرج على الخليفة، فقد جاء في رسالة وجهها عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد قائد الجيش المتوجه لقتال الحسين "...فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاقّ مشاقّ قاطع ظلوم..."[٢]، ونجاح بني أمية في ترسيخ هذه القناعة عند الرعية جعل روح بن زنباع يرفض البيعة لعبد الله بن الزبير في الجابية، لأن ابن الزبير "منافق خلع خليفتين: يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، وسفك الدماء، وشق العصا"[٣].

وبلغ من حرص بني أمية على الأمن الداخلي أنهم اتهموا من خرج عليهم بالكفر،إذ أصبح الخروج على الخليفة خروجا من الدين، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما كتبه عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث مسوغاً قتال ابن الأشعث وقتله ،[٤]

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٢.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤١٥.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٦٧.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"لعمري لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين عرياناً"،و منها أيضا ما كتبه إلى الحجاج بعد وقعة دير الجماجم طالبا منه أن يعرض الأسرى على السيف" فمن أقرّ بالكفر في خروجه علينا فيخلى سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه"[١].

وانسجاما مع هذه القناعة صرّح الحجاج بأن سبب قتله عبد الله بن الزبير،هو الحرص على وحدة المسلمين وتماسكهم، فإن ابن الزبير شقّ عصا الجماعة حين طالب بالخلافة، مما جعل قتله محافظة على الأمن الداخلي للدولة، قال الحجاج مخاطبا أهل مكة:[٢] "يا أهل مكة بلغني إكباركم واستفظاعكم قتل ابن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها، فخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الجنة، لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأباحه كرامته وأسكنه جنته، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته، وآدم على الله تعالى أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة. اذكروا الله يذكركم".

وكان عمر بن عبد العزيز مدركاً لأهمية الترابط الداخلي للمجتمع، فلا أحلاف ولا إقليمية في المجتمع،حفاظاً على الروح الإسلامية التي تترفع عن العصبيات الضيقة، ولذلك كتب كتابا مطوّلاً إلى الضحاك بن عبد الرحمن يذكّره بأخوة الإسلام وينهاه عن الأحلاف والعصبيات ، جاء فيه "وأنتم معشر العرب، فيما قد علمتم من الضلالة والجهالة والجهد وضنك العيش وتفرق الدار والفتن بينكم عامة والناس لكم حاقرون، مستأثرون عليكم بالدنيا، وليس من ضلالتهم من شيء إلا وأنتم على مثله...ثم إن ما هاجني على كتابي هذا أمر ذكر لي، أن رجالاً من أولئك يتحاربون إلى مضر وإلى اليمن، يزعمون أنهم ولاية على من سواهم، وسبحان الله وبحمده ما أبعدهم من شكر نعمة الله، وأقربهم من كل مهلكة ومذلة وصغر، قاتلهم الله أية منزلة نزلوا؟ ومن أي أمان خرجوا، أو بأي أمر لصقوا. أو لم يسمعوا إلى قول الله في كتابه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج٥، ص٥١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢،ص١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دِينا). وقد ذكر لي مع ذلك أن رجالاً يتداعون إلى الحلف، وقد نهى رسول اللهصلى الله عليه وسلم عن الحلف، وقال: لا حلف في الإسلام.و قال: وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة، فكان يرجو أحداً من الفريقين حفظ حلفه الفاجر الآثم الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد ترك الإسلام حين انخلع منه، وأنا أحذّر كل من سمع كتابي هذا ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصنا، أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجة، تحذيراً بعد تحذير، وأذكّرهم تذكيراً بعد تذكير. نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة في ديننا وألفتنا وذات بيننا والسلام".[1]

و أظهر هشام بن عبد الملك الحرص على وحدة الجماعة والتماسك بين أفراد المجتمع في رسالته إلى يوسف بن عمر الثقفي واليه على الكوفة، إذ شدّد فيها على ترابط المجتمع، وحثّ واليه على استمالة أشراف المصر وترهيب العامة والضعاف،يقول[2]" والجماعة حبل الله المتين، ودين الله القويم وعروته الوثقى. فادع إليك أشراف أهل المصر وأوعدهم العقوبة في الأبشار[٣] ،واستصفاء الأموال، فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطىء عنه، ولا يخف معه إلا الرعاع أو أهل السواد، ومن تنهضه الحاجة استلذاذا للفتنة، وأولئك من يستعبد إبليس وهو يستعبدهم، فبادهم بالوعيد واعضضهم بسوطك وجَرِّد فيهم سيفك، وأخف الأشراف قبل الأوساط، والأوساط قبل السفلة. واعلم أنك قائم على باب ألفة، وداعٍ إلى طاعة، وحاضّ على جماعة، ومشمّر لدين الله ... ولأمير المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياطة الدين والذبّ عنه، فإنه لا يحبّ أن يرى في أُمّته حالاً متفاوتة نكالاً لهم مغنياً، فهو يستديم النظرة ويتأتى للرشاد، ويجتنبهم على المخاوف، ويستجرّهم إلى المراشد، ويعدل بهم عن المهالك، فعل الوالد الشفيق على ولده. فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته، ويسأل إلهه ومولاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً، وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز إنه سميع قريب".

ويرى خالد بن عبد الله القسري أن أمن الحرم وقداسته من أمن الجماعة وتآلفها، فهو يقول في خطبة له بمكة:[٤] "والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز . ص١٠٤-١٠٨

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج٧، ص ١٦٩

(٣) الأبشار: ظاهر الجلود

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم. إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار عليهم".

ويُعدّ عبد الحميد الكاتب من أكثر كتاب العصر الأموي حديثاً عن الجماعة والطاعة والوحدة والفتنة، و يعود ذلك إلى الفترة التي عاشها عبد الحميد،إذ تنازعتها الصراعات الداخلية والخارجية، وتفرق فيها المسلمون تفرقاً شديداً. ومن هنا أدرك عبد الحميد الكاتب أثر الوحدة والألفة في قوة الأمة، إذ يرى أن النعمة تزول بزوال الوحدة و الطاعة، وعندئذ تحدث الفتن وتزول أسباب القوة والعزة، وتقترف كل ضلالة وبدعة، يقول:(١) "ففي طاعة الأئمة في الإسلام، ومناصحتهم على أمورهم، والتسليم لما أمروا به، مهم كل نعمة فاضلة وكرامة باقية وعافية متخللة، وسلامة ظاهرة وباطنة، وقوة بإذن الله مانعة، وفي الخلاف عليهم والمعصية لهم، ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة ومحق كل غنية، وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عزة وقوة، والدعاء لكل بلية، ومقارنة كل ضلالة، واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة، وإماتة كل سنة، واجتلاب كل ضرر على الأمة، وإدبار كل منفعة والعلم بكل جور وباطل، وفناء كل حق" . ويرى عبد الحميد أن عدم وجود الطاعة في المجتمع سيؤدي إلى أضرار كثيرة،يقول: (٢) "فبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي في يديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه، ويوهن عضده ويهدم حصنه، ويقل عدده ويهلك بدوته... فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه، وطفل من أبناء المسلمين قد يتم من أبيه، ومذلة قد دخلت عليه، ونعمة قد زالت عنه، ووحشة حدثت وضغائن في القلوب قد نشبت، وشحناء قد ظهرت، وأوتار قد بقيت، وعداوة في الأنفس قد استقرّت، وخوف قد ظهر، وسبيل قد قطعت، وامرأة قد أرملت، وصبية قد يتمت، وبلاد عامرة قد خربت، وعدد قد نقص، وبلايا قد عمّت وشملت، وعدو قد شمت، ومنافق قد رفع إلى ما كان يؤمل رأسه، وعدوّ من المشركين قد طمع، وقوي بعد ضعف، وعزّ بعد مذلة. ورعية قد ضاعت، وناعية قد ولولت، وحميم قد قتل حميمه، ومودة قد صارت عداوة، واجتماع من الأهواء قد عاد إلى فرقة وأرحام قد تقطعت، فانظروا يا معشر المسلمين ماذا تفعل الفتنة والمعصية..." .

---

(١) محمد كرد علي :أمراء البيان، ج١، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه،ج١،ص٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوضح الشعراء بأن الأمويين يحافظون على أمن الرعية، فقال الأحوص يصف سلطة عمر بن عبد العزيز بأنها السلطة التي يشعر فيها المجتمع بالأمان والطمأنينة، يقول[1]:

وأرى المدينةَ حين صرتَ أميرَها أَمِنَ البريءُ بها ونام الأعزلُ

وقال جرير مادحاً هشام بن عبد الملك بأنه المدافع عن الأمة[2]:

رضينا أنّ سيبَك ذو فضولٍ وأنّك عن محارمِنا تذودُ
وأنّكم الحُماةُ بكلِّ ثغرٍ إذا ابتلّتْ من العَرَقِ اللبودُ

وذكر الشعراء أن بني أمية ضرورة أمنية واجتماعية للحفاظ على كيان الأمة ووحدتها،ومن هنا تأتي سلطتهم الأمنية في القضاء على الثورات والفتن،للحفاظ على تماسك المجتمع. فالفرزدق يمدح مسلمة بن عبد الملك بعد انتصاره على يزيد ابن المهلب يوم العقر سنة ١٠٢هـ بأنه المثبّت للعراق وجوده، إذ يصبح وجوده وممارسته لسلطته الأمنية ضرورة لا بدّ منها، [3]:

لولا دفاعُك يومَ العقر ضاحيةً عن العراق ونارُ الحرب تلتهبُ
لولا دفاعُك عنهم عارضاً لجباً لأصبحوا عن جديدِ الأرضِ قد ذهبوا
لمّا التقوا وخيول الشام فاجتلدوا بالمشرفيةِ فيها الموتُ والحربُ
خلّوا يزيدَ فتى الأزدين مُنجدِلاً بالعقر منهمْ ومن ساداتِهم عُصبُ[٤]

وتركيز الشعراء على الضرورة الأمنية، والحثّ على توحيد الرعية، جعلهم يصورون الخليفة بأنه استجابة لرغبة الرعية في تحقيق الوحدة والأمن، فالفرزدق يمدح هشاماً بأنه حامي المحارم، ومثبّت الدين عند حدوث الفتن فيقول[5]:

---

(١) الديوان، ص ٢١٤، ص٢٨٩، وانظر ديوان جرير،ص ١١٨.

(٢) الديوان، ص١١٨.

(٣) الديوان، ص٨٥، ص١٠٣.

(٤) ضاحية:علانية، العارض للجب: الجيش الكثير. جديد الارض: وسط الطريق. اجتلدوا: تضاربوا. الازدين: ازد عمان وازد شنوءة. منجدلا: منطرحا ارضا

(٥) الديوان، ص٦٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هشامٌ أميــنُ الله في الأرضِ والذي ... به تمــنعُ الأيــامُ ذاتَ المحارمِ

بــه عَمَدُ الدّين استقــلّت وأثــبتتْ ... على كلِّ ذي طودين للدينِ قائمِ

وسُلّتْ سيوفُ الحرب وانشقّتِ العصا ... وهزّ القنا وُردُ الأسود القشاعمِ

وقد جَعلتْ للدّين في المرج بالقــنا ... لمــروانَ أيــامٌ عظامُ الملاحم[١]

و دعا الفرزدق على أن تكون السلطة الأمنية مرتبطة ببيت الخلافة، فهم القادرون على توفير الأمن والطمأنينة والقضاء على الأعداء. فهو يرى في العباس بن الوليد بن عبد الملك ملجأ عند الفتن،ومطهّر الأرض من الأعداء والملحدين، يقول[2]:

ولــمّا دعا الداعون وانشقّتِ العصــا ... ولم تخبُ نيرانُ العدوّ المقــاذفِ

فــزعنا إلى العباسِ من خوفِ فتنــةٍ ... وأنيابها المستقدماتِ الصــوارفِ

وكــم من عوانٍ فيلقٍ قد أَبَرْتَهــــا ... بأخــرى إليها بالخميسِ المراجفِ

سمــوتَ فلم تترك على الأرض ناكثاً ... وآمــنتَ مــن أحيائِنا كلّ خائــفِ

أبــَرْتَ زحوفَ الملحدين وكِدتَهــم ... بمســتنصرٍ يتلو كتابَ المصاحفِ[٣]

وذكر الفرزدق في مدحة أخرى له في العباس بن الوليد بن عبد الملــك أن ســلطته تقضي على كل مفارق للجماعة والأمة، يقول[4]:

يا ابنَ الوليدِ أليس الناسُ قد علموا ... أنّكَ والســيفُ إسلامٌ لمن كفرا

من نازعٍ طاعةً حتى تكونَ لــــهُ ... بعد العمى من فؤادٍ ناكثٍ بصرا

---

(١) الورد: الأسد، القشعم: الشديد الافتراس

(٢) الديوان. ص٣٧٦

(٣) المقاذف: الشتائم. الصوارف: الصرير الناتج عن احتكاك الاسنان. العوان: الحرب المتكررة. أبرتها: أهلكتها. المراجف: المستعد للحرب

(٤) الديوان، ص٢٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مجال الأمن الخارجي ، حرص خلفاء بني أمية على الجهاد، وتجهيز الجيوش للدفاع عن المسلمين ، وفرضوا على الجميع المشاركة في هذا الواجب ، مما جعل الشعراء يمدحونهم مصورين قيامهم بهذا الواجب المقدس خير قيام ، فهذا الأخطل يمدح عبدالملك بن مروان أنه كثير الغزو للروم، فيقول[١]:

في كلِّ عامٍ منك للرومِ غزوةٌ بعيدةُ آثارِ السنابكِ والسّربِ[٢]

ويمدح الأخطل بني مروان بأنهم المدافعون عن الرعية،فيقول:[٣]

فهُمْ هنالك خيرُ الناسِ كلِّهمْ عند البلاءِ وأحماهُمْ عن الكرمِ

الباسطونَ بدنياهُمْ أَكُفَّهُمُ والضاربونَ غداةَ العارضِ الشَّبِمِ[٤]

(١) الديوان، ص٤٢

(٢).السنابك:مقدمة الحوافر.ويريد أنها تركت اثارا بعيدة لشدة وثبها وكثرة غزوها

(٣) الديوان ،ص١٦٥

(٤) أحماهم : أكثرهم دفاعا، الكرم: ما يحمد من النسب، العارض: السحاب واستعاره للجيش الكثير، الشبم: البارد،كناية عن أذى الحرب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

السلطة الاقتصادية

أما سلطة الخليفة الثانية، فهي السلطة المالية والاقتصادية، وهي تتعلق بكل ما يخصّ المجتمع من أمور مالية واقتصادية كالفيء والخراج وعمارة البلدان. وأدرك خلفاء بني أمية أهمية هذه السلطة، فجعلوها مرتبطة ارتبطاً مباشراً بالخليفة، إذ عمل الخليفة على الفصل بين الولاة وأصحاب الخراج حتى يضمن استقلال الجهاز المالي عن الإدارة، فوُضع الخراج تحت تصرفه مباشرة، و رُوي أن "عمر بن سعد بن أبي وقاص ولي خراج كورة همدان فبقي عليه، قال: فلمّا ولّى معاوية ابن أم الحكم الكوفة، أخذ عمر بذلك المال فقال له: إنه لا سلطان لك عليّ، وكان معاوية كتب له كتاباً بأنه لا سلطان لأحد عليه غيره..."[1].

ويظهر حرص خلفاء بني أمية على الإدارة المباشرة لأموال المسلمين فيما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم عامله على المدينة،فقال : [2] "أما بعد، فقد قرأت كتابك الذي كتبت به إلى سليمان بن عبد الملك، وكنت المبتلى بالنظر فيه دونه كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع مثل الذي كان يقطع لمن قبلك، وتذكر أن الشمع الذي قبلك قد نفذ. ولعمري قد طالما رأيتك تخرج من منزلك إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم، والسلام عليك. وكتبت تسأله أن يقطع لك شيئا من القراطيس مثل الذي كان يقطع لمن قبلك، فأدق قلمك، وقارب بين سطورك، واجمع حوائجك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين مالا ينتفعون به، والسلام".

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥. ص١٤٤.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد نقداً شديداً للولاة الذين كانوا يسيئون استعمال أموال المسلمين ، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة بالعدل في جباية الخراج، يقول: [1] "من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى عبد الحميد: سلام عليك، أما بعد: فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنن خبيثة استنّها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله، فإنه لا قليل من الإثم.ولا تحمل خرابا على عامر، ولا عامرا على خراب وانظر الخراب فإن أطاق شيئا فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر. ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج، في رفق وتسكين لأهل الأرض. ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها تبر ولا أجور الضرّابين ولا إذابة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان[٢]، ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض والسلام".

وتبرز صيغة الأمر في معظم مراسلات عمر بن عبد العزيز المالية، فهو يرسل رسالة إلى صاحب بيت المال يأمره بعدم الازدواج في الإنفاق، إذ يقول: [3] "أما بعد، فلا تخرجنّ لأحد من العمال رزقا في العامة والخاصة فإنه ليس لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين في الخاصة والعامة، ومن كان آخذاً من ذلك شيئاً فاقبضه".

وحرص عمر على استغلال الجانب الإيجابي من الإنفاق، فنظر إلى السلطة المالية على أنها وسيلة لخدمة الرعية، مما جعل كثيّر عزة يمدحه بعفة النفس والنزاهة،فيقول:[٤]

وَلِيتَ فما شانتكَ فينا ولايةٌ ولا أنتَ فيها كُنتَ مما يَشينُهَا

فَعفّت عن الأموال نفسُكَ رغبةً وأكرِم بنفسٍ عند ذاك تَصونُهَا

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٣٩. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص١٤٧.

(٢) النيروز و المهرجان :عيدان من أعياد الفرس، وهو احتفال يقام في السادس من شهر سبتمبر من كل عام. انظر المعجم الوسيط (مهرجان)

(٣) ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص١٠٠

(٤) الديوان، ص١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعني عمر بن عبد العزيز بالأمن الاقتصادي والمالي للمسلمين، فأكد في رسالته إلى أحد عماله على أن الأرض الخراجية تبقى على حالها، ولو أسلم صاحبها الـذمي، وأن أرض الذمي الذي أسلم لا ترد إليه بل هي فيء، يقول: [1] "أما بعد، فإني لا أعلم شيئاً هو أنفع لنائبة المسلمين ومادتهم من هذه الأرض التي جعلها الله فيئاً فانظر من كان منهم له بها أرض أو مسكن، فأجر على كل جدول منها ما كان يجري قبل ذلك ومن لم يكن لـه بها أرض ومسكن فارددها إلى أهلها".

ونظر عمر بن عبد العزيز إلى الأمور الماليـة نظـرة الحـريص علـى التكافـل الاجتماعي، فالمال وسيلة لتفريج الكرب وإحداث السعادة، ولذلك كتب إلى عبد الحميـد ابن عبد الرحمن: "أن أخرج للناس أعطياتهم. فكتب إليه عبد الحميد: إني قـد أخرجـت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: أن انظر كل من ادّان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه. فكتب إليه: إني قضيت عنهم. وبقي في بيت مال المسـلمين مال. فكتب إليه: أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوّجه وأصدق عنه. فكتب إليه: إني قد زوّجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتـب إليـه بعـد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عنه أرضه. فأسلفه مما يقوى به على عمل أرضه، فإنّا لا نريدهم لعام ولا لعامين"[2].

وعندما تولّى الوليد بن يزيد الخلافة" أجرى على زَمْنـى أهـل الشـام وعميـانهم وكساهم،وأمر لكل إنسان بجائزة وخادم يخدمه،وأخرج لعيالات الناس الطيب والكُسـى، وزاد في أعطياتهم عشرات نقصهم إياها يزيد بن الوليد بعد ذلك"[٣] .

وعبّر الفرزدق عن هذا الشعور بأهمية السلطة المالية في تحقيق الأمن الاجتماعي، فقال مادحا الوليد بن يزيد بأن إليه الملجأ في الشدة والكرب :[٤]

شكونا إليك الجَهدَ في السنةِ التي أقامت على أموالنا آفةُ المَحلِ

(١) يحيى بن آدم : الخراج،. ص٦٢. صححه وشرحه احمد محمد شاكر، دار المعرفة. بيروت.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام :كتاب الاموال،،تحقيق محمد خليل هراس،ص٣٥٧،ط١،مكتبة الكليات الازهرية،القاهرة.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩ ،ص١٤٥ ، وانظر كذلك، حسين عطوان: الوليد بن يزيد عرض ونقد، ص٣٦٠

(٤) الديوان،ص٤٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فــلم يبقَ من مالٍ يسومُ لأهــلهِ ولا مرتَعٌ في حَزْنِ أرضٍ ولا سهلِ

سواءكَ أشكي القومَ ما قد أصابهم على الجَهدِ والبلوى التي كنت قد تُبلي

و في مراسلات الخلفاء حديث عن عمارة البلدان والأقاليم والأمصــار، ففــي ســنة ٨٨هــ بعث الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز،وكان عامله علــى المدينــة، بكتاب يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مســجد رســول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مئتي ذراع في مئتي ذراع ويقول له: [1] "قدّم القبلة إن قدرت–وأن تقدر– لمكان أخوالك، فإنهم لا يخالفونــك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوّموا له قيمة عدل، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان".

وأراد بعض الخلفاء أن يستهل خلافته بهذه السلطة، كما فعل يزيد بــن الوليــد إذ خطب في أهل دمشق قائلاً: [2] "أيها الناس، إن لكم عليّ إلا أضع حجراً على حجــر ولا لبنة على لبنة، ولا أكري نهراً ولا أكنز مالاً ، ولا أنقل مالاً من بلدة إلى بلدة حتى أســد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، فإن فَضَل فَضْل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه ... وأن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شــهر، حتــى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم".

وظهرت هذه السلطة في الشعر بمظاهر شتى، فبعض الشعراء أحدثوا ربطا بــين السلطة المالية والسلطة الأمنية، كما فعل جرير في إسباغ هاتين السلطتين بشكل متلازم على الوليد بن عبد الملك،إذ يقول إن الأمــوال التــي جباهــا الخليفــة جــاءت نتيجــة لانتصاراته[3]:

هداكَ الذي يهدي الخلائفَ للتُّقى وأُعطــيتَ نــصراً لم تنــلْهُ الخلائفُ

وأدتْ إليك الهندُ ما في حصــونِها ومن أرضِ صينِ استانَ تُجبى الطرائفُ

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٦٩.

(٣) الديوان،ص٣٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرض هرقلٍ قد قهرتَ وداهــراً وتســعى لكم من آلِ كسرى النواصفُ[١]

وصوّر بعض الشعراء هذه السلطة في الخليفة، بوصفها دليلا علــى العلاقــة الوطيدة بين الخليفة ورعيته، فجرير يمدح هشام بن عبد الملك بأنه وفّر الرفاهية والراحة عندما شق نهراً من الفرات اسمه الهنيء، فأزهرت الأرض وأثمرت، يقول[2]:

شَقَقتَ مــن الفــراتِ مباركــاتٍ جــواريَ قــد بلــغنَ كما تــريــدُ

وسُخّرتِ الجــبالُ وكــُنّ خرساً يُقــطّــعُ فــي منــاكبــِها الحديــدُ

بلغتَ من الهنيء فقــلتَ: شــكراً هناك وسُهــّل الجــبلُ الصــلــودُ

بها الزيتونُ في غــلــلٍ ومالــتْ عنــاقــيــدُ الكــرومِ فهــنّ ســودُ

فتمّت في الهــنيءِ جنــانُ دنيــا فقــال الحــاســدون: هي الخــلودُ

يعــضّــونَ الأنــاملَ إنْ رأوهــا بســاتــيــناً يــؤازرُها الحــصيــدُ

ومــن أزواجِ فــاكهــةٍ ونخــلٍ يكــون بحــملِهِ طــلــعٌ نــضــيــدُ

تهنّأ للخلــيفــةِ كــلّ نــصــرٍ وعافــيــة يــجيءُ بــهــا البــريــدُ

وأبرز الفرزدق تأثير السلطة المالية على الرعية،فعندما شقّ هشام بن عبــد الملــك نهر المبارك بالبصرة، سُرَّت الأمــة بــذلك،إذ ســاعدها هــذا النهــر علــى العــيش الكريم.يقول:[٣]

إنّ المبــاركَ كــان حــيثُ جعلتَــهُ غيــثَ الفــقــيرِ وناعــشَ الأيــتــامِ

ومن الجدير بالذكر أن خلفاء بني أمية وولاتهم حاولوا أن يستغلوا هذه السلطة في التعامل مع خصومهم ، إذ كانت هذه السلطة عاملا مهما في تشكيل رؤية جديــدة تجــاه

(١) النواصف: الخدم
(٢) الديوان،ص١١٨
(٣) الديوان،ص٥٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة والولاة، فعندما أمر معاوية بن أبي سفيان النعمان بن بشير بزيادة مقاتلة الكوفة عشرة دنانير في أعطياتهم ماطل النعمان في ذلك، فقال له عبد الله بن همام السلولي[١]:

زيادتَنا نعمانُ لا تحبسنّها ... خفِ الله فينا والكتابَ الذي تتلو

فإنك قد حُمّلتَ منا أمانةً ... بما عجزتْ عنه الصلاخمةُ البزلُ[٢]

وأنتَ امرؤٌ حلو اللسان بليغُهُ ... فما بالُهُ عند الزيادةِ لا يَحلو

ويسوّغ كثيّر عزة فعل الخليفة في المنع والبذل، فتصبح سلطته المالية عاملا مهما في التقارب مع الرعية، ولا يأخذ المال إلا من يستحقه،يقول مادحا عبد العزيز بن مروان:[٣]

إذا المالُ لم يُوجب عليك عطاءه ... صنيعةُ قُربى أو صديقٌ تُوامِقُهْ

منعتَ وبعضُ المنعِ حزمٌ وقوةٌ ... فلم يَفتلِذكَ المالَ إلا حقائقُهْ[٤]

ويستخدم الحجاج سلطة الخليفة المالية في تهديد المقاتلين بقطع أعطياتهم، محاولا بذلك شحذ هممهم على القتال، ومن ذلك قوله لأهل العراق قبيل محاربتهم الخوارج: [5] "أيها الناس، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم، أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم، فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيئكم".وقطع هشام بن عبد الملك عن الوليد بن يزيد ما كان يجري عليه لمجونه وفسوقه،وأسقط أسماء أصحابه وحرسه،وقطع ما كان يجريه عليهم لتخلفهم عن الجهاد،فمما كتبه هشام إلى الوليد بن يزيد:"...وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك،فإنه للمأثم في ذلك أخوف منه على نفسه في قطعه ما قَطَعَ لأمرين:أما أحدهما،فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك وهو يعلم المواضع التي تضعه فيها،وإنفاقك إياه في سبل المعصية،وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك وإدرار أرزاقهم وليس ينالهم ما ينال المسلمين

---

(١) الاغاني، ج١٦، ص٥.

(٢) الصلاخمة: الابل الشديدة. البزل: الابل في سن التاسعة

(٣) الديوان،ص٣٠٨

(٤) توامقه:تحبه ،يفتلذك:يأخذ منك قطعة ،الحقائق:هي كل ما يحق للمرء أن يحميه

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو،وإنما هم معك تجول بهم في سفهك وبطلانك وفسوقك.ولأمير المؤمنين إلى التقصير في التقتير عليك أقرب منه إلى الاعتداء.ولقد بصّر الله أمير المؤمنين من قطع ما قَطَعَ عنك وعن أصحابك المجّان ما يرجو أن يكون كفارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم وبالله الثقة".(١)

واستغل يوسف بن عمر عامل هشام بن عبد الملك على العراق هذه السلطة المالية في حرمان المتآمرين على بني أمية من العطاء، فبعد أن قضى على حركة زيد بن علي هدّد قبائل الكوفة بقطع أرزاقهم،وقال لهم: (2) "... يا أهل المدرة الخبيثة. إني والله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان، ولا أخوّف بالذئب، هيهات جبيت بالساعد الأشر. أبشروا يا أهل الكوفة بالصَّغار والهوان. لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم ...".

(١) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩ ،ص١٣٦

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

السلطة الاجتماعية

من المفترض أن تكون العلاقة بين الخليفة والرعية علاقة قوية لا تحكمها المنفعة الذاتية التي تؤدي إلى الخلاف، لذلك كان لا بد للخليفة من إنشاء علاقة قادرة على تحقيق مطامح الرعية وراحتهم، فمما يذكر أن عامل معاوية على نصيبين كتب إليه شاكيا "أن جماعة من المسلمين ممن معه تعرضوا للّدغ من العقارب، فأمره أن يوظف عليهم من يراقب العقارب ويمسكها ويقتلها لمنع أذاها عن المسلمين"[1]، ومن هنا كانت سلطة الخليفة الاجتماعية عاملا مهما في تحقيق الترابط بين الخليفة والرعية، وكانت عاملا مهما في تحقيق الأمن الاجتماعي. فالفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه مجيب لأصوات المظلومين خاصة من النساء؛لأنه الخليفة المؤمن الذي يطبّق شرع الله، يقول[2]:

فلو سمع الخليفةُ صوتَ داعٍ ... ينادي الله هل لي من مُجيرِ

وأصواتَ النساءِ مقرّناتٍ ... وصبيانٍ لهنّ على الحُجورِ

إذاً لأجابهُنّ لسانُ داعٍ ... لدينِ الله مِغضابٍ نصورِ

أمينِ الله يصدعُ حين يقضي ... بدينِ محمدٍ وبه أَمورِ

ويبدو الخليفة ملاذ الفقراء والمحتاجين، والمانع لهم من الهلاك والموت ، ومن ذلك أن جريرا يصف عمر بن عبد العزيز بأنه منقذ الأرامل و اليتامى، إذ يقول :[3]

كم بالمواسم من شعثاءَ أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والنظرِ

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ بهِ ... خَبْلاً من الجنّ أو خَبْلاً من النَّشْرِ

---

(١) البلاذري.: الفتوح. ق١. ص٢٤٥. تحقيق عبد الله الطباع، ١٩٥٨

(٢) الديوان، ٢٥٠.

(٣) الديوان،ص٢١١. وانظر ديوان الفرزدق ص٢٣٣-٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ممّن يعُدّك تكفي فقــد والـــــــــدِهِ كالفرخ في العُشّ لم يدرُج ولم يَطِرِ

يرجوك مثلَ رجاءِ الــغيث تَجْرُهُمُ بــوركتَ جابرَ عظمٍ هِيضَ منكسرِ

فإنْ تَدَعْهُم فمن يرجــون بعدكُــمُ أو تُنــج منها فقد أنجيتَ من ضررِ

وهذا الإحساس بأهمية الدور الاجتماعي للخليفة جعل الشعراء يلحّون على تصــوير رعايته للأمة، فكثيّر عزة يصوّر عمر بن عبد العزيز بأنه جــابر اليتــامى والمســاكين والأرامل، يقول[1]:

فمَنْ لليتامى والمساكين بعــــــدَهُ وأرمــلةٍ باتــت شــديداً أنــينُها

وليس بها سُقْمٌ سوى الجوعِ لم تجدْ على جوعها من بعدِها من يعينُها

وكنــتَ لها غيثاً مَريــعا ومرتــعاً كما في غمــار البحر أمرع نَوْنها[٢]

ويبدو أن هذه السلطة الاجتماعية كانت إدراكا من الخليفة لمسؤوليته تجاه رعيتــه، فهذا عمر بن عبد العزيز يدعو إلى توفير أسباب المعونة للرعية، ويكتب إلى عامله على سمرقند، سليمان بن أبي السرى[3]، "أن اعمل خانات في بلادك، فمــن مــرّ بــك مــن المسلمين فأقروهم يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتــين، فإن كان منقطعا به فقوّوه بما يصل به إلى بلده".

وعمل بعض الشعراء على هدم البناء السابق الذي عاش فيه المجتمــع فــي فقــر وبؤس وعريّ، وبنيت صورة جميلة لمجتمع جديد قام بتشييده الخليفة الجديد بممارســته لدوره الاجتماعي القائم على العطف والشفقة؛لأن الخليفة على علاقة وطيدة بالرعية وهو المنقذ لها. فكثيّر عزة يرى عمر بن عبد العزيز مواسيا لليتامى وكاسيا للعــراة ومغيثــا للأرامل ومخلّصا للأسرى، يقول[4]:

---

(١) الديوان،ص١٧٨

(٢) النون: السمك

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٦٧.

(٤) الديوان،ص٣٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكم من يتامى بؤّسٍ قد جبرتَها وألــبستَها مــن بعد عري ثيابَها

وأرملةٍ هلكى ضعافٍ وصلْتَها وأسرى عُنــاةٍ قــد فككتَ رقابَها[١]

ويرى أن العطاء كان مقطوعا قبل يزيد بن عبد الملك،وأنه صار دارّا في أيامــه يقول:[2]

سمكتَ لهم–بــإذن الله–مُلــكاً كما سُمكتْ على الأرض الســماءُ

وأحييتَ العطاءَ وكــان ميْتــاً ولولا الله مــا حُــيي العــطــاءُ

ففي كلّ القبائل مــن مَعَــــدّ ومن يَمَــنٍ لــه أيــضاً حَــبــاءُ

ويرى جرير أن يزيد بن عبد الملك ممسك وموسع الحياة على اليتامى زمن الشدة، فيقول[3]:

إنّ الخــليفةَ للــيتامى عصمةٌ وأبــو العــيــال يَشُفــّهُ الإقــتارُ[٤]

ويصبح يزيد بن عبد الملك موئلا للقرشيين الذين يرجون عطاءه، يقول جرير[5]:

فقد سرّني أنْ لا يزالُ يَزيدُكمْ يســير بــأمــر الأمــة المــتتابعِ

أتــتك قريشٌ لاجئين وغيرُهم إلى كــلِّ دفءٍ مــن جناحِكَ واسع

ويرجو أميرَ المؤمنين وسَيبَهُ مراضــيعُ مثلُ الرّيش سَفعُ المدامعِ[٦]

وانسجاما مع حرص خلفاء بني أمية على تحقيق العدالة الاجتماعية، جــاء فــي المصادر حديث موسع عن رد المظالم، إذ كانت فكرة العدل مداراً للحديث عند الخلفــاء

---

(١) العناة :الذين طال وضعهم في القيود

(٢) الديوان، ص٣٠، ص٣٢.

(٣) الديوان، ص١٦٧، ١٦٩.

(٤) شفه:ضمره . الإقتار: ضيق العيش

(٥) الديوان، ص٢٨٤.

(٦) السيب :العطاء. السفع: ما كان لونه أسودا مشربا بحمرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشعراء، فعمر بن عبد العزيز يكتب إلى الناس في موسم الحج[1] "أما بعد ... ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم، وقد صيّرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو دميم ... والسلام".

ويوجه عمر بن عبد العزيز عماله إلى أن يكونوا صالحين عادلين مبتعدين عن الظلم والعدوان، فهو يكتب إليهم، "كونوا في العدل والإصلاح والإحسان بقدر ما كان قبلكم في الظلم والجور والعدوان ولا حول ولا قوة إلا بالله، إن الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنن سيئة سنّها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والإحسان"[2].

وكتب إلى عروة بن محمد عامله على اليمن،يحثه على تطبيق العدل،يقول[3] "أما بعد، فإني أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم، وتراجعني وأنت تعرف بعد مسافة بيني وبينك، ولا تعرف أخذات الموت، حتى لو كتبت إليك: "اردد على مسلم مظلمة" لكتبت إلي: أردها عفراء أو سوداء؟ انظر أن تردّ على المسلمين مظالهم ولا تراجعني".

ونظر بعض الشعراء إلى أن هذه السلطة ضرورية في توحيد المجتمع، ويأتي الخليفة ليمثل عنصراً مهما في تقريب الآراء والأهواء، فكثيّر يمدح عمر بن عبد العزيز بأنه لم يقدح في خصوم الأمويين أمثال علي بن أبي طالب، فالخليفة عمر هو القادر على فهم المعارضة ومناقشتها. والشاعر بذلك يحقق هدفين مهمين هما: نقد الخلفاء السابقين، ومحاولة تثبيت الحق الذي ينادي به الشاعر، يقول كثيّر:[4]

ولَيتَ فلم تشتمْ علياً ولم تُخِفْ بريّاً ولم تقبلْ إشارةَ مجرمِ

وأظهرتَ نورَ الحق فاشتدّ نورُهُ على كل لبسٍ بارقِ الحق مظلمِ

(١) التذكرة الحمدوية، المجلد الاول ص١٥٠.

(٢) ابن حمدون :التذكرة الحمدونية، ص١٨٥. المجلد الاول، معهد الانماء العربي،بيروت،ط١٩٨٣،١.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر. ص٩٧.

(٤) الديوان،ص٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن علاقة الانسجام التي نشأت بين الخليفة ورعيته، صاغت مفاهيم كثيرة لها صلة بالأمن الاجتماعي، مثل مفهوم الإجارة الذي يعدّ مظهرا من مظاهر الأمن الاجتماعي، إذ يصبح الخليفة ملاذا يلجأ إليه كل من يشعر بالخوف، فالفرزدق يمدح بني مروان بأنهم يجيرون من يستجير بهم إلى أي قوم من الناس انتسب، يقول [١]:

وما باتَ جارٌ عند مروانَ خائفاً ولو كان ممّن يتقي كان أظلما

يَعُدّون للجار التلاءَ إذا التوى إلى أيّ أقتارِ البريةِ يمّما

وأيّ مجيرٍ بعد مروانَ أبتغي لنفسي أو حبلٍ له حين أجرما

ولم ترَ حبلاً مثل حبلٍ أخذتُهُ كمروان أنجى للمنادي وأعصما

ولا جارَ إلا الله إذ حال دونَه كمروانَ أوفى للجوارِ وأكرما

وعند الفرزدق تعميق كبير لمفهوم الإجارة،إذ يربط بين الإجارة الإلهية وإجارة الخليفة، وهو يرتقي بالخليفة ليصبح خليفة الله في الأرض، فالفرزدق يرى يزيد بن عبد الملك خير مجير بعد الله، يقول[٢]:

ولا جارَ بعد الله خيرٌ من الذي وضعتُ إلى أبوابه رحلَ خائفِ

إلى خير جارٍ مستجارٍ بحبله وأوفاه حبلاً للطَّريد المشارفِ

وهو يمدح سليمان بن عبد الملك بالوفاء، لأنه شفع لآل المهلب عند الوليد ابن عبد الملك[٣]،ويستغل النموذج التاريخي لتثبيت معنى الإجارة والوفاء ونفي الغدر عن سليمان،

(١) الديوان، ص٥٢٠ وانظر ص٢٣، ص٥٨، ص٢٠٦، ص٢٩١ وانظر ديوان كثير عزة. ص٢٥١،ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات. ص٨،ديوان الاحوص. ص١١٥.

(٢) الديوان، ص٣٧٨

(٣) وانظر رسائل الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بشأن إجارة يزيد بن المهلب (ابن خلكان:وفيات الاعيان، ج٥، ص٢٦٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيستحضر فعل السموأل بن غريض بن عادياء الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امـــرىء القيس،يقول :[١]

ولولا سليـــمانُ الخـــليـــفـــةُ حلـــّقـــت بهم من يدِ الحجاجِ أظفارُ مُغربِ

كأنّهم عندَ ابـــنِ مـــروانَ أصبـــحـــوا على رأس غينا من ثبيرٍ وكبـــكبِ

أبي وهو مـــولى الـــعهدِ أن يقبل التي يُلام بها عرضُ الغُدورِ المـــسبّبِ

وفاءَ أخي تيـــماءَ إذ هـــو مُشـــــرفٌ يُناديه مغلولاً فتىً غيـــرُ جأنـــبِ

أبوه الـــذي قال: اقتـــلوهُ، فـــإنـــــني سأمنع عرضي أن يُســـبّ به أبي

فإنا وجـــدنا الغـــدر أعـــظم سُبّـــــةً وأفضح من قتلِ امرىءٍ غيرِمذنبِ

فأدّى إلى آل امـــرىء الـــقيس بـــزّهُ وأدْرَاعهُ معروفـــةٌ لـــم تُغـــيّبِ[٢]

ويرى الكميت أن بني هاشم ملجأ الناس الذين يتوقعون خيرهم ويرجون حمايتهم، يقول :[٣]

ألا يفزعُ الأقوامُ ممّا أظلَّهُـــــــــمْ ولـــمّا تجـــبهُم ذات ودقين ضئبلُ

إلى مفزعٍ لن ينجيَ الناس من عمىً ولا فتـــــنةٍ إلا إلـــيـــه التـــحوّل

إلى الهاشميين البهاليلِ إنّـــهـــــــمْ لخائفـــنا الراجي ملاذٌ ومـــوئـــلُ [٤]

---

(١) الديوان، ص٢٣.

(٢) المغرب: العنقاء. الغيناء: الشجرة الكثيفة الملتفة الأغصان. ثبير وكبكب: جبلان. المسبب: الذي يكثر السباب. الجأنب: القصير.البز: الثياب

(٣) الروضة المختارة، ص٦٨، الهاشميات. ص٧٩

(٤) ذات ودقين: الحرب الشديدة. ضئبل: عظيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥)

السـلطة الديـنية

يعد المجتمع الإسلامي مجتمعاً دينياً، تحكمه قوانين وأنظمة مستمدة من شريعة سماوية، وتبعا لهذه الطبيعة صاغ المجتمع الإسلامي نظرة محددة للخليفة، تتمثل في مسؤوليته الدينية في حفظ الشريعة وترسيخ تعاليم الإسلام. والناظر إلى التراث الأموي يجد حديثاً موسعاً عن السلطة الدينية للخليفة؛ لأن المجتمع الأموي كان متقارباً زمنياً مع عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، فضلاً عن الصراعات الداخلية والخارجية التي فرضت على الخليفة أن يمارس دوره الديني في إيجاد اللُحمة بين أفراد مجتمعه. ومن هنا كان تركيز الخلفاء كبيراً على هذه السلطة، رغبة منهم في إثبات وجودهم أمام مجتمعهم الديني، فكانت المنجزات الدينية تلاقي صدىً واسعاً عند الرعية بشكل عام والشعراء بشكل خاص.

وفي الأدب الأموي حديث عن سلطة الخليفة في تطبيق الإسلام والمحافظة عليه، إذ يصبح الخليفة في نظر الشعراء مرسخاً لعرى الإسلام ومنافحا عن تعاليمه ، ويصبح الشعر معبّراً عن شعور الرعية تجاه الخليفة، فالفرزدق يمدح بني مروان بأنهم أعادوا للإسلام مكانته، وطهروا مكة من الملحدين، يقول[١]:

إذا لاقى بنو مروان سلّوا ... لدين الله أسيافاً غِضابا
صوارمَ تمنع الإسلامَ منهُم ... يُوكّلُ وقعهُنّ بمَنْ أرابا
بهنّ لقوا بمكة ملحديها ... ومسكن يُحسنون بها الضّرابا
فلم يترُكنَ من أحدٍ يُصلّي ... وراء مُكذّبٍ إلا أنابا
إلى الإسلام أو لاقى ذميماً ... بها رُكن المنية والحسابا[٢]

---

(١) الديوان، ٢٤

(٢) أرابا: ارتابا، الملحدين: المقصود عبد الله بن الزبير. مسكن: المعركة التي حدثت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في مسكن سنة٧٢ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الفرزدق فيهم دعامة للدين،إذ يثبت الدين بثباتهم، وهم نور وصلاح للمجتمع، يقول[١]:

وجدنا بني مــروانَ أوتادَ ديننا كــما الأرضُ أوتادٌ عليها جبالُها

وأنتم لهذا الدينِ كــالقبلةِ التي بها إنْ يضلّ الناسُ يُهدى ضلالُها

وتتكرر صورة الخليفة المتفرد بهذه السلطة عند جرير، فيصبح عبد الملك بن مروان سيف الله في الأرض، وموحّد الأمة والحفيظ على الدين، يقول [٢]:

لولا الخليفةُ والقرآنُ يقــــرأهُ ما قــام للناس أحكامٌ ولا جمعُ

أنت الأمينُ أمينُ الله لا سَرِفٌ فيــما ولــيتَ، ولا هيّابةٌ ورعُ

ويغدو يزيد بن عبد الملك راعيا للدين وللمسلمين بعد أن تعرضوا للتنصير،يقول الفرزدق:[٣]

فكم من مصلٍّ قد رددتَ صلاتَهُ له بعد ما قد كان في الروم نصّرا

يديهِ بمصلوبٍ على ســاعديهما فــأصبح قــد صلّى حنيفاً وكبّرا

وتبدو سلطة هشام بن عبد الملك كبيرة واسعة، فهو الذي أقام الحق، وأزال الباطل ، وقضى على كل انحراف عن أحكام الله وحدوده، يقول الفرزدق[٤]:

وما تركتْ كفّا هشامٍ مدينة بهــا عِــوَجٌ فــي الــدّين إلا تقوّمــا

و أبرز الشعراء دور الخليفة في حماية الإسلام انطلاقا من التجربة التي عاشها الخليفة والرعية. ومن هنا تضمن الشعر حديثا عن دور الخليفة في المحافظة على الخصوصــية

(١) الديوان، ٤٢٨، ص٢١١، ص٢٥٠.
(٢) الديوان، ص٢٧٨
(٣) الديوان،ص٣٠٠
(٤) الديوان،ص٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامية، ودوره في ضبط العلاقة مع أصحاب الديانات الأخرى،إذ أكثر الشعراء من الحديث عن علاقة الخليفة بالنصارى،و عمله في المحافظة على التراث الإسلامي. ومثّل مشهد هدم الكنائس وبناء المساجد مثالاً متداولاً بين الشعراء، فجرير يمدح الوليد بن عبد الملك عندما هدم كنيسة مار يوحنا وبنى المسجد الأموي،مصرحا بأنه أعاد الحق إلى موضعه وأظهر نور الهدى، يقول[١]:

ولقد سموتَ إلى النصارى سموةً رَجَفَتْ لوقعتها جبالُ الديلمِ

إن الكنيسةَ كان هدمُ بنائِها قسراً فكان هزيمةً للأخرمِ

فأراك ربّك إذ كسرتَ صليبَهُمْ نورَ الهدى وعلمتَ ما لم نعلمِ

ومدح عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك بأنه قضى على الشرك قضاء مبرما،إذ عمل على هدم الكنيسة التي بنيت منذ آلاف السنين، يقول[٢]:

بنى مساجدَ للإسلام جامعةً ولم يدعْ بيت إشراكٍ كما كانا

كنيسةً حدرتْ عادٌ حجارتَها من الجبال التي شرقيّ لبنانا

ويرى الفرزدق أن الوليد بن عبد الملك قام بما قام به الأنبياء من التمكين للتوحيد في الأرض، إذ فصل بين الشرك والإيمان، يقول[٣]:

فرّقتَ بين النصارى في كنائسهِم والعابدينَ مع الأسحارِ والعتمِ

وهم معاً في مصلاّهم وأوجههُمْ شتّى إذا سجدوا لله والصنمِ

وكيف يجتمعُ الناقوسُ يضربُهُ أهلُ الصليبِ مع القُرّاء لم تنمِ

فُهّمتَ تحويلها عنهم كما فُهّمَا إذ يحكمان لهم في الحرثِ والغنمِ

داودُ والملكُ المهديّ إذ حكما أولادها واجتزاز الصوف بالجلمِ

فَهمّكَ الله تحويلاً لبيعتهمْ عن مسجدٍ فيه يُتلى طيّبُ الكلمِ[٤]

---

(١) الديوان،ص٣٩٧

(٢) الديوان،ص١٧٢.

(٣) الديوان،ص٥٣٨.

(٤) الناقوس : مضراب يؤذن بحلول وقت الصلاة عند النصارى. الجلم : مقص الصوف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثّل هدم الكنيسة زمن الوليد بن عبد الملك حدثاً مهماً في وعي النابغة الشـــيباني، إذ رأى الشاعر أن هنالك علاقة مضطربة بين المسلمين والنصارى، وأن علاقة المـــودة بينهم علاقة ظاهرها حسن وباطنها الحقد من النصارى، فهم حاولوا إفســـاد المســـلمين، ويطعن الشاعر من خلال هدم الكنيسة في مشروعية العبادة النصرانية التي تقوم على لغة غير مفهومة. واستغل الشاعر هذا الحدث ليسهب في الحديث عن جمال المسجد الأموي، فمثّل هذا المسجد انتصار الحق على الباطل، ورسّخ سلطة الخليفة الدينية في القضاء على الباطل وإثبات الحق، يقول [١]:

تدعو النصارى لنا بالنصـــرِ ضاحيةً ... والله يـــعلم ما تُخـــفي الشراســـيفُ
قـــلعتَ بـــيعتهم عن جوفِ مســـجدنا ... فصخرُها عن جديدِ الأرض منسوفُ
كـــانت إذا قـــام أهـــل الدينِ فابتهلوا ... باتـــت تُجاوبـــنا فيـــها الأساقـــيفُ
أصـــواتُ عـــُجمٍ إذا قاموا بقربتهـــم ... كما تصـــوّتُ في الصبح الخطاطيفُ
فـــاليوم فيه صلاةُ الحق ظاهـــرةٌ ... وصـــادقٌ من كتـــاب الله مـــعروفُ
فـــيه الـــزبرجدُ والياقوتُ مؤتلـــقٌ ... والـــكلسُ والذهبُ العقيانُ مرصوفُ
تـــرى تهاويلَه من نحو قبلتِنـــــا ... يـــلوح فيه من الألـــوانِ تفـــويـــفُ
يـــكاد يُعشي بصيرَ القومِ زبرجـــُهُ ... حـــتى كأنّ ســـوادَ العينِ مـــطروفُ
وقـــبةٌ لا تـــكادُ الطيرُ تبلغُهـــــا ... أعـــلى مـــحاريبها بـــالسّاجِ مسقوفُ
لـــها مـــصابيحُ فيه الزيتُ من ذهبٍ ... يـــضيءُ مـــن نورها لبنانُ والسّيفُ
فـــيه الـــمثاني وآياتٌ مفصّلـــــةٌ ... فـــيهنّ مـــن ربـــنا وعـــدٌ وتخويفُ[٢]

(١) الديوان، ص١١١

(٢) ضاحية: علانية. الشراسيف: الأضلاع. قربتهم: صلاتهم. الخطاطيف: طائر أسود. تهاويله: تصاويره. تفويف: زخرفة. الساج: الخشب القوي. السّيف: منطقة في فارس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحضّ بعض الشعراء الخليفة على ممارسة سلطته الدينية، فابن نوفل يدعو هشام بن عبد الملك إلى عزل خالد القسري عن العراق، لأنه بنى كنيسة لأمه، فناصر النصارى، وعادى المسلمين، يقول :[١]

عليك أميرَ المؤمين بخالـــــــدٍ وعــمَّالَه إن كــنتَ تطلبُ خالدا

بنى بيعةً فيها الصليبُ لأمـــــهِ وخرّبَ من بَعد الصلاة المساجدا

وقال الفرزدق أيضا في الموضوع ذاته:[٢]

أبــلغ أميرَالمؤمين رسالـــــــــةً فــعجّل هــداك الله، نزعَك خالدا

بــنى بيعةً فيها الصليبُ لأُمـــــهِ وهدّم من بُغض الصلاة المساجدا

ويبدو أن العلاقة مع أتباع الديانات والتيارات الفكرية المختلفة، فرضت على الخلفاء الأمويين أن يتشددوا في المحافظة على الشخصية الإسلامية، حتى لا تختلط ولا تذوب في النصرانية و اليهودية. ويعدّ عمر بن عبد العزيز من أكثر الخلفاء الأمويين الذين حــاولوا أن يحافظوا على الخصوصية الإسلامية للمجتمع، فهو في رسالة له إلى عماله أمرهم أن يفرّقوا بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى في الملبس،إذ يقول فيها: [٣] "مروا مــن كان على غير الإسلام أن يضعوا العمائم ويلبسوا الأكســية، ولا يتشــبهوا بشــيء مــن الإسلام، ولا تتركوا أحداً من الكفار يستخدم أحداً من المسلمين". وفــي رســالة أخــرى يقول:[٤] "أما بعد: فلا تدعن صليباً ظاهراً إلا كســر ومحــق، ولا يــركبن يهــودي ولا نصراني على سرج، وليركب على إكاف[٥]، ولا تركبن امرأة من نسائهم علــى رحالــه. وليكن ركوبها على إكاف، وتقدّم في ذلك تقدماً بليغاً، وامنع من قبلك فلا يلبس نصــراني قباءً ولا ثوب خزّ ولا عصب".

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص٩٠.

(٢) الديوان،ص١٤٥

(٣) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٢، ص٣٠٢.

(٤) يحيى بن آدم :كتاب الخراج، ص١٥٢

(٥) الإكاف: برذعة الحمار. الرحال: السرج. العصب: البرود اليمنية المخططة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووظف عمر بن عبد العزيز سلطته الدينية في محاربة القدرية،إذ أدرك الخطر الكبير لهذه الفرقة، ولذلك كتب إلى عدي بن أرطاة واليه على البصرة ، "أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاستتب القدرية مما دخلوا فيه، فإن تابوا فخلّ سبيلهم، وإلا فانفهم من ديار المسلمين"[١].

و أمر عمر بن عبد العزيز أن لا يتولّى أمر المسلمين غير المسلم ، ورأى أنّ الاستعانة بالمشركين يجب ألا تكون دائمة وإذا وجد المسلم القادر فهو الأولى ، قال في رسالة له إلى أحد عماله: [٢] "...إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير، فكانت لهم بذلك مدة قضاها الله بأمير المؤمنين،فلا أعلم كاتبا ولا عاملا في شيء من عملك علىغير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً. فافعل ذلك واكتب إليّ كيف فعلت".

ويقول في رسالة أخرى إلى عماله: [٣] "إن الله عز وجل أكرم بالإسلام أهله وشرفهم وأعزهم. وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس. فلا تولّ أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم، فتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم، فإن الله عز وجل يقول: (لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّم)، (لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)".

ومما له ارتباط بمفهوم الولاية الإسلامية ما اتبعه عمر بن عبد العزيز في تولية أهل الفقه والقرآن، ومن ذلك ما كتبه إلى عماله يأمرهم باستعمال ذوي الدين والاستقامة،يقول[٤] "إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فكتبوا إليه: يا أمير المؤمنين ، إنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة، فكتب لهم: إياكم أن يبلغني

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز . ص٦٨.
(٢) ابن عبد الحكم:سيرة عمر، ص١٦٥.
(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٦٩،
(٤) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير".

ويبدو أن اهتمام عمر بن عبد العزيز بالأمور الفقهية وورعه الشديد، أدى به إلى أن يفصّل القول في المعاملات الدينية، وأن يستعمل ولاة قادرين على أن يكونوا قدوة للرعية، فهو يرى أن أهل القرآن هم الأقدر والأجدر. ومن هنا تبدو نظرته نابعة من عقلية الفقيه الحريص على تطبيق مفهوم السلطة الدينية تطبيقا حرفيا[١].و تبدو هذه النظرة واضحة في كتبه ورسائله إلى واليه على البصرة عدي بن أرطاة، إذ كتب إليه: "أما بعد فقد بلغني كتابك تسأل عن شهادة الأربع النسوة المرضيات أتجيزها أم لا، وكتبت تسأل عن العبد بقذف الحر، وذكرت أنه بلغك أني كنت أضربه في عملي على المدينة أربعين جلدة، ثم جلدته في آخر عملي ثمانين، وإن جلدي الأول كان رأياً رأيته وإن جلدي الآخر وافق ما في كتاب الله؛ لأن الله يقول: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) لم يسمّ فيها حراً ولا مملوكاً، فاجلده ثمانين، فأما شهادة النسوة الأربع فإني لم أسمع في الكتاب بشهادة خلصت فيها نساء إلا ومعهن رجل. فانته من الأمر إلى ما تعرف. ودع ما تنكر واعلم أن أحداً لا يستطيع إنفاذ حقوق الناس بينهم حتى لا يبقى منها شيء، ولا بد من أن تستأخر قضايا كثيرة إلى يوم الحساب. والسلام"[٢].

و نزع عمر بن عبد العزيز منزعا فقهيا في الحكم، جعله ينظر إلى المجتمع نظرة الحافظ للنفس والمجتمع عن طريق محافظته على الدين، فهو يكتب رسالة إلى عدي بن أرطاة موضحا فيها ضرر النبيذ وحرمته،ويشدد في رسالته على معاقبة شارب الخمر،ومما جاء في الرسالة "أما بعد، فإنه قد كان من الناس في هذا الشراب أمر ساءت فيه رغبتهم. وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم، وسفه أحلامهم، وبلغت بهم

---

(١) يفرّق ابن خلدون بين أهل العلم والفقه وأهل السياسة بقوله: "العلماء ينطلقون من الكليات والمجردات الذهنية فيحكون بها على الواقع أو يتصورونها وفقاً لها، على حين يتميز أهل السياسة بالانطلاق من الواقع الى الفكر والتصور". ويرى ابن خلدون أن أهل العلم والفقه أبعد الناس عن السياسة لأنهم "معتادون على النظر الفكر والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات، وتجريدها في الذهن أموراً كلية عامة... ويطبقون الكلي على الخارجيات...ويتفرع عندهم ما في الخارج عما في الذهن. والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها فإنها خفية، ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال، ويناقي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها أما أهل السياسة، من أوساط الناس وأهل الكياسة، فإنهم يقتصرون لكل مادة على حكمها، وفي كل صنف من الأحوال والأشخاص على ما اختص به، ولا يتعدى الحكم بقياس ولا تعميم". (مقدمة ابن خلدون، ص١٠٤٥).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدم الحرام والفرج الحرام والمال الحرام، وقد أصبح جلّ من يصيب من ذلك الشراب يقول: شربنا شراباً لا بأس به، ولعمري إنّ ما حمل على هذه الأمور وضارع الحرام لبأس شديد، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعةً من أشربة كثيرة طيبة ليس في الأنفس منها جائحة: الماء العذب الفرات، واللبن، والعسل والسويق.

فمن انتبذ نبيذاً فلا ينبذه إلا في أسقية الأدم التي لا زفت فيها. وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الجرار والدّباء والظروف المزفّتة، وكان يقول: "كل مسكر حرام" فاستغنوا بما أحلّ الله عما حرّم، فإنا من وجدناه يشرب شيئاً من هذه بعدما تقدمنا إليه، أوجعناه عقوبة شديدة، من استخفى فالله أشد عقوبة وأشد تنكيلا، وقد أردت بكتابي هذا اتخاذ الحجة عليكم اليوم وفيما بعد اليوم، أسأل الله أن يزيد المهتدي منا ومنكم هدى، وأن يراجع بالمسيء منا ومنكم التوبة في يسر وعافية، والسلام"(١).

وفي رسالة له إلى بعض عماله، اجتهد عمر في المحافظة على الشخصية الإسلامية بترك عادات الجاهلية عند الموت، وندب النساء للميت، فقد كتب عمر إلى عماله: (٢) " إنه بلغني أن نساء ذوات سعة يخرجن عند موت الميت ناشرات شعورهن يَنُحْن، وهذا فعل أهل الجاهلية، وأن الله لم يرخص للنساء في وضع خمرهنّ مذ أمرهنّ بضربها على جيوبهن، فتقدم في هذه النياحة تقدماً شديداً، وقد كانت هذه الأعاجم تلهو بأشياء زيّنها الشيطان لهم، فازجر من قبلك من المسلمين عن ذلك، فلعمري لقد آن لهم أن يتركوه مع قرارة كتاب الله، وانه عن ذلك الباطل واللهو من الغناء وما أشبهه، فمن لم ينته فنكّل به غير معتدٍ ولا مسرف، إن شاء الله، والسلام".

و شدد هشام بن عبد الملك على ضرورة تولي المسلمين أمور السلطة، فعندما استعمل خالد القسري النصارى والمجوس في بعض شؤون الدولة، وجّه له هشام خطاباً شديداً قال فيه(٣) " ... ولولا ما أحبّ أمير المؤمنين من رد غرّبك لعاجلك بالتي كنت أهلها، وأنها منك لقريب مأخذها، سريع مكروهها، فيها -إن أبقى الله أمير المؤمنين-

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٣٧. ابن الجوزي: سيرة عمر، ص ١٠١.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص١٩٢.
(٣) المبرد: الكامل، ج٢،ص٢٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زوال نعمة عنك، وحلول نقمة بك، فيما صنعت وارتكبت بالعراق، من استعانتك بالمجوس والنصارى، وتوليتهم رقاب المسلمين وجِبوةِ خراجهم، وتسلطهم عليهم".

وتصوّر رسالة عبد الحميد الكاتب في الشطرنج، استياء الخليفة مروان بن محمد من تعلّق الناس بالشطرنج، فعدّ اللعبة رجسا من الشيطان، لأنها تلهي عن العبادات،ولأجل ذلك شددّ الخليفة العقوبة على من أظهر هذه اللعبة،وفي هذا تأكيد لسلطة الخليفة في المحافظة على المجتمع من الفساد والانهيار، ومما جاء في الرسالة "... وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناساً ممن قبلك من أهل الإسلام، قد ألهبهم الشيطان بها، وجمعهم عليها. وألّف بينهم فيها، فهو معتكفون عليها من لدن صبحهم إلى ممساهم، ملهية لهم عن الصلوات، شاغلة لهم كما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع أعمالهم، مع مداعبتهم فيها، وسوء لفظهم عليها، وأن ذلك من فعلهم ظاهر في الأندية والمجالس، غير منكر ولا معيب، ولا مستقطع عند أهل الفقه وذوي الورع والأديان والأسنان منهم، فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ... وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم إليهم فيما بلغه عنهم، وأن ينذرهم... فأذّن بذلك فيهم... وتقدّم إلى عامل شرطتك في إنهاك العقوبة لمن رفع إليه من أهل الاعتكاف عليها والإظهار للعب بها...والتمس بشدتك عليهم فيه وإنهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتّباع أمير المؤمنين ورأيه، ولا يجدنّ أحد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل..."[١].

(١) جمهرة رسائل العرب، ج٢، ص٥٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦)

طبيعــة الســلطة

تباينت مواقف بني أمية والرعية في التعامل مع ســلطة الخليفــة، أهــي مطلقــة أم محدودة؟ ونتج عن هذا التباين جانبان، أولهما: نظري تمثــل فــي الخطــب والرســائل والأشعار والمناظرات، وثانيهما: عملي تمثل في الثــورات التــي قامــت علــى بنــي أمية،وفيمايلي عرض للجانبين.

١- موقف الأمويين:

أ- السلطة المطلقة:

نظر معظم خلفاء بني أمية إلى سلطة الخليفة نظرة فيها قدر كبير مــن القدســية[١]، فغدت الخلافة بأبعادها النظرية والتطبيقية ممثلة في الخليفة، مما أدّى إلى تفرده بالســلطة والقرار.

ومن هنا دار حديث مهم عن السلطة المطلقة لهذا الخليفة،فاستخدم الخلفاء الأمويــون هذه السلطة في تحقيق كثير من مآربهم،إذ أقام بعضهم تقابلاً واضحاً بين إرادتين ممثلتين في الإرادة الإلهية والإرادة البشرية. وحاولوا أن يستغلوا مفهوم السلطة الإلهيــة لتســويغ أعمالهم،فلا تستطيع القوة البشرية أن تصارع القوة الإلهية.فكان الخليفة هو المســؤول عن تنفيذ هذه الإرادة، خاصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ تصــبح إرادة

(١) يرى الدكتور عبد العزيز الدوري أن فكرة السلطة الحاكمة خارج حدود القبيلة غريبة بالنسبة إلى العرب، فأدخلها الرسول باسم الله، ونسبت المؤسسات العامة والجيش إلى الله، ومن هذه الفكرة يفهم أنه لا توجد سلطة بشرية بل سلطة إلهية فوق البشر، لها وحدها حق الحكم، والرسول هو ممثل الله ومنفذ إرادته، وهو الهادي إلى الحقيقة والحاكم الشرعي على الأرض، وأساس هذا الحكم العدل، والأفراد متساوون في علاقتهم بالحاكم ولكنه هو مصدر السلطة لا الناس".(انظر النظم الإسلامية، ص٢٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة ممثلة لإرادة الله. وبذلك وضع الخليفة الخصوم أمام موقف صعب، فأشاع أنهم يعارضون إرادة الله، وما الخليفة إلا منفذ لهذه الإرادة ، فهذا معاوية بن أبي سفيان يقول:(١) "الأرض لله وأنا خليفة، فما أخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي". واستغل معاوية السلطة المطلقة في استمالة الخصوم. ومارس ذلك عندما كان أميرا على الشام، ومما يذكر في هذا السياق "أن عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه علي بالكوفة، فقال له علي: مرحباً بك وأهلاً. ما أقدمك يا أخي؟ قال: تأخر العطاء عنا، وغلاء السعر ببلدنا، وركبني دين عظيم، فجئت لتصلني، فقال علي: والله ما لي مما ترى شيئا إلا عطائي. فإذا خرج فهو لك. فقال عقيل: وإنما شخوصي من الحجاز إليك من أجل عطائك؟ وماذا يبلغ مني عطاؤك؟ وما يدفع من حاجتي؟ فقال علي: فمه! هل تعلم لي مالاً غيره؟ أم تريد أن يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين؟..." [وجاء عقيل إلى معاوية فرحب به وقال له:] "إني أزعم أن جميع ما تحت يدي لي، فما أعطيت فقربة إلى الله، وما أمسكت فلا جناح عليّ فيه... وأمر له معاوية بثلاث مئة ألف دينار. قال له: هذه مئة ألف تقضي بها ديونك، ومئة ألف تصل بها رحمك، ومئة ألف توسع بها على نفسك"(٢).

وتوضح لنا هذه الحادثة رؤيتين متضادتين في التعامل مع سلطة الحكم، فعلي ابن أبي طالب رأى أن سلطة الخليفة ليست مطلقة، بل هي سلطة مقيدة ، وأما معاوية فنظر إلى هذه السلطة على أنها سلطة مطلقة، و للخليفة الحرية التامة في استخدامها. وعلى الرغم من أن كلا الفكرين ينطلقان من المصدر الإلهي ذاته القائم على أن المال مال الله، إلا أنهما يفترقان في التعامل مع هذا الرزق.

واتبع معاوية الأسلوب نفسه عندما أصبح خليفة، فقد سأل معاوية عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يوم وفد إليه "كم دينك يا ابن جعفر؟ فقال: ألف ألف درهم، فقال معاوية: يا سعد اقضها عنه. فغضبت قريش وقالت نظن معاوية هائباً لابن جعفر. فقال معاوية مبرراً عمله:

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨.

(٢) ابن قتيبة :الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تــقول قريش حين خفّتْ حلومُهــا نــظنّ ابنَ هندٍ هائباً لابنِ جعفــرِ
فــمن ثمّ يقضي ألفَ ألفٍ ديــونــه وحــاجتُــهُ مــقضــيةٌ لم تُــؤخرِ
فقلتُ دَعوا لي لا أباً لأبيــكُــــــمُ فــما منكمُ فيضٌ لــه غــيرُ أعورِ
ألــيس فتى البطحاءِ ما تنكرونــَهُ وأوّلُ مــن أثني بتقواه خنــصري
فما ألــفُ ألفٍ فاسكتوا لابنِ جعفرٍ كــثير ولا أمثــالُها لي بــمنكرِ"[١]

ويعبّر زياد بن أبيه في خطبته البتراء عن مفهوم الســلطة المطلقــة كمــا يراهــا الأمويون؛ إذ تمتزج السلطة بالدين والسياسة، وتصبح طاعة الخليفــة مــن طاعــة الله، وعصيانه عصيانا لله، فهو يخاطب أهل البصرة قائلاً: [٢] "...كأنكم لم تقرؤوا كتــاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول". ويرى زياد بن أبيه أن شرعية الحكم تتطلب الطاعة لأن سلطان الخليفة من سلطان الله،عندئذٍ تصبح سلطات الخليفة مطلقة فهو يقول: " أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفــيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العــدل فيمــا ولينــا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا.." ويختتم زياد خطبته بالدعوة إلى الطاعة العمياء؛ لأن الأئمة هم مركز الصلاح والفلاح، وما الرعية إلا سائرون على درب الخليفــة فهــو يقول: "فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكــم الــذي إليــه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا.. وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر، فأنفذوه على إذلاله".

ويوضح عمرو بن سعيد الأشدق أحد أفراد بني أمية فــي خطبــة لــه فــي أهــل دمشق،وجهة نظر خلفاء بني أمية في السلطة المقدسة المستمدة من الله، وأن الخليفة وصي الله على العباد، يحكم فيهم بما يشاء، فمن أيّده أدخله الجنة، ومن خالفه أدخله النار، فهــو

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٧، ص٢٦٥.

(٢) انظر الخطبة الجاحظ: البيان والتبيين، ٢:٤٩ . الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥:٢٢٠ . البلاذري: أنساب الأشراف، ٥:٢١٧ ابن قتيبة: عيون الأخبار،٢:٦٣٠ . ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣:١١٠ . المسعودي: مروج الذهب، ٢:٥٦ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣:٤٤ ،جمهرة خطب العرب، ٢ :٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: [١] "أيها الناس إنه لم يقم من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً، يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه، وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إليّ من ذلك شيء غير أن لكم عليّ حسن المؤاساة والعطية ".

واتخذ بعض الخلفاء من هذا الشعور بالقداسة أساسا للتحكم في أرزاق الناس،فعبد الملك بن مروان يرى أنه يتصرف في أموال المسلمين بمشيئة الله ، يقول: [٢] "أنا عبد من عباد الله، وخازن من خزان الله على مقاليد الأرض، فإذا شاء لعبد برزق أمرني فأعطيته، وإذا حرم عبداً أجرى ذلك على يدي، فسلوا الله قضاء حوائجكم ونجاح طلباتكم". وسار هشام بن عبد الملك على خطى والده في ذلك، يقول: [٣] "أما والله إنا لنعرف الحق إذا أنزل، ونكره الإسراف والبخل، وما نعطي تبذيراً ولا نمنع تقتيرا، وما نحن إلا خزّان الله في بلاده، وأمناء على عباده، فإذا شاء أعطينا، وإذا منع أبينا، ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق، ما جبهنا قائلا، ولا رددنا سائلاً.ونسأل الذي بيده ما استحفظنا عليه أن يجريه على أيديه، فإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه بعباده خبير بصير".

ويروى أن الشاعر ابن أذينة "دخل على هشام بن عبد الملك فقال له(هشام): ألست القائل:

لقد علمتُ فما الإسرافُ في طَمَعي ... أَنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فَيُعَنِّيني تَطَلُّبُهُ ... ولو قَعَدتُ أتاني لا يُعَنِّيني

قال نعم. قال: فما أقدمك علينا؟ قال سأنظر في أمري، وخرج من فوره ذاك فانصرف. فأخبر بذلك هشام فأتبعه جائزته"[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٤١.

(٢) الآبي: نثر الدر، ج٣، ص٥٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٩٥.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٥٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تشير هذه الحادثة إلى أن الشاعر انطلق في بيتيه من مفهوم إسلامي معروف، وهو أن الرزق مقدّر،و كاد الشاعر يحرم من عطائه؛ لأنه يخلّ بالصورة التي أراد خلفاء بني أمية أن يرسخوها في أذهان الرعية عن العطاء والمنع.

و استغل بعض خلفاء بني أمية السلطة المطلقة في تثبيت فكرة الانقياد والطاعة، ففي كتاب بيعة الوليد بن يزيد لولديه بالعهد، جلّى نظرة بني أمية في الطاعة التامة، فقال: [١] "...فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه بولايتهم، ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه وسلّطهم عليه، وجعله نكالاً وموعظة لغيره، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها، والأثرة لها، والتي قامت السموات والأرض بها، قال الله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ). وقال عّز ذكره (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ). فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صيّره، وبطاعة من وّلاه إياها سعد من ألهمها ونصرها، فإن الله عزوجل علم أن لا قوام لشيء، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه، ويمضي بها أمره، وينكل بها عن معاصيه، ويوقف عن محارمه، ويذبّ عن حرماته، فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً، ولأمره مطيعاً، ولرشده مصيباً، وبعاجل الخير وآجله مخصوصا، ومن تركها ورغب عنها، وحادّ الله فيها، أضاع نصيبه، وعصى ربه، وخسر دنياه وآخرته، وكان ممن غلبت عليه الشقوة، واستحوذت عليه الأمور الغاوية التي تورد أهلها أفظع المشارع، وتقودهم إلى شرّ المصارع، فيما يحل الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة، ويصيرهم فيما عندهم من العذاب والحسرة.

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وملاكه وزمامه، وعصمته وقوامه بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد، وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم، واستوجبوا عليه ثوابهم، وفي المعصية مما يحل بغيرهم من نقماته، ويصيبهم عليه، ويحق

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣١١. وانظر تحليلا وافيا لنظرية الوليد في كتاب(الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي)للدكتور حسين عطوان، ص٢٤١-٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من سخطه وعذابه، وبترك الطاعة، والإضاعة لها، والخروج منهـا، والإدبـار عنهـا، والتبدل بها، أهلك الله من ضلّ وعتا، وعمي وغلا، وفارق مناهج البرّ والتقوى. فـالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم، وألمّ بكم من الأمور، وناصحوها واستوثقوا عليها، وسارعوا إليها وخالصوها، وابتغوا القربة إلى الله بها، فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائـه إياهم، وإفلاجه حجتهم، ودفعه باطل من حادّهم وناوأهم وساماهم، وأراد إطفاء نـور الله الذي معهم، وخبرتم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهـم، حتى يؤول أمرهم إلى تبار وصغار، وذلة وبوار، وفي ذلك لمن كان له رأي وموعظـة عبرة ينتفع بواضحها، ويتمسك بحظوتها، ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها".

إنّ الطاعة عند الوليد بن يزيد ليست في حقيقتها طاعة له وللخلفاء، بل هي طاعة لله، وما الخليفة إلا مستخلف في هذه الأرض،و يقوم من خلال سلطاته بتطبيـق شـرع الله و العدل بين الناس والدفاع عن المستضعفين وإصلاح البلاد، فمشيئة الخليفة من مشيئة الله . ونلمح أسلوب الوليد في الخطاب الدال على ذلك؛ إذ استخدم ضمائر و تراكيب منسـوبة إلى الله عزوجل، فالله هو الذي يصرع المتعرضين لحق الخلفاء، وهـو مهلـك مفرقـي الجماعة، والطاعة طاعة لله، ففيها القربى إلى الله، والمقصرون فيها موبَّخـون مـن الله. وهكذا تنتشر هذه الضمائر والتراكيب في ثنايا الرسالة، كي يرسّخ الوليد فكـرة الطاعـة نظرياً وعملياً في أذهان الرعية، فلا تكون المواجهة بعد ذلك بين إرادتين بشريتين، بـل بين إرادة بشرية ممثلة في الرعية وبين إرادة إلهية ممثلة في الخليفة.

و استغل الوليد بن يزيد النص القرآني في فرض مبدأ الطاعة، وهو بـذلك يحقـق هدفين هامين ، فهو من جهة يريد أن يقنع المجتمع أن الطاعة واجبة لمالك الأمر، وهـو الله أو موكله وهو الخليفة، وذلك قياساً على طاعة السماء والأرض والملائكـة للخـالق، وهو من جهة أخرى يريد أن يشعر مجتمعه أن رؤية الخليفة أعمق من رؤية الرعية؛ لأنه يستمد رؤيته من الفعل الإلهي، إذ أخضع الله عزوجل الملائكة للطاعة عنـدما توجسـوا خيفة من استخلاف الإنسان في الأرض فجاء الرد الرباني (إني أعلم مـا لا تعلمـون)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت الطاعة الملزمة للملائكة. ويستفيد الوليد من هذا البناء في النص القرآني ليمهد البيعة لولديه الصغيرين، ويوجب على الناس القبول بما اختار لهم. [١].

ب- السلطة غير المطلقة:

إن الحديث عن قدسية سلطة الخليفة، لم يكن حديثاً ذا توجه واحد عند الأمويين، إذ ظهرت دعوات ترى في سلطة الخليفة سلطة بشرية يعتريها الخطأ وتقبل النقد والمناقشة،يقول عتبة بن أبي سفيان في خطبة له في مصر: [٢] "فلنا عليكم السمع والطاعة، ولكم علينا العدل، فأيّنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه".

وعبّر عمر بن عبد العزيز عن هذا المفهوم في أول خطبة له بعد البيعة،فطاعة الرعية له مرتبطة بتطبيقه لأحكام الله، يقول: [٣] "أيها الناس! إنه ليس بعد نبيكم نبي، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرّم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاض وإنما أنا منفّذ لله، ولست بمبتدع ولكني متّبِع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل. لست بخيركم وإنما أنا رجل منكم. ألا وإني أثقلكم حملا، يا أيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم".

وحاول عمر بن عبد العزيز أن يقوّض دعائم السلطة المطلقة التي كان ينادي بها أكثر خلفاء بني أمية،لأنها حادت عن الطريق القويم، فعندما بدأ عمر بأخذ ما بأيدي بني أمية وردّها إلى أصحابها فزعوا إلى عمته فاطمة، يطلبون منها أن تكلمه في الأمر فأتته ليلاً،

---

(١) انظر أيضاً الرسالة التي كتبها عبد الحميد الكاتب في الطاعة، إذ يرى أن الخروج على الخليفة وعصيانه وإثارة الفتن عليه، فيه تحد لله والدين والرسول. إذ الخلفاء يكملون ما بدأه الرسول، ولذلك فإن طاعتهم حتمية، فهم ولاة الحق وأنصار الدين، وهم موكلون بالدفاع عن الطاعة والذب عن حرمتها.. والطاعة مصدر كل نعمة وكرامة وعافية وسلامة، فمن أراد الله إسعاده لزمها وكان من أهلها، وأدى الحق لوليها وناصرها فسلم له دينه، وخلاف الطاعة المعصية، ولها أسماء أخرى مثل الخلاف والفتنة، أما الطاعة فلا مرادف لها. والمعصية تذهب النعمة وفيها هلاك كل عز وألفة، وفيها إراقة للدماء وضياع للرعية، فالطاعة في الرابطة الدينية بين الله والإنسان، والمعصية هي الرابطة بين الشيطان والإنسان وأول المعصية تكون بالطعن على الولاة: (انظر عبد الحميد الكاتب. إحسان عباس، ص٨٣. دار الشروق، عمان، ١٩٨٨).

(٢) ابن عبد ربه :العقد الفريد، ج٤، ص١٤٠.

(٣) ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما أخذت مجلسها قال: [١] "يا عمة أنت أولى بالكلام؛ لأن الحاجة لك فتكلمي. قالت: تكلم يا أمير المؤمنين. فقال: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة، ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً، ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي، وقد يبس النهر الأعظم، ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كانت عليه".

وتحلل يزيد بن الوليد من قدسية سلطة الخليفة، ورأى أنه يحق للأمة ان تعزل الخليفة إذا أخلّ بسلطاته؛ لأنه كان يؤمن بمذهب الشورى في الخلافة، واستشارة أولي الرأي والمعرفة من الأمة ، يقول يزيد بعد قتله الوليد بن يزيد: [٢] "أيها الناس ، ..لكم عليّ ألا أجمّركم فأفتنكم، ولا أفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم، ولكم عند إدرار أعطياتكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن أنا وفيت لكم بما قلت، فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة، وإن أنا لم أف، لكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني، فإن تبت قبلتم مني، وإن علمتم مكان رجل يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما أعطيتكم فبايعوه إن أردتم ذلك، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته. أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم".

وهذه الصورة التي رسمها عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد، وهذا الفهم لسلطة الخليفة، يتناقض والتوجهات الأموية التي ترى في سلطة الخليفة سلطة لا تناقش. [٣]

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص١٥٢.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص ١٩٢.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- موقف الرعية:

أ- الموالون لبني أمية:

أيّد الموالون لبني أمية السلطة المطلقة للخليفة ،وعبّر الفرزدق عن هذه السلطة في قوله يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه المتصرف في كل أمر:(١)

وإنك راعي الله في الأرض تنتهي إلـــيك نواصـــي كلِّ أمرٍ وآخرُهْ

ورأى بعض الشعراء أن هذه السلطة المطلقة منحة من الله وهي سلطة إلهامية،فهـــذا جرير يقرر أن الوليد بن عبد الملك خليفة الله في الأرض،يقول:(٢)

فـــأنت لـــربِّ الـــعالمينَ خـــليفةٌ ولـــيٌّ لـــعهدِ الله بـــالحقِّ عارفُ

وعندما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة مار يوحنا،مدحه جرير بأنه قام بهدم الكنيسة بهدي من الله و تنفيذا لأمره ،يقول:(٣)

فأراكَ ربُّكَ إذ كـــسرتَ صليبهم نورَ الهدى وعلمتَ ما لم نـــعلمِ

و يظهر هذا العطاء الرباني في مدح جرير سليمان بن عبد الملك،فحكمه مـــن حكـــم الله، يقول(٤):

الله أعـــطاكمُ مـــن عـــلمه بكمُ حـــكماً وما بعد حكم الله تعقيب

وأدرك الشعراء السلطة المطلقة في توزيع الأرزاق، ولذلك رأى يزيد بن مفرغ الحميري أن سلطة بني أمية هبة من الله، و ظنّ أن بأيديهم الحياة والموت، يقول(٥):

---

(١) الديوان ،ص٢٢١

(٢) الديوان،ص٣٠٣

(٣) الديوان ،ص٣٩٧

(٤) الديوان،ص ٣٤.

(٥) الديوان، ص١٨٢..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـكأنّما جعـل الإلهُ إلـيكُـــمُ قـبضَ الـنفوسِ وقسمةَ الأرزاقِ

وقال القطامي يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه المتحكم في أرزاق الرعية[١]:

أنـت الإمـامُ ابن الإمامِ لأمـةٍ أضـحى بـكفّك فـقرُها وغناها

ومدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك بأن سلطته عطية من الله،و أنه غيّاث للرعية في الشدائد والمحن:[٢]

فلـو أنـني بـالصّينِ ثمَّ دعوتني ولـو لم أجد ظهراً أتيتكَ ساعيـا

ومـا لـيَ لا أسعى إليك مشـمّراً وأمـشي على جَهدٍ وأنت رجائيـا

وكـفّاكَ بـعد الله فـي راحتيهـما لِمن تحت هذي فوقنا الرزقُ وافيا

وأنـت غِياثُ الأرضِ والناس كلّهمْ بك الله قد أحيـا الذي كان بالـيا

ومدح الفرزدق الوليد بن يزيد بأنه الذي يقضي المطالب بعد الله، وأنـه حَـيٌ للنـاس والأرض ، يقول: [٣]

أُرجّي أمـيرَ الـمؤمنين لـحاجةٍ بـكفّيـكَ بعـد الله يُرجـى قضاؤُها

وأنـت سـماءُ الله فـيها التي لهمْ من الأرضِ يحيي ميّتَ الأرضِ ماؤُها

وتحدث أنصار بني أمية كثيرا عن الطاعة المطلقة للخليفة، ففي خطبة للحجـاج، تتأرجح فكرة الطاعة عنده بين أن تكون طاعة للخليفة، وأن تكون طاعة لله، وإن كانـت الصلة بينهما قائمة غير مبتورة، فهو يميز بين التقوى والطاعة، ففي حين يرى أن التقوى ينبغي أن تكون لله، يرى أن السمع والطاعة ينبغي أن يكونا للخليفة فهو يقول: [٤] "قال الله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم) فهذه لله، وفيها مثوبة، ثم قال (وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) وهـذه لعبد الله، وخليفة الله، وحبيب الله، عبد الملك بن مروان، والله لو أمرت الناس أن يأخـذوا من باب واحد، وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله، ولو قتل ربيعـة

(١) الديوان، ص١٦٥.

(٢) الديوان ،ص٦٤٧

(٣) الديوان ،ص١٤

(٤) ابن عبد ربه :العقد الفريد، ج٤، ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومضر لكان لي حلالا" . وظهر ذلك أيضا في وصيته عند موته إذ قال:[١] "هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث"[٢].

ويرى خالد القسري أن كلام الخليفة مقدس لا جدال فيه، فقد خطب في أهل مكة مرة فقال: [٣] "يا أيها الناس، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات، فإني والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم. إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها فسلّموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت، إنه لا رأي فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه". وبالغ خالد القسري في وصف الطاعة المطلقة، فقد قال حين أخذ سعيد بن جبير وطلق بن حبيب بمكة: [٤]" كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين أن انقضها حجراً حجراً لفعلت-يعني الكعبة-".

ونظر الشعراء إلى فكرة الطاعة على أنها فرض واجب، فهذا حاتم بن النعمان يقرر أن الإخلاص للخليفة، والامتثال لأمره أمرٌ لازم،يقول في عبد الملك بن مروان[٥]:

وإني أرى حقَّ الإمامِ ونُصحَهُ وطاعته فرضاً كما هي للأب

ومن هنا عمل بعض الرعية على منح الخليفة كامل السلطة، وتظهر عندئذ صورة التفاعل التام مع هذه السلطة المطلقة ممثلا في الطاعة والتبعية المطلقة، وعبّر جرير عن هذه الطاعة بقوله مادحا عبد الملك بن مروان: [٦]

فكلُّ أمرٍ على يُمنٍ أمرتَ بهِ فينا مطاعٌ ومهما قُلتَ مُستَمَعُ

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٥٧.

(٢) يحق للحجاج أن يقول ذلك، فقد خطب الوليد بن عبد الملك يوماً فقال: "ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عينيّ، ألا وإنه جلدة وجهي كله" انظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج١٣، ص٢٧٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٦٤.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص٥٩.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص٢١٠. وهذا البيت منسوب في موضع آخر إلى قبيصة بن ذؤيب. انظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص٢٣٦.

(٦) الديوان ،ص٢٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الفرزدق أن الاستمساك بأمر الخليفة يؤدي إلى السلامة والنجاة من الهلاك، يقول من مدحة له في يزيد بن عبد الملك [١]:

وحبْلُك حبلُ الله من يعتصم بهِ إذا ناله يأخذْ به حبلُ سالمِ

ويعبّر جرير أيضا عن هذه الطاعة التي ترسخت في وعي المجتمع، فيقول[٢]:

هذي البريةُ ترضى ما رضيتَ لها إن سرتَ ساروا وإن قلتَ اربعوا وقفوا

هو الخليفةُ فارضوا ما قضى لكمُ بالحق يصدَعُ ما في قولهِ جَنَفُ[٣]

و يرى جرير في هشام بن عبد الملك ملكا منتخبا مختارا من الله يجب اتباعه وتجنب مخالفته، لأنه مصدر الخير الذي يصيب أهل الطاعة، ومصدر الشر الذي يصيب أهل المعصية، يقول[٤]:

هشامُ المُلكِ والحكمُ المصفّى يطيبُ إذا نزلتَ به الصعيدُ

يعمُّ على البرية منك فضلٌ وتُطرقُ من مخافتك الأسودُ

وإنْ أهلُ الضلالة خالفوكم أصابهمُ كما لقيتْ ثمودُ

وأما من أطاعكمُ فيرضى وذو الأضغانِ يخضع مستقيدُ

وأعطى بعض الرعية الخليفة السلطة المطلقة في اختيار نظام الحكم أو تولية العهد، ومن ذلك ما قام به نصر بن سيار إذ كتب كتاباً إلى الوليد بن يزيد جاء فيه "نبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين؛ إن كان بعده، وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة، وإن حدث بواحد منهما حدث فأمير المؤمنين أملك في ولده ورعيته يقدّم من أحب ويؤخر من أحب، عليك بذلك عهد الله وميثاقه"[٥].

---

(١) الديوان، ص٥٩٢.

(٢) الديوان، ص٣٠٨.

(٣) الجنف: الظلم

(٤) الديوان، ص١١٧.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المناوئون لبني أمية:

عارض المناوئون لبني أمية الخلفاء معارضة نظرية بالشعر والخطب والرسائل، ومعارضة عملية بالثورات التي أشعلوها عليهم، فقد ندد يزيد بن مفرغ الحميري بمعاوية بعد حادثة الاستلحاق، فنفى وجود قربى بين معاوية وزياد بن أبيه،فقرابتهما مستحيلة،يقول[١]:

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ ... مغلغلةً من الرجلِ اليماني

أتغضبُ أنْ يُقال أبوك عفّ ... وترضى أنْ يقال أبوك زانِ

فأشهدُ أنّ رحمَك من زيادٍ ... كرحمِ الفيل مِن ولدِ الأتانِ

وأشهدُ أنّها ولدتْ زياداً ... وصخرٌ من سُميّةَ غيرُ دانِ[٢]

وتعرّض معاوية للنقد من الفرزدق بعد أن ردّ معاوية صلة الحُتات،إذ رأى الفرزدق أن معاوية ظلمه بأخذ ميراث قريبه ، يقول :[٣]

أبوكَ وعمّي يا معاويَ أورثا ... تراثاً فأولى بالتراثِ أقاربُهْ

فما بال ميراثِ الحُتاتِ أَكلتَهُ ... ومِيراثُ حربٍ جامدٌ لك ذائبُهْ

فلو كان هذا الحكمُ في جاهليةٍ ... عرفتَ من المولى القليلُ حلائبُهْ

ولو كان هذا الأمرُ في غير مُلككم ... لأديتَهُ أو غصَّ بالماءِ شاربُهْ

ولو كان إذ كُنّا وللكفِّ بسطةٌ ... لصمّمَ عَضبٌ فيك ماضٍ مضاربُه[٤]

و لحق يزيد بن معاوية من النقد ما لم يلحق غيره من الخلفاء[٥]، وذكر البلاذري أن قوما قالوا:[٦]" وكان يزيد همَّ بالحج ثم إتيان اليمن، فقال رجل من تنوخ:

---

(١) الديوان. ص٢٣١.

(٢) مغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد الى بلد. الأتان : الحمار

(٣) الديوان،ص ٥٠

(٤) الحلائب: الأنصار ، العضب: السيف القاطع

(٥) انظر تمحيصا لذلك في كتاب(الامويون والخلافة) للدكتور حسين عطوان ،ص٨٩

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٥:٣٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يــزيدُ صــديقُ القردِ مَلَّ جوارنا فــحــنَّ إلــى أرضِ القرودِ يزيدُ
فــتــبّاً لمن أمسى علينا خليــفةً صــحابتُــهُ الأدنــون منــه قرودُ

ولم يسلم عبد الملك بن مروان من اللعن والهجاء، فمما يروى أن الحجاج ســأل خارجيا يُدعى سُكين المجملي" ما تقول في أمير المؤمنين ؟ قال: ومن أميــر المــؤمنين؟ قال: عبد الملك بن مروان . قال: لعنة الله عليه وعليك معه. قال: إنك مقتول، قال:إذاً ألقى الله بعملي وتلقاه بدمي"[١]

وشهّر الشعراء بالوليد بن يزيد تشهيرا شديدا؛ لأنه جانب في نظــرهم الصــواب، ومال إلى الباطل، ومن ذلك وصف حمزة بن بَيض له بأنه قارف المعاصي والمحــارم، وتفوق بذلك على زعماء النصارى، يقول[٢]:

يــا ولــيدَ الــخنا تركتَ الطريــقا واضــحــاً وارتكبتَ فــجّاً عــميقا
وتــمــاديتَ واعــتديتَ وأســرف تَ وأغــويــتَ وانــبعثتَ فــسوقا
أبــداً هــات ثم هــــــاتِ وهــ ات حــتــى تــَخــرّ صــعــيــقا
أنــت ســكرانُ لا تــفيقُ فمــا تَرْ تــقُ فَــتْــقَــاً وقد فَتقتَ فــتوقا
جــاثليقٌ أســقــف كــفرٍ وفــسقٍ ثــم فُقــتَ الأسقــفَ والــجاثــليقا

وأما الشكل العملي للمعارضة فماثل في الثورات المختلفة على بني أمية، وقد اهــتم زعماء هذه الثورات بإظهار إخلال الخليفة بالصفات التي يجب أن تتوافر فيه ، والسلطات التي تناط به ،فقد أحسّ الشيعة بفقدان الأمن والطمأنينة ، خاصة بعد أن عايشوا قتل أئمتهم كالحسين بن علي وزيد بن علي ويحيى بن زيد، ودفعهم هذا الإحساس إلى البحث عمّــن يوفّر لهم العدل والحرية والأمن. ويذكر الكميت بن زيد شاعر الزيدية أن بني أمية عطّلوا حدود الله وأحكامه، وأن بني هاشم هم الذين يتطلع النــاس إلــيهم، ويستضــيئون بهــم، ويتوقعون أن يقيموا العدل بينهم، يقول [٣]:

(١) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٨: ٦٠
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص١٦٨.
(٣) الروضة المختارة، ص٦٩. الهاشميات، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا اســتحكمتْ ظــلماءُ أمر نجومها غــوامضُ لا يــسري بها الناس أفّلُ
وإنْ نــزلتْ بــالناس عمياءُ لم يكنْ لــهم بصــرٌ إلا بهم حيــن تُشْــكلُ
فــيا ربِّ عــجّل مــا يُؤمّلُ فيهــمُ ليــدفأ مــقرورٌ ويشــبعَ مــُرمــِلُ
ويــنفُذَ في راضٍ مُــقرّ بحُكمِــــهِ وفي ساخــطٍ منــا الكتــابُ المعطّلُ

وكان هذا الإحساس سببا في المراسلات التي دارت بين أهل الكوفة والحسين بن علي بعد قيام يزيد بن معاوية بالخلافة، ودعوة أهل الكوفة له ليقدم عليهم، ويتــولى قيــادتهم وخلافتهم، ليحقق لهم العدل السياسي والاقتصادي وإقامة حدود الله[١]، وقال الحسين فــي خطبة له بعد أن قدم عليهم :[٢] "إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشــيطان وتركــوا طاعــة الرحمن، فأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأنا أحق من غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم، فإن تتموا عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم".

ودعا الحسين بن علي أهل البصرة في بعض كتبه إلى الحكــم بالكتــاب والســنة، يقول:[٣] "... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيــه صلى الله عليه وسلم ،فإن السّنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييــت، وإن تســمعوا قــولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله".

وأراد زيد بن علي أن يحوّل الثورة والغضب لآل البيت إلى الثورة علــى الظلــم والجور، فكتب إلى الآفاق كتبا يصف فيها جور بني أمية وسوء سيرتهم، ويحضهم على الجهاد ويدعوهم إليه، يقول: [٤]" لا تقولوا خرجنا غصباً لكم، ولكن قولوا خرجنا غصباً لله ودينه". ومن هنا كان من الصعب على زيد بن علي ذي النزعة الجدلية أن يفهم الإمامــة وقد فُرّغت من محتواها الحقيقي الماثل في سلطات الخليفة تجاه الرعية.

(١) انظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٦٩، ص٣٨١.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٨١.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٠٠.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رؤية الخوارج، فهي مرتبطة بالتكوين الفكري لهم، فقد كانت بنيتهم الأساسية قائمة على القراء[١]، وتبدو بداية رؤيتهم في كتاب عبد الله بن وهب الراسبي إلى علي بن أبي طالب قبل النهروان،[٢] "... إن الله بعث محمداً بالحق وتكفل له بالنصر كما بلغ رسالاته، ثم توفّاه إلى رحمته، وقام بالأمر بعده أبو بكر بما قد شهدته وعاينته متمسكاً بدين الله، مؤثراً لرضاه حتى أتاه أمر ربه، فاستخلف عمر، فكان من سيرته ما أنت عالم به، لم تأخذه في الله لومة لائم، ختم الله له بالشهادة، وكان من أمر عثمان ما كان حتى سار إليه قوم قتلوه لما آثر الهوى، وغيّر حكم الله، ثم استخلفك الله على عباده، فبايعك المؤمنون، وكنت لذلك عندهم أهلا، لقرابتك بالرسول، وقدمك في الإسلام. ووردت صفين غير مداهن ولا وانٍ، مبتذلاً نفسك في مرضاة ربك، فلما حميت الحرب وذهب الصالحون: عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان وأشباههم، واشتمل عليك من لا فقه له في الدين ولا رغبة في الجهاد مثل الأشعث بن قيس وأصحابه واستنزلوك، وكانت منا في ذلك هفوة، ثم تداركنا الله منه برحمته، فحكّمت في كتاب الله وفي نفسك، فكنت في شك من دينك وضلال عدوك وبغيه عليك. كلا والله يا ابن أبي طالب، ولكنكم (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً).وقلت: لي قرابة من الرسول وسابقة في الدين فلا يعدل الناس بي معاوية، فالآن تب الى الله وأقر بذنبك، فإن تفعل نكن يدك على عدوك، وإن أبيت ذلك فالله يحكم بيننا وبينك".

والفكر الذي تمثّله الراسبي، فكر يعبّر عن رؤية دينية للخلافة،إذ تمثل السلطةُ الدينية للخليفة محورَ هذه الرؤية. كما أنه يشدّد على تولية الفقيه لأمور السياسة، حتى تستقيم ولا تضطرب، وهو لا يقر بقانون بشري؛ لأن سلطات الخليفة يجب أن تكون نابعة من الكتاب الكريم.

وهذا الانبثاق لفكر الخوارج من الرؤية الدينية ، أنتج ألفاظاً وتراكيب (خارجية) كانت تتماشى مع الفكر الخارجي، فأشعارهم مليئة من ألفاظ التبرؤ والكفر والهدى والضلالة، التي تتحدث جميعها عن الصفات الإيجابية والسلبية في ممارسة الخليفة

(١) الحديث عن علاقة القراء بالخوارج. انظر فلهوزن: الخوارج والشيعة ،ص٤٧.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لسلطته، فهذا حبيب بن حدرة الخارجي يهجو بني أمية بأنهم حادوا عن الحق، واستعملوا كل فاسق مستكبر مفارق للهُدى،آخذ بالباطل، يقول[١]:

يـــاربّ إنّـــهُمُ عصـــوك وحـــكّمـــوا في الـــدين كـــلَّ مـــلـــعّنٍ جبـــارِ
يـــدعو الى ســـبلِ الضـــلالةِ والردى والـــحـــقُّ أبـــلـجُ مـــثلُ ضوءِ نهارِ

وترى امرأة خارجية من بني شيبان أن الخوارج خرجوا على الخليفة لأنه عطّـــل حدود الله، تقول[٢]:

فـــتـــيـــةٌ بـــاعـــوا نـــفـــوســـَهُـــمُ لا وربّ الـــبـــيـــتِ مـــا غـــبـــنوا
ابـــتـــغـــوا مـــرضـــاةَ ربـــهُـــمُ حـــيـــن مـــات الـــديـــنُ والســـننُ

ونظرة المخالفة التي شكّلها الفكر الخارجي، أوجدت عندهم نظرة واحدة للأمور، فهناك مؤمن و كافر[٣] ،وهناك دار إيمان ودار كفر[٤]، ومن هنا كان خروجهم رداً على النقص في سلطة الخليفة الدينية، إذ يعمّ الجور والظلم لترك العمل بالكتاب والسنة.و يريد الخارجي في الوقت ذاته أن يحافظ على خصوصيته الدينية التي طمسها بنو أمية،يقول عبد الله الراسبي بعد مبايعته أميراً: [٥] "اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة"، ويقول أبو بلال مرداس بن أدية: [٦] "أريد ان أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة"، ويركّز أبو بلال مرداس بن أدية على هذا التميّز الخارجي في المحافظة على الشخصية الاسلامية، إذ يصبح الخارجي هو القائم بأمور الدين، وهو المتفرد بتقويم اعوجاج الخلفاء، لأنهم ظلموا وكفروا، يقول[٧]:

---

(١) ديوان الخوارج، ص٢٣٢.

(٢) ديوان الخوارج، ص٢٣٧.

(٣) عند الإباضية، الكفر المقصود هو كفر نعمة وليس ملة، وعبّر عبد الله بن يحيى الكندي عن هذا المفهوم بقوله: "قومنا كفار نعمة وليسوا بكفار بالله، تقاتلهم على بغيهم ولا نغنم لهم مالا" (البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص١٣٤).

(٤) الاباضية لا يسمون إمامهم امير المؤمنين ولا يطلقون على أنفسهم لقب المهاجرين (الشهرستاني :الملل والنحل، ج١، ص١٣٤).

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٨٥.

(٦) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٩٩٣.

(٧) ديوان الخوارج، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلــهــيَ هــب لي زُلفةً ووسيلـــــةً إلــيــك فــإنّي قد سئمتُ مــن الدهرِ
وقــد أظــهر الجورَ الولاةُ وأجمعوا علـــى ظــلم أهلِ الحق بالغدرِ والكفرِ
وفــيــك إلــهي إن أردتَ مُغيّـــرٌ لــكــلِّ الذي يأتي إلينا بنــو صــخرِ
فــقــد ضــيّقوا الدنيا علينا بِرَحبِها وقــد تــركــونا لا نُقــرّ مــن الذعرِ

وقد يلجأ الخارجي إلى استدعاء نموذج تاريخي يكون له قوة كبيرة في إحداث التمايز، كالنظر إلى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، يقول أحد الأزارقة: (١) "إنّا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة".

وهذه الرؤية الخارجية لسلطة الخليفة الدينية جعلتهم يميلون نحو الــدار الآخــرة ، فكانت خطبهم وأشعارهم ورسائلهم ومحاوراتهم تتحدث عن المعاني الدينية ممــا جعلهــم يهملون النواحي المدنية التي تتمثل في سلطات الخليفة –الداخلية والخارجية– كعمارة البلد والمحافظة على الأمن والأمور الاجتماعية والاقتصادية، ومن هنا لم تتمثل الأمور الحياتية في فكرهم وأدبهم. و خطبة عبد الله بن يحيى عندما استولى على اليمن، فيها دلالة قوية على الرؤية الدينية لسلطات الخليفة، فهو يسهب في الحديث عن العقيدة والشــريعة، ولا يذكر شيئا مما كان يذكره خلفاء بني أمية في خطب البيعة والخلافــة، يقــول: (٢) "أيهــا الناس... ندعو إلى الله وإلى كتابه وسنة نبيــه صلى الله عليه وسلم ونجيب من دعا إليها، الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا. رضينا بالحلال حلالا لا نبغي به بدلا، ولا نشتري به ثمنا، ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى وعليه المعول، وندعو إلــى فرائض بينات محكمات، وآثار مقتدى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد، عــدل فيمــا حكم، ندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعيد وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف والنهــي عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله. إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهوى ويصبرون على الألم في حب الله، يقتلون فــي ســالف الدهر فما نسيهم ربهم (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً)، أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام علــى مــا وكلكم بالقيام به، فابلوا الله حسنا في أمره وزجره".

(١) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ج١، ص١٧٣.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص٢٨٨. الأصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا النفس الخطابي والرؤية الدينية تباين خطب الخلافة عند بني أمية، لأنهم ركزوا فيها على مدنية الخلافة.

و ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي على الحجاج بن يوسف، وناصره أهل العراق وقراؤهم، وخطب سعيد بن جبير فيهم وكان من القراء، موضحاً أن بني أمية أخلّوا بسلطاتهم الاجتماعية والدينية، لأنهم ظلموا وحرّفوا الدين، قال حاضاً جنود ابن الاشعث: [١] "قاتلوهم (بني أمية) ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين، وعليّ آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم، وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة".

وهذه الثورات–في أغلبها– كانت تنطلق من قاعدة دينية رافعة شعار الغضب لله لانتهاك محارمه، وأن الخليفة لم يقم بواجبه الديني تجاه مجتمعه، وفي خطب القراء الذين شاركوا في ثورة ابن الاشعث، إحساس بمدى النقمة التي يكنها القراء لبني أمية،إذ رأى هؤلاء القراء أن الأمويين أحدثوا في الدين ما لم يكن فيه، فقد خطب عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه محرضاً القراء على القتال،فقال: [٢] "يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح به منكم، إني سمعت علياً–رفع الله درجته في الصالحين وأنا به أحسن ثواب الشهداء والصديقين– يقول لما لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ،ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذاك الذي أصاب سبيل الهدى، ونوّر في قلبه اليقين، فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه".

وثار مرجئة الجبرية على بني أمية، فكانوا ينقدونهم " ويندون بمساوئهم وأخطائهم، ويدعون إلى كثير من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والمالية "[٣] و كانت ثوراتهم متتابعة، فقد أيّد ثابت قطنة الازدي العجم من المسلمين من أهل سمرقند سنة ١١٠هـ، ودعا إلى المساواة بينهم وبين العرب المسلمين، وأن توضع عنهم الجزية.[٤]

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٥٨. طبقات ابن سعد، ج٦، ص٢٦٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٣٥٨. وانظر خطب ابي البحتري والشعبي في الثورة ذاتها.، المصدر نفسه.

(٣) حسين عطوان: المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الاموي، ص٢٧

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥. حسين عطوان: المرجئة والجهمية بخراسان، ص٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت ثورة الحارث بن سريج التميمي أكبر ثورة للمرجئة في ذلك العصر،إذ ندد بسياسات الأمويين التي حادت عن جادة الحق، وتولّى الأمر فسادُ القوم، وعبّر في رسالته إلى نصر بن سيار عن رغبته وعزمه على تغيير سياسة بني أمية، فقال:[١] " إني لست من هذه الدنيا، ولا من هذه الملذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عزوجل، والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل...."

و حرّض مرجئة القدرية على الثورة، فكان القدرية من أهل الشام والعراق " يهاجمون سياسة بني أمية المالية، ويجهرون بمفاسدها جهراً، متّهمين لهم بالظلم والعدوان، والتصرف في أموال المسلمين حسب أهوائهم "[٢]، وكانوا يعارضون بني أمية بالقول والفعل، فقد خرج معبد الجهني مع القدرية الذين خرجوا مع ابن الاشعث على عبد الملك بن مروان[٣] . ونقد غيلان الدمشقي سياسات بني أمية نقدا لاذعا، ولم يألُ جهدا في البحث عن معايبهم والطعن في سلطتهم، فعندما ولاّه عمر بن عبد العزيز بيعَ الخزائن وردّ المظالم، كان غيلان يبيعها وينادي عليها " هلمّ إلى متاع الخونة! هلمّ إلى متاع الظلمة! تعالوا إلى متاع من خَلَف الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته بغير سيرته وسُنته "[٤] .

و كان للقدرية دور كبير في القضاء على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، إذ ساعدوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك في القضاء على ابن عمه الوليد ، ونقموا على الوليد سوء إدارته وخروجه على تعاليم الدين، واستحلاله ما حرّم الله[٥] .

وحاول بنو العباس ودعاتهم أثناء الدعوة وبداية تشكّل الدولة، أن يستغلوا الخلل في سلطات خلفاء بني أمية، معلنين أنهم خرجوا غضبا لله إذ انتهكت محارمه وأميتت شريعته،فهذا قحطبة بن شبيب الطائي -أحد قادة العباسيين- يقول بعد هزيمته يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري: [٦] "أيها الناس، إنا والله ما خرجنا إلا لإقامة الحق وإزالة دولة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٠٩ . حسين عطوان: المرجئة والجهمية بخراسان،ص٤٤

(٢) حسين عطوان: الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص٥٠

(٣) ابن كثير:البداية والنهاية، ج٩،ص٣٤ . حسين عطوان: الفرق الإسلامية في بلاد الشام،ص٥٠

(٤) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال،ص٢٣١

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٩،ص١٧٨

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباطل" . وقال في خطبة له أمام جند الثورة العباسية بجرجان: [١] "... يا أهل خراسان، إن النصر مع الصبر والتنازع فشل، وإنكم تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله وكتابه واغتصبوا هذا الامر فانتزوا عليه بغير حق".

وظهر الحديث عن الخلل في سلطة بني أمية جليا في خطبة داود بن علي أثناء البيعة لأبي العباس، إذ قارن بين السلطة الآثمة التي انتهكت فيها المحارم وظلمت الرعية، وارتكبت فيها المعاصي فكان صاحبها عدواً للرحمن وخليفة للشيطان، وهذه السلطة ممثلة في بني أمية، و السلطة المؤمنة التي تريد الإصلاح في هذه الدنيا، وهي تتمثل في بني العباس، يقول داود: [٢] "... ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم واستذلالهم لكم. واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس، رحمه الله، أن نحكم فيكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. تباً تباً لبني حرب بني أمية وبني مروان. آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد، ومرحوا في أعنة المعاصي وركضوا في ميادين الغي... أيها الناس ادعو الله لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان، المتتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المكتمل المتمهل، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار الذي أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى". ويرى الدكتور حسين عطوان أن هذه الشعارات الإسلامية المتضمنة مفارقة بين سلطتين، كانت عاملاً قوياً في نجاح الثورة العباسية"[٣].

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣٨٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٢٧، وانظر رسالة محمد بن علي الى ابي هاشم بكير بن ماهان (حسين عطوان: الدعوة العباسية ص٢٠٨.)

(٣) حسين عطوان: شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الرابــع

الدراســـــة الفنيــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

اللغة والأســلوب

أ- اللغة ومصادرها

١- التأثر بالقرآن الكريم:

كان للقرآن الكريم أثر واضح في صياغة الأفكار السياسية للأحــزاب والفــرق فــي العصر الأموي، وغدت ألفاظه ومصــطلحاته ذات دلالات عميقــة فــي التعبيــر عــن الأفكار،فنهلت الأحزاب والفرق المختلفة من هــذا المعــين القرآنــي، وبــذلك ظهــرت مصطلحات قرآنية المصدر، سياسية المقصد.

ووظف الشعراء الموالون لبني أمية اللغة المستمدة من القرآن الكريم توظيفــا يخــدم آرآءهم وتوجهاتهم تجاه الخلافة والخليفة، فقد استغلوا الألفاظ و المصطلحات القرآنية في تثبيت فكرة الوراثة، وأنها لن تزول عن بني أمية، فهذا الفرزدق يمدح بنــي أميــة بــأن الخلافة فيهم إلى يوم القيامة، يقول:[١]

مُهاجرينَ رَأَوا عثمانَ أَقربَهم ... إذ بايعوهُ لها والبــيتِ والطــــورِ

فلن تزالَ لــكم واللهُ أثــبتَها ... فيكم إلى نفخةِ الرحمن في الصورِ

واستعمل الشعراء الألفاظ القرآنية لكي يدعموا الحق الأموي في الخلافة، فابن قــيس الرقيات يمزج بين اللفظ القرآني والفكر الجبري في مدحه لعبد الملك بن مروان؛ إذ يرى أن خلافته قديمة و مثبّتة لا يستطيع البشر أن ينتزعوها منه، فهو يقول[٢]:

---

(١) الديوان،ص ١٩١.

(٢) الديوان، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خليفةُ الله فوق منبرِهِ جــفّت بــذاك الأقلامُ والــكتبُ

ووظف أنصار بني أمية بعض الصفات الإسلامية كالأمر بالمعروف والتقــوى لكــي يضفوا على الخليفة هالة من القداسة، فهذا عدي بن الرقاع العاملي يمدح بني أمية بــأنهم يأمرون بخشية الله وحذره، ويتعاونون على البر والتقوى، فيقول:(١)

الآمرونَ بتقوى اللهِ أُمّتهم والكائنونَ على المعروفِ أعوانا

ويذكر الأخطل أن الوليد بن عبد الملك هو الحفيظ المؤتمن على حدود الله،يقول(٢):

إنّ الوليدَ، أمينَ الله، أنقذني وكان حِصناً إلى مَنجاتِهِ هــربي

وقال جرير يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه خليفــة الله فــي الأرض ووصــيه علــى العباد:(٣)

فأنتَ لربِّ العالمينَ خليفةٌ ولــيٌّ لــعهدِ الله بالــحــقِّ عارفُ

وقال الفرزدق مكررا أن سليمان بن عبد الملك وصي الله في الأرض، المقيم لأحكــام الله(٤):

أمينِ الله يصدعُ حين يقضى بــدين مــحــمــدٍ وبــهِ أَمــورِ

ويمدح النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك بأنه من أهل الفضل والتُّقى،يقول:(٥)

محسنٌ مجــملٌ تقيٌّ قويٌّ وهْــو أهــلُ الإحــسانِ والإجمالِ

(١) الديوان،ص ١٧٠
(٢) الديوان، ص١٧٧.
(٣) الديوان، ٣٠٣
(٤) الديوان، ص٢٥٠.
(٥) الديوان ،ص ١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى طريح بن إسماعيل الثقفي أن الوليد بن يزيد قد بلغ منزلة سامية لأنه من أهل التقى، يقول:(١)

يرفعكَ الله بالتكرمِ والت تقوى فتعلو وأنت مقتصدُ

ويؤكد طريح بن إسماعيل الثقفي أن الوليد بن يزيد خليفة الصلاح، وأن الله يقيم به ميل المنحرفين،يقول:(٢)

أنتَ إمامُ الهدى الذي أصلـ ـحَ الله بهِ الناسَ بعدما فسدوا

وفي الجانب الآخر استغل معارضو بني أمية اللغة القرآنية في التعبير عن موقفهم المعارض لبني أمية ، ولم تقتصر هذه اللغة على الأمور الدينية المجردة أو الأمور الفقهية، بل وظفت مفرداتها لأهداف سياسية، وانتشرت ألفاظ وتراكيب دينية في استخدامها المعجمي، سياسية في دلالتها الاجتماعية، فسخّر الشعراء مصطلح (الكفر) لخدمة أغراضهم السياسية، خاصة الخوارج الذين استغلوا هذه اللفظة، ليقيموا مفارقة بينهم وبين خلفاء بني أمية وأنصارهم من الرعية، فهنالك مؤمن ممثل في الفرد الخارجي، وهنالك كافر ممثل في الآخر. ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الشاعر عمرو القنا بن عميرة العنبري التميمي الخارجي يصف نفسه بالإيمان ويصف الأمويين بالكفر(٣):

نحن صَبَحْناكم غداةَ النَّحرِ بالخيل أمثال الوشيجِ تسري

يَقدمُها عمرو القنا في الفجرِ إلى أُناسٍ لَهَجُوا بالكفرِ

ويرى قطري بن الفجاءة أن مصير الخوارج الجنة لأنهم قاتلوا الكفار، فهو يقول في إحدى معاركه(٤):

(١) الديوان ،ص٨٣

(٢) الديوان ،ص٨٣

(٣) ديوان الخوارج، ص١٠٤.

(٤) ديوان الخوارج، ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو شهـــدَتَنا يوم ذاك وخيلُنا تُبـــيـــحُ من الكـــفار كلّ حريمِ
رأت فتيةً باعوا الإله نُفوسَهُم بجـــنـــاتِ عدنٍ عـــندهُ ونـــعيمِ

وتضع شاعرة من الخوارج تدعى عمرة أم عمران بن الحارث الراسبي لفظة الملحد في سياقها الديني العميق؛ إذ تبدو في رثائها لابنها الذي قتل مع نافع بن الأزرق، مشـــددة على الصفات الدينية لابنها، فجاءت لفظة (ملحادة) لترسخ إيمان ولدها (الشهيد) وتنفي هذا الإيمان عن بني أمية وترميهم بالكفر، فهي تقول[١]:

الله أيـــّدَ عِـــمـــراناً وطهّرهُ وكان عمرانُ يدعو الله في السَّحَرِ
يدعوه سراً وإعـــلاناً ليرزقَهُ شهـــادةً بيـــديْ مِلحادةٍ غُـــدُرِ

٢- الاستمداد من المعجم العربي الموروث:

استعمل بنو أمية وأنصارهم من الشعر أكثر الألفاظ التي اســـتعملها الشـــعراء فـــي الجاهلية وصدر الإسلام، لإبراز الصفات العربية الكريمة التي تجعلهم أهلا للخلافة، فهذا جرير يمدح الوليد بن عبد الملك بكرم الأصل والنسب، فيقول:[٢]

وأنت ابن عيص الأبطحَينِ وتنتمي لـــفرعٍ صميمٍ لمْ تنلهُ الزعانفُ
نمتْكَ إلى العُليا فوارسُ داحـــسٍ وصيدُ مناف المقرَمَاتُ المطارفُ
لهُ باذخاتٌ من لُؤيِّ بن غـــالبٍ يُقصِّرُ عنها المُدّعي والمخالفُ[٣]

ويركز الوليد بن يزيد على التراث العائلي في الخليفة، وأنه من معدن الملك،ونـــال المجد من طرفيه من جهة الأب وجهة الأم، وهو يستوحي ألفاظ الجاهليين والإسلاميين في

(١) ديوان الخوارج، ص٨٥.
(٢) الديوان ،ص٣٠٣
(٣) المقرمات: الفحول الكريمة، استعارها الشاعر لأجداد الممدوح. المطارف : الشيء الجديد الحسن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا السياق، فيكاثر بالنسب والحسب والآباء والأجداد والأخوال، وهو يكرر ألفاظ القدماء ويستعير تراكيبهم الفخمة الصعبة[١] ، فهو يقول[٢]:

أنا الوليدُ أبو العــباس قــد علــمتْ ... علياءُ مَعدٍ مــدى ذكري وإقدامي
إنّي لدى الذروةِ العــلياء إنْ نُسبــوا ... مُقابَلٌ بين أخوالي وأعمامي
بنى ليَ المجدَ بانٍ غــيرُ مُدّرَكٍ ... على منارِ مــضيئاتٍ وأعلامِ
خُلقتُ من جَوهر الأعياصِ قد علموا ... فــي باذخٍ مُشمخرّ العزّ قمقامِ
صعبِ المرام يُناغي النجمَ مطــلعُهُ ... يسمو إلى فرعِ مجدٍ شامخٍ سامِ[٣]

واستغل الشعراء الموالون لبني أمية بعض الألفاظ العربية التي كان لهــا مــدلول عميق في الجاهلية كلفظة (بهلول) بمعنى السيد العزيز الكريم، فهذا كثير عزة يمدح بني مروان بأنهم سادة كرماء، فيقول:[٤]

بهاليلُ معروف لكم أن تفضلوا ... وأن تحفظوا الأحسابَ في كل موطنِ

وقال كثيّر عزة يكرر وصف عبد الملك بن مروان بالبهلول، وأنه أحيا شــرف بنــي أمية وعزهم :[٥]

يحيــّون بــُهــلولاً بهِ ردَّ ربّهُ ... إلى عــبدِ شــمسٍ عــزّها وجمالها

كذلك انتشرت لفظة (القرم) بمعنى الفحل أو السيد، فهذا عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه السيد الكريم والقرم الفحيل في قريش، فيقول[٦]:

هو القَرْمُ الفحيلُ إذا قريشٌ ... ليومِ حــفــــيظةٍ عَدّوا الفِحالا

---

(١) حسين عطوان: الوليد بن يزيد، عرض ونقد، ص٣٠٩
(٢) الديوان، ص١١٥
(٣) مشمخر: الجبل العالي. قمقام: العظيم. يناغي: يرتفع.
(٤) الديوان،ص٢٥٢
(٥) الديوان،ص٨٠
(٦) الديوان، ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال كثير عزة ينعت بشر بن مروان بأنه قرم معطاء:[١]

إلى القرمِ الذي فاتــتْ يداهُ بفعــلِ الخيرِ بسطةُ من يُنيلُ

وقال الأخطل يذكر أن بني أمية (مصاليت) أي أنهم ماضون في الأمور، وأنهم أهل همم بعيدة، وأنهم أحرزوا من المجد والشرف ما لم يحرزه غيرهم :[٢]

بيضٌ مصاليتُ أبناء الملوكِ فلن يُدركَ ماقدّموا عُجْمٌ ولا عربُ

وقال الأخطل يمدح بني أمية بالكرم، مستخدماً لغة جاهلية جزلة متماسكة،هي أقرب إلى مدح الجاهليين لسادتهم، يقول[٣]:

مَطاعيمُ تغدو بالعَبيــطِ جفانُــهُم إذا القُرّ أَلوتْ بالعضاه عصائبُهْ[٤]

واستغل خصوم بني أمية المعجم الفني البدوي في الحديث عن الخلافة، فعنــدما أراد الكميت وصف طبيعة حكم الأمويين بالجور،استخدم ألفاظا وتراكيب بدوية، وكأننا أمــام شاعر جاهلي، فهو يرى أن بني أمية أخذوا الخلافة ظلما فتتالت الفتن، ويشــبّه الكميــت الخلافة بالناقة التي تُستدرّ من الأمويين،فيقول[٥]:

إذا اتــّضعونا كارهينَ لــبــيعةٍ أناخوا لأخرى والأزِمّةُ تُجــذبُ
رِدافاً علينا لم يُسيــموا رعيــّةً وهَمُّهَمُوا أنْ يَمتروها فيَحلــبوا
لينتَــتجوها فتــنةً بعــد فــتــنةٍ فيفتصلوا أفلاءَها ثُــمّ يركبــوا[٦]

وتناثرت الألفاظ البدوية في شعر الكميت السابق، كقوله: أناخوا، يمتروها، ليحلبــوا، لينتجوها، يفتصلوا، أفلاءها، يركبوا.

---

(١) الديوان،ص ١٢٢
(٢) الديوان ،ص١٧٠
(٣) الديوان، ص٢٠٨
(٤) القرّ: البرد. ألوت: ذهبت به. العضاة، من أنواع الشجر. عصائبه: الرياح.
(٥) الروضة المختارة، ص٣١، الهاشميات، ص٤١
(٦))يمتروها: يدروها. يفتصلوها: يفصلوها بعد تمام الرضاع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتسمت لغة الخوارج بالسهولة والوضوح، فكانت صورة لفكرهم السياسي الإسلامي السهل الواضح، ومن أمثلة ذلك ما قاله عيسى بن فاتك الخطي الذي رأى في سلطة بني أمية سلطة جائرة يجب مقاومتها، فاستخدم لهذا المعنى لغة سهلة وتركيبا واضحا مباشرا، فهو يقول[١]:

أخافُ عقاب الله إنْ مِتّ راضياً ... بِحُكمِ عُبيدِ الله ذي الجورِ والغَدرِ
وأَحذرُ أنْ ألقى إلهي ولم أَرُعْ ... ذوي البَغي والإلحاد في جَحفلٍ مُجرِ

ومن هنا مالت لغة الخوارج إلى الصدق في التعبير، وهذا ما أوضحه الأخطل عندما اجتمع نفر من الشعراء عند عبد الملك بن مروان، فلما سألهم عبد الملك هل بقي أحد أشعر منكم، قالوا: لا. فقال الأخطل: [٢] "كذبوا، قد بقي من هو أشعر منهم، عمران بن حطان؛ لأنه قال ما قال وهو صادق فكيف به لو كذب كما كذبوا".

وفي النثر الذي تحدث عن الخلافة ميزات مهمة، إذ تتصف تراكيبه بالتوازن، فتأتي الجمل قطعا متناغمة منسجمة توفر للنص موسيقى داخلية قادرة على التأثير، والخطب التي قيلت في البيعة ليزيد بن معاوية، خير مثال على هذه الموازنة بين الجمل، فقد خطب عبد الله بن سعدة الفزازي مؤيداً البيعة، فقال: [٣] "أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، إن الله قد آثرك بخلافته، واختصك بكرامته، وجعلك عصمة لأوليائه وذا نكاية لأعدائه، فأصبحت بأنعمه جذلاً ولما حملك محتملاً، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدي به العدى. ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك، وقد ساس الأمور وأحكمته الدهور، ليس بالصغير الفهيه، ولا بالكبير السفيه، وقد احتجن المكارم، وارتجى لحمل العظائم، وأشد الناس في العدو نكاية، وأحسنهم صنعا في الولاية، وأنت أغنى بأمرك وأحفظ لوصيتك وأحرز لنفسك وأسأل الله لأمير المؤمنين العافية في غير جهد والنعمة في غير تغيير".

---

(١) ديوان الخوارج، ص٧٠.

(٢) الأصفهاني :الأغاني، ج١٦، ص١٥٥.

(٣) ابن قتيبة :الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٨. انظر خطبة عمرو بن سعيد بن الأشدق. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٩٥. وخطبة الأحنف بن قيس الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدو الجمل والتراكيب في هذا النص منسجمة مع المعنى والإيقاع؛إذ جاء اللفظ متوافقاً مع المعنى لا زيادة ولا نقصان فيه.

وعرض الخطباء أفكارهم عن البيعة والمُبايَع بلغة واضحة غير معقّدة ، فلم تمل التراكيب إلى الحشو المخل ولا إلى التكرار الممل، وهذا الأسلوب يلقى قبولا شديدا، ويكون له تأثير كبير[١].

(١) يقول حازم القرطاجني "**لأن الكلام المتقطع الأجزاء، المنبر التراكيب، غير ملذوذ ولا مستحلى، وهو يشبه الرشفات المتقطعة التي لا تروي غليلاً. والكلام المتناهي في الطول، يشبه استقصاء الجرع المؤدي إلى الغصص، فلا شفاء مع التقطيع المخل، ولا راحة مع التطويل الممل، ولكن خير الأمور أوسطها**"، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٦٥، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الأسلوب:

وظّف بنو أمية وخصومهم أساليب وتراكيب متنوعة لتثبيت الافكار والمعاني التي يريدون عرضها، إذ استغلوا الجدل والحِجاج والرمز والمثل و السخرية في الحديث عن طبيعة الخلافة وصفات الخليفة وسلطته.

١- الاحتجاج العقلي:

أفاد الأمويون من أسلوب الجدل والحِجاج في محاورتهم للفرق الأخرى، فقد حاور الخليفة عمر بن عبد العزيز أحدَ الخوارج في قضية التبرؤ من الخلفاء السابقين، فعندما طلب الخارجي من عمر بن عبد العزيز التبرؤ من خلفاء بني أمية السابقين وعمّالهم، جاء رد عمر مؤسساً على القاعدة العقلية التي تميل إلى إقناع الخصم وإفحامه؛ إذ عمل عمر على استحضار النموذج الذي يقتدي به ذلك الخارجي، فقال عمر: (١) "أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكم؟ قال: بلى، قال: فهل تعلمون أن أبا بكر حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم وسبى الذراري وأخذ الأموال؟ قال: نعم. قال: أفتعلمون أن عمر ردّ السبايا بعده إلى عشائرهم بفدية فدوهم بها قال: نعم. قال: فهل برئ عمر من أبي بكر؟ قالا: لا. قال: أفتبرؤون أنتم من واحد منهما؟ قال: لا. قال: فأخبروني عن أهل النهر من أسلافكم، هل تعلمون أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً، وأن من خرج إليهم من أهل البصرة اعترضوه، وقتلوا عبد الله بن خباب وجاريته؟. قالا: نعم. قال: فهل برئ من لم يقتل ممن قتل واستعرض؟ قالا: لا. قال: أفتبرؤون أنتم من إحدى الطائفتين؟ قالا: لا. قال: أفوسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم في الفروج والأعمال، ولا يسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد...".

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدمت الشيعة هذا الأسلوب في محاولتها لتثبيت حق بني هاشم في الخلافة، ويعدّ الكميت أبرز شاعر تمثل هذا الأسلوب، فهو يدافع عن الحق الهاشمي في الخلافة، ويـــردّ على بني أمية في ادّعائهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يورّث آل بيته، فلو لم يكن آل البيت ورثة الرسول، لأصبحت الخلافة مشاعاً لكل القبائل. وهو يناقش هذه القضـــية نقاشاً عقلياً مورداً الأدلة والبراهين وذلك على طريقة المتكلمين[١]، فالشـــعر فـــي هـــذه الهاشميات " يتصل بمنابع عقلية جديدة، لا صلة بينها وبين المنابع القديمة التي كان يستمد منها الشعراء، وكأنه مقالة يكتـــب فيها عن نظـــرية بني هاشم فـــي الخلافـــة "[٢] ،فهـــو يقول[٣]:

يقـــولون لَمْ يُورَثْ ولولا تراثُه ... لقد شـــركت فـــيه بِكَيْلٌ وأَرْحُبُ
وعُـــكّ ولَخْمٌ والسَّكونُ وحِميرٌ ... وكِنـــدَةُ والحَيانِ بَكرٌ وتَـــغلـــبُ
ولانتشلتْ عُضوينِ منها يَحابرٌ ... وكان لعبدِ القيسِ عـــضوٌ مُؤَرّبُ
ولانتقلتْ من خندفٍ في سواهُمُ ... ولاقتـــدحتْ قـــيسٌ بـــها ثمّ أثقبوا
ولا كانـــتِ الأنصارُ فيها أَذلّةً ... ولا غُيّباً عنها إذا النـــاسُ غـــيّبُ
فإنْ هي لم تَصلُح لقومٍ سواهُمُ ... فإنَّ ذوي القربى أحـــقُ وأقـــربُ
وإلا فقـــولوا غيـــرَها تَتعرّفوا ... نَواصيها تردي بنـــا وهي شـــزّبُ

وأخذت الفكرة هنا جزءا كبيرا من أسلوب الكميت،فصدرت أشعاره عن " ذوق عقلي، فهو لا يعبر عن الشعور والعواطف، وإنما يعبّر أيضا عن الفكر"[٤] ، وأصـــبح الشـــعر حِجاجا أو مناظرات عقلية، وتعدى وصفه شعرا سياسيا[٥] ،ولهذا مالت اللغة الشعرية عنده إلى المباشرة ، وهذا ما لاحظه حماد الراوية عندما عرض على الكميت أن يكتب شـــعره

(١) انظر شوقي ضيف: التطور والتجديد، ص٢٧٨-٢٨٠
(٢) شوقي ضيف :التطور والتجديد، ص٢٨٠
(٣) الهاشميات، ص٤٢-٤٣. الروضة المختارة، ص٣٣-٣٤.
(٤) شوقي ضيف: التطور والتجديد ، ص٢٧٦
(٥) يوسف خليف :حياة الشعر في الكوفة،ص٤٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرفض الكميت، فقال له حماد: [١] "إنما شعرك خطب"، ولعل هذه المباشرة التي تجعل الأفكار طاغية على الشكل الفني، هي التي حدت ببشار بن برد إلى أن يقول: [٢] "ما كان الكميت شاعراً"، وربما لجأ الكميت إلى هذا الأسلوب تأثراً بإمامه زيد ذي النزعة الكلامية.

وقال الكميت في بائيته يستغل بعض الآيات القرآنية، ويوجهها لإحقاق حق الهاشميين في الخلافة [٣]:

وجدنا لكم في آلِ حمَ آيةً تأوّلها منّا تَقيّ ومُعرِبُ
وفي غيرِها آياً وآياً تَتابعتْ لكمْ نَصَبٌ فيها لذي الشَّكِّ منصبُ

ويشير الكميت في البيت الأول إلى قوله تعالى[٤]: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)، وفي البيت الثاني إلى قوله تعالى[٥]: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله عزوجل[٦]:(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ).

وأقام الكميت تشابها واضحا بين بني أمية والنصارى، طاعناً في سلطات بني أمية؛ لأنهم يبتدعون أشياء لم يأت بها الكتاب الكريم. وتغدو هذه المقاربة نمطا من أنماط الاحتجاج العقلي، فالكميت يستحضر صورة الرهبان الذي يبتدعون في دينهم ما لم يأت به كتابهم المقدس، وكذلك بنو أمية يبتدعون أشياء لم يأت بها القرآن الكريم ليفتنوا بها أتباعهم، على الرغم من معرفة بني أمية بالحق والباطل، وهذا ما أوحت به كلمة (أوجلوا) التي تستحضر في ذهن المسلم صورة الشيطان الذي أغوى أتباعه، كما في قوله عزوجل: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) [٧]، وفي هذا يقول الكميت[٨]:

(١) المرزباني: الموشح، ص٣٠٨.
(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٣١٩.
(٣) الهاشميات، ص٤٠، الروضة المختارة، ص٣٠.
(٤) سورة الشورى:الآية ٢٣.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٦.
(٧) سورة الحشر: الآيتان ١٦-١٧.
(٨) الهاشميات، ص٧٠. الروضة المختارة، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم كلَّ عامٍ بدعةٌ يُحْـدِثونـَها أزلّوا بها أتـباعَهُم ثم أَوجلُوا
كما ابتدعَ الرهبانُ مالم يجئْ بهِ كتابٌ ولا وحيٌ من الله مُنزَلُ

وأفاد الخوارج من هذا الأسلوب، وظهر جليا في المراسلات التي دارت بين نافع بـن الأزرق ونجدة بن عامر الخارجيين ؛إذ عبّر كل منهما عن رأيه في مسألة التكفير، وحاول كل منهما أن يدعم حججه بشواهد قرآنية وعقلية[١]. ويبدو أن الخوارج كانوا بارعين في الجدل والمناظرات، فقد روي أن أحد الخوارج ناظر عبد الملك بن مروان وأخذ يزين له مذهب الخوارج ودعوتهم بلسان طلق وألفاظ بيّنة، مما حمل عبد الملك على القول: [٢] "لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأني أولى بالجهاد منهم".

والأسلوب العقلي عند الخوارج بريء من أي تأثير؛ لأنهم اعتمـدوا علـى سـليقتهم الفطرية وعلى ثقافتهم المستمدة من القرآن الكريم والأسلوب العربي، وربما لهذا ارتبـاط بالتكوين الفكري للخوارج المنبثق عن فكر القّراء، ومن هنا مال أسلوبهم إلى الوضوح.

وحرصت القدرية على استغلال هذا الأسلوب في مناظراتها،فهذا غـيلان الدمشـقي يبعث برسالة إلى عمر بن عبد العزيز يقنعه فيها بأن بني أمية جائرون في الحكم، ويهدم فيها المبادئ الجبرية التي احتضنها بعض الخلفاء الأمويين، فهو يقول: [٣] "...فهل وجدت يا عمر حكيماً يعيب ما صنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضي أو يقضي مـا يعذب عليه، أم هل وجدت رشيداً يدعو إلى الهدى ثم يصدّ عنه؟ أم هل وجـدت رحيمـاً يكلف العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة؟ أم هل وجدت صادقاً يحمل الناس علـى الكذب والتكاذب بينهم...". و يحاول غيلان إقناع عمر أن الله لا يضـع نتيجـة مغـايرة للأفعال، فلا يأمر بالعدل ويضطر العباد إلى الظلم في الوقت ذاته.

(١) انظر هذه المراسلات في الكامل في اللغة الأدب، ج٢، ص٢٠٨-٢١٠.
(٢) المبرد :الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص١٧١.
(٣) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال. ص٢٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- أسلوب الرمز والمثل:

واستغل بنو أمية وخصومهم الرمز والمثل في إيصال الرؤى المختلفة، فقد كان المتكلم يلجأ إلى أسلوب فني للتعبير عن الفكرة، فيبتعد عن المباشرة في العرض، و يأتي بصورة حية تدلل على ما يريد، فهذا أبو مسلم الخولاني يصف معاوية بن أبي سفيان بأنه أجير يجب عليه إتقان عمله، و القيام بسلطات الخليفة على وجه حسن، ويحاول أن يعرض فكرة الطاعة والمعصية عن طريق صورة ذلك الأجير، فهو يقول لمعاوية: [١] "إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيراً فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن أحسن رعيتها ووفر جزازها، حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء، أعطاه أجره وزاده من قبله. وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة، ولم يوفر جزازها وألبانها، غضب صاحب الأمر فعاقبه ولم يعطه الأجر".

واستخدم بعض الشعراء أسلوباً رمزياً متأثراً بالموروث العربي الأسطوري؛ إذ أصبحت الأسطورة مثبّتة للمعنى ومغنية له. فهذا الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي يريد أن يثبّت صفة الملوكية في عبيد الله بن زياد بن أبيه وأنه من معدن الخلافة والملوك. فيستلهم الشاعر الأسطورة الشعبية التي ترى أن لدم الملوك ميزة لا توجد في غيرهم، فدماؤهم شافية لمرض الكَلَب والجنون[٢]، يقول[٣]:

مِن خيرِ بيتٍ علمناه وأكرمِهِ كانتْ دماؤُهمُ تشفي مِنَ الكَلَبِ

وقد ورد هذا الرمز عند ابن قيس الرقيات في مدحه لعبد العزيز بن مروان ، فهو يقول[٤]:

(١) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ج٧، ص٣٢٣.

(٢) ترى العرب " أن دماء الملوك شفاءٌ من داء الكَلَب... ويزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفي من عضة الكلب، وتشفي من الجنون أيضاً" الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) الديوان، ص٦١.

(٤) الديوان، ص١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باتتْ بحلوانَ تبتغــيكَ كــما أَرســلَ أهلُ الولــيدِ في طَلَبِهْ[١]

فَدَلَّها الحُبُّ فاشتفــيت كــما تشــفي دمــاءُ الملوك من كَلَبِهْ

ولجأ معارضو بني أمية أيضا إلى الرمز للطعن في بني أمية ، فهــذا مصــعب بــن الزبير، يستغل الآيات القرآنية، لتكون أسلوباً رمزيــاً قــادراً علــى إثــارة المشــاعر والأحاسيس. فهو يصف جور بني أمية في خطبة له في أهل العراق، فيقول[٢] :" بسم الله الرحمن الرحيم. طسم. تلك آيات الكتاب المبين، نتلو عليكم من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يتسضعف طائفة منهم يــذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين (وأشار بيده نحو الشام). ونريــد أن نمــنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشــار بيــده نحــو الحجاز)، ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق)".

وأتى مصعب بن الزبير بالصورة التي رسخت في أذهان المسلمين عن فرعــون؛ إذ ترتبط صورة فرعون وهامان بالفساد والجور والكفر، وتــرتبط صــورة المستضــعفين بالتقوى والصلاح والخلافة الربانية، جاعلا من الرمز الديني وسيلة لنفي الشرعية عن بني أمية وتثبيت هذه الشرعية في الزبيرين خاصة، وأهل الحجاز عامة، ولعــل الإيمــاءات الممثلة في الإشارات عملت على تقوية هذه الفكرة.

واستخدم الشعراء الأمثال العربية في حديثهم عن الخلافة، فالكميت يطعن في صفات بني أمية و يصفهم بالظلم والجور والبخل، ويستحضر لذلك المثل العربي (أجوع من كلبة حومل) [٣]. ويرى الكميت أن رعاية الأمويين كرعاية حومل لكلبتها، فعمل المثــل علــى إخراج المعاني والتراكيب من صيغتها المباشرة إلى الصيغة الرمزية الفنية، يقول [٤]:

---

(١) الوليد: الصبي

(٢) ابن الاثير :الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣١.

(٣) وحومل هي المرأة التي كانت تجيع كلبة لها كانت تحرسها، فكانت المرأة تربطها ليلاً وتطردها نهاراً، فلما طال عليها الحال أكلت الكلبــة ذنبــها مــن الجوع. (الميداني :مجمع الأمثال، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجيل ،بيروت، ج١، ص٣٣١.).

(٤) الهاشميات، ص٦٩. الروضة المختارة، ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَــتلك ملوكُ السُّوء قد طال مُلْكُهمْ فحتـــى مَ حتى مَ العــناءُ المُطوَّلُ
رَضُوا بفِعالِ السُّوءِ مِن أمرِ دينِهمْ فقد أَيْــتَمُوا طــَوراً عداءً وأَثكلوا
كما رَضــيَتْ بــُخلاً وسُوءَ وِلايةٍ لكلبتـــهـــا في أولِ الدهــرِ حَوملُ
نُبــاحاً إذا ما اللــيلُ أظــلمَ دونَها وضَرباً وتــجويعــاً خبــالٌ مُخبّلُ
وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجور قبلَنا لأجورَ مــن حُكّــامــنا المُتمثّــلُ

٣- أسلوب السخرية:

ومن الظواهر الأسلوبية ظاهرة السخرية والتهكم، وهذا الأسلوب قاس على الخليفــة المهجو؛ إذ فيه كسر لصورته أمام المجتمع، ومن خلاله يصبح الخليفة فرداً قــابلاً للنقــد والمناقشة والجدال، و هذا هدْم لما كان بنو أمية يشيعونه من قداسة كبيرة للخليفة، إذ كان الخليفة عند بعض الأمويين لا يناشد ولا يكذب ولا يخاطب باسمه. ومن هنا كــان هــذا الأسلوب نقداً لاذعاً لخلفاء بني أمية، و ملغيا لهيبة الخلفاء، ومسفّهاً للفكر الذي يمثلونــه. فهذا عبد الله بن همام السلولي يسخر من نظرية الأمويين في الوراثة، فيقول[١]:

فإنْ تأتــوا برملــةَ أو بهــندٍ نــُبايــعــها أميــرةَ مــؤمــنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى نَعــدُّ ثــلاثــةً مُتــنــاســقــينا
أيا لــهفاً لو انَّ لنــا رجــالاً ولكنّــا نــعــود كمــا عنــينــا
إذا لضــربتمُ حــتى تــعودوا بمــكةَ تَلــعقون بها السَّخــيــنا
حُشينا الغيظَ حتى لو شَربــنَا دماءَ بني أمــيــةَ ما رُويــــنــا

ونجد في هذه الأبيات قدرا كبيرا من السخرية، فلم يكتف الشــاعر بــنقض الأســاس الوراثي عند بني أمية، بل دعا إلى توريث نساء بني أمية، و هذا قدح كبير في الخلفــاء الأمويين. كما أن الشاعر يستغل التاريخ ليعمّق هذه السخرية؛ إذ مثّلت كلمة (سخينة) مثلبة من مثالب قريش.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٧٠. وسخينة نوع من الطعام كانت قريش تكثر من أكله أيام الجدب، فعُيّرت به.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

الصورة الفنية ومصادرها

تنوعت الصور الفنية التي صوّرت الخلافة بطبيعتها وصفات خليفتها وسلطاته، والمعاني والأفكار التي تضمنتها، و كان التنوع نابعاً من مصدر الصورة وطبيعتها. فمن حيث المصدر وجدت الصورة الجاهلية العربية، والصورة الإسلامية التي غلبت عليها الصورة القرآنية. ومن حيث الطبيعة ظهرت الصورة البدوية والصورة الحضرية.

أ- الصورة القرآنية:

استفاد الشعراء من الصور الفنية الموجودة في القرآن الكريم، فكانت الصورة القرآنية عاملاً مهماً في تثبيت المعاني و الأفكار، فهي تثير الانفعالات الدينية والعاطفية، وهي تثبت الأفكار التي يريد الخليفة ترسيخها في أذهان الرعية .

واستغل الشعراء الصورة القرآنية في تثبيت مفهوم الوراثة المباشرة من الأب لابنه، فالفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك بأنه ورث الخلافة عن أبيه، قياسا على وراثة سليمان لداود، يقول[١]:

وَرِثْتَ أباك المُلكَ تجري بسَمْتِهِ ... كذلك خُوطُ النّبعِ ينبتُ في الأصلِ

كداودَ إذ ولّى سليمانَ بعدَهُ ... خلافتَهُ نَحلاً من الله ذي الفضلِ[٢]

و قد أفاد الفرزدق من قوله عزوجل[٣]:(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ).

(١) الديوان: ص٤٨٢

(٢) السمت: القصد، الخوط: الغصن. النبع: نوع من أنواع الشجر. نحلاً: هبة ومنحة.

(٣) النمل: آية ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي استغلال الفرزدق للصورة القرآنية، تأكيد شـرعية الخلافـة وتثبيـت لمكانـة الخليفة،من خلال تشبيهه بأولئك الأنبياء الذين وهبهم الله الحكم نعمة من عنـده وفضـلاً، فالوراثة جاءت بمنحة إلهية. و عمل الفرزدق على إيجاد المقاربة بـين فعلـين بشـريين مستمدين من إرادة واحدة وهي الإرادة الربانية،فكانت هذه الصورة عاملاً قوياً في ترسيخ مبدأ الوراثة،إذ إن فعل بني أمية غير مستهجن، لأنه اقتداء بالأنبياء .

وتمسك أنصار بني أمية بصورة النبيين داود وسليمان، لأنها دلالـة مباشـرة علـى الوراثة في الحكم، كما أن هذه الوراثة هي الصورة الوحيدة في تاريخ الأنبياء. وحـاول الفرزدق أن يؤوّل العمق الفكري لهذا الفعل النبوي، كي يسبغ على خلفاء بني أمية حُسن الاقتداء ، فهو يمدح سليمان بن عبد الملك وابنه أيوب بأنهمـا تقيـان عـادلان كـداود وسليمان، يقول[١]:

فأنتَ أحقّ الناس بالعدل والتّقى وأنت ثرى الأرض الحيا وطهورُها
فأصـبحتما فـينا كداودَ وابنِهِ على سنّة يُهدى بها من يسيرُها

ونظر الشعراء إلى القرآن الكريم لاستخراج صور تساعدهم على تثبيت الاصـطفاء الرباني للخليفة، فهذا جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك المرشح لولاية العهد،بأنه المصطفى من الله وهو مثبّت منذ القِدَم، ولذلك يأتي بصورة النبي يوسف المصطفى مـن الله، يقول[٢]:

إنَّ الإمامَ الـذي تُـرجى نوافلُهُ بعـد الإمام ولـيُّ العـهد أيوبُ
الله أعطاكمُ مـن علـمِهِ بكـمُ حكمـاً وما بعد حـُكم الله تعقيبُ
أنت الخليفةُ للرحـمن يعـرفُهُ أهلُ الزبـورِ وفي التوراةِ مكتوبِ
كونوا كيوسـفَ لما جاء اخوتُهُ واستعرفوا قال ما في اليوم تثريبُ
الله فـضَّـلـهُ والله وفَّـقَـهُ تـوفـيقَ يوسفَ إذ وصّاه يعقوبُ

(١) الديوان، ص٢١٩، وانظر مدح النابغة الشيباني لعبد الملك بن مروان، الديوان ص٥٢.
(٢) الديوان، ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأفاد الشاعر هنا من قوله تعالى[١]:(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، وهكذا هو الشاعر الأموي، يستغل النص لخدمة فكرته. ويسبغ جرير القدسية على مرشح الخلافة، مستعينا بالصورة القرآنية ، فالمشاكلة بين النبي يوسف والخليفة المرشح أن كليهما على حق في مواقفه، وهما مختاران من الله، وليس للإرادة البشرية شأن في اختيارهما. وبهذا تصبح الصورة القرآنية عاملا مهماً في تسويغ الحاضر من خلال الأفعال الماضية.

واستغل أنصار بني أمية الصورة القرآنية في الحديث عن صفات الخليفة؛ إذ عملت هذه الصورة على ترسيخ العلاقة بين الخليفة والرعية، فيصبح الخليفة امتداداً للأنبياء والصالحين في سيرتهم، وتشعر الرعية آنذاك بالواجب المقدس وهو الطاعة، فالفرزدق يمدح خلفاء بني أمية بالتقوى وهم يسيرون في الناس على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن هنا فإن مصيرهم الجنة، يقول[٢]:

خلفاء قد تركوا فرائضَهُم ... فينا وسُنة طيّبي الذّكرِ
تبعوا رسولَهمُ بسُنّتِهِ ... حتى لقوه وهم على قدْرِ
رفقاءَ متّكئين في غُرفٍ ... فرحين فوق أَسرّةٍ خُضرِ
في ظلِّ من عَنَتِ الوجوهُ لهُ ... حَكَمُ الحُكومِ ومالكِ القهرِ

ويمدح كثير عزة عمر بن عبد العزيز بالتقوى من خلال صورة فنية حية تفرض على السامع و القارئ أن يتابع تفاصيلها لفهم دلالاتها، يقول[٣]:

وصدّقت بالفعل المقالَ مع الذي ... أتيتَ فأمسى راضياً كلّ مسلمِ
وقد لبستْ لبسَ الهلوك ثيابَها ... تراءى لك الدنيا بكفّ ومعصمِ[٤]

(١) سورة يوسف: الآيتان ٩١-٩٢.
(٢) الديوان، ص٢٣٤.
(٣) الديوان، ص٣٣٥
(٤) الهلوك: الفاجر. مدوفاً: ممزوجاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتُومض أحياناً بعيــن مَريــضةٍ وتَبسمُ عن مثل الجُمانِ المُنظّمِ
فأَعرضتَ عنها مُشمئــزاً كأنــّما ســقتك مَدوفاً من سِمامٍ وعلقمِ
تركتَ الذي يفنى وإنْ كان مُونَقاً وآثــرتَ ما يبقى برأي مصممِ
وأضررتَ بالفاني وشمّــرتَ للذي أمامك فــي يومٍ من الشّر مُظلمِ

ويصوّر كثيّر عزة الدنيا بأنها فتاة فاجرة عندها قدرة كبيرة على الإغــراء، تقابلهــا تقوى عمر بن عبد العزيز، وفي هذه المقابلة وقع تعبيري ودلالي كبير؛ إذ أظهر الشاعر من خلال صورته الفنية صراعا بين الخير والشر، فيمثل عمر بن عبد العزيــز نــوازع الخير، وتمثل الدنيا نوازع الشر، وينتصر الشاعر في شعره لنوازع الخير الممثلــة فــي تقوى عمر بن عبد العزيز.

وتحدث الشعراء عن صفة الشجاعة عند الأمويين ، مستلهمين مــن القــرآن الكــريم صوراً ترسخ هذه الصفة في بني أمية . فهذا النابغة الشيباني يمدح مسلمة بن عبد الملــك بالشجاعة والقوة، مستلهما صورة قرآنية تثبت عجز الأعداء عن قهــر مســلمة، يقــول النابغة[١]:

إنَّ الذين بهم يَرمون صخرتَهُ لن يبلغوه وإنْ عزُّوا وإنْ كَمَلوا
لن يُدركوكَ ولن يلحقْكَ شأوُهُمُ حتى يلجْ بين سمّ الإبرة الجمل

فهو هنا يتأثر بالصورة القرآنية التي جاءت في قوله عزوجل[٢]:(إِنَّ الَّــذِينَ كَــذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ).

واستغل خصوم بني أمية الصورة القرآنية، كي يطعنوا على الخلفاء الأمويين، فــأبو دهبل الجمحي يرى في المجتمع الأموي مجتمعا تابعا لا يفكر، وهو ينقد الطاعة العميــاء التي سيطرت على الرعية، خاصة إذا سارت هذه الطاعة على طريق الضــلال وتبعــت شعارات جوفاء، فهي كعجل السامري جسد دون حراك. ويستحضر أبو دهبل الجمحــي

(١) الديوان، ص١٤٧ (جزمت كلمتا يلحقك ويلج للضرورة الشعرية).
(٢) الأعراف، الآية٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة قوم موسى الذين عبدوا العجل، كما في قوله عزوجل[١]:(فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّـــامِرِي فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)

ويبدو الشاعر ناقداً للمجتمع الأموي أكثر من نقده لخلفاء بني أمية، وتعدّ هذه نظـــرة جادة في نقد سلطات الخليفة وقداستها في المجتمع الأموي، يقول[٢]:

يَدعون مروانَ كيما يستجيب لهم وعند مروانَ خار القومُ أورقدوا

قد كان في قوم موسى قبلَهم جسدٌ عجلٌ إذا خار فيهم خورةً سجدوا

وأفاد شعراء المعارضة من الصورة الدينية، ليقيموا مفارقة كبيرة بين معلميْن للحكم، إذ يستغل ابن قيس الرقيات هذه الصورة، ليرسخ معْلم الحكم الإيماني عند مصعب بـــن الزبير، فلا جور ولا ظلم في حكمه ؛ لأن مصعباً مجبول على التقوى، وهو بذلك ينفـــي أسس العدل والتقوى عن الأمويين، ومن هنا ندرك غضب عبد الملك بن مروان عنـــدما صوّره ابن قيس الرقيات تصويراً دنيوياً بقوله[٣]:

يعتدلُ التَّـــاجُ فـــوق مفرقِـــهِ علـــى جـــبينٍ كأنـــهُ الذهـــبُ

فوعى عبد الملك الفرق بين الصورة الدينية والصورة الدنيوية،إذ الصـــورة الدينيـــة مرتبطة بالمؤمنين والحكم الإسلامي، بينما ترتبط الصورة الدنيوية بالعجم والحكم الظالم، يقول ابن قيس الرقيات[٤]:

إنّما مصعبٌ شهابٌ من اللـــ ـــه تجلّت عن وجهه الظلماءُ

مُلكُهُ مُلـــكُ قـــوةٍ ليـــس فيهِ جـــبروتٌ ولا بـــه كـــبرياءُ

يتّقي الله في الأمور وقد أفـــ ـــلح من كان همـــّه الاتقـــاءُ

(١) سورة طه:الآيتان ٨٧-٨٨.

(٢) الديوان، ص٨٠.

(٣) انظر الحادثة في الأغاني، ج٥، ص٧٧-٧٩.

(٤) الديوان، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الصورة الجاهلية العربية:

كانت الصورة الجاهلية العربية معينا مهما للشاعر الأموي، ويعود هذا إلى الموروث الكبير الذي خلّفه الأدب الجاهلي الذي كان له تأثير واضح في البناء الأدبي والفكري للمجتمع الإسلامي، فضلاً عن التقارب الزمني للأدبين الجاهلي والأموي. ومن هنا تبدو الصورة الجاهلية حاضرة في وجدان الشاعر الأموي عند حديثه عن الخلافة، فيزيد بن مفرغ الحميري يمدح بني أمية بأنهم يفوقون العالمين قدرا ومكانة وعملا، ويصفهم بالنور عند الظلمة ، يقول [١]:

البهاليلُ من بني عبدِ شمسٍ فضلوا الناس بالعُلا والفعالِ
والبهاليلُ خالدٌ وسعيدٌ شمسُ دَجْنٍ ووضّح كالهلالِ

ويمدح الفرزدق الوليد بن عبد الملك برفعة الأصل والنسب وبأن بناءه عالٍ وراسخ، فيقول:[٢]

لَنِعْمَ مُناخُ القومِ حلُّوا رِحالَهُم إلى قُبَّةٍ فَوقَ الوليدِ سَمَاؤها
بناها أبو العَاصي ومروانُ فَوقَهُ ويوسفُ قد مسَّ النُّجومَ بِناؤها

ويُعلي جرير من شأن هشام بن عبد الملك فيمدحه بعلو النسب، ويصوّر الخليفة بأنه من نسل قرشي عريق، يقول:[٣]

وأورثَكَ المكارِمَ في قريشٍ هشامٌ والمغيرةُ والوليدُ
وفي آلِ المُغيرةِ كان قِدْماً وفي الأعياصِ مكرمةٌ و جودُ
ومن ذُبيانَ تمَّ لكمْ بِناءٌ على علياءَ ذو شرفٍ مَشيدُ

ورسم جرير صورة لهشام بن عبد الملك زاخرة بالنفس الجاهلي، خاصة في إطارها الفكري، و أراد جرير أن يظهر أهمية الأصل للخليفة، فلجأ إلى استحضار صورة

(١) الديوان، ص١٩١.
(٢) الديوان،ص١٤
(٣) الديوان،ص١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضرب بالأقداح وبالمعلى في الجاهلية[١]، وهي صورة تؤكد معنى أراده الشاعر، وهو أن هشام بن عبد الملك، سابع الخلفاء، وهو الأفضل بين خلفاء بني أمية، فيقول[٢]:

وقد وجدوكَ أكرمَهُمْ جدوداً إذا نُسبوا وأثبتهم مقاما

وتُحرزُ حين تضرب بالمُعلّى من الحسب، الكواهلَ والسناما

ج- الصورة البيئية الواقعية:

كان للبيئة حضور واضح في تناول موضوع الخلافة،فهذا الشاعر الأموي جواس ابن القعطل أحد شعراء الشام الكلبيين، يرى أن الخلافة لا تصلح إلا لبني أمية، وهو يحرضهم على قتال الخارجين على الخلافة، خاصة أهل الحجاز، فينظر إلى الناقة رفيقة دربه في الحل والترحال، ويستنبط منها صوراً فنية تخدم غرضه في تثبيت الخلافة في بني أمية، فهو يشبه الخلافة بالناقة التي تعطي لبنها لصاحبها، يقول[٣]:

إن الخلافةَ يا أميةُ لم تكنْ أبداً تدرّ لغيرِكم ثدياها

فخذوا خلافتَكُم بأمرٍ حازمٍ لا يَحلُبَنّ الملحدون صراها[٤]

سيروا إلى البلد الحرامِ وشمّروا لا تُصلحوا وسواكمُ مولاها

لا تتركنّ منافقين ببلدة إلا أملتُمْ بالسيوف طُلاها

وصوّر بعض الشعراء القضايا المعنوية بصور فنية مادية ملموسة، لما فيه من تقريب الأفكار إلى الأذهان.وصاغ مواضيع الخلافة بصور فنية مستنبطة من دائرته المكانية ،ولجأ إلى صورة الناقة، لما لهذا الحيوان من ارتباط وثيق بالعربي، فكانت صورة الناقة هي الأقدر على حمل تفاصيل الحدث، فهذا الأخطل يصوّر الخلافة تصويرا فنيا بسيطا في مظهره، ولكنه عميق في دلالته ، فهو يشبّه الخلافة بالناقة المنقادة التي

(١) المعلّى، سابع سهام الميسر، له سبعة أنصباء عند الفوز. وعليه سبعة أنصباء إن لم يفز.

(٢) الديوان: ص٤٠٩، وانظر قول كثيّر عزة في عبد الملك،.. الأغاني، ج١٢، ص٤١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص١٣٨

(٤) صراها: لبنها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت إلى بني أمية طوعاً، مستخدماً الأفعال الماضية المنسوبة إلى الناقة لا إلى من يسيّرها، كي يقيم علاقة ود وانسجام بين الخلافة والخليفة ، فالخلافة لم تأت بقوة أو جبروت، يقول في مدحة له لبني أمية[١]:

فإذ أتَتكُم فأعطَتْكُم بدُرَّتها فاحتلبوها، هنيئاً، يا بني الحكمِ

ويشبّه الفرزدق الخلافة بالناقة المنقادة الطيّعة، وأن الله منح سليمان بن عبد الملك هذه الخلافة، وبيديه سياستها و صلاحها ، يقول[٢]:

رأيتُ بني مروانَ خيرَ عمارةٍ وأنت إذا عُدَّتْ قريشٌ خيارُها

أتاك بها مخشوشةً بزمامِها خلافتَه إذ في يديك اختبارُها

وربط الشعراء بين أصل الخليفة وخيار الشجر؛ إذ تناثرت الصور الفنية المستوحاة من الشجر الأصيل الذي لا يخالطه منبت السوء. فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان بأنه من أصل رفيع وأنه من خيار المنابت. ولتثبيت هذا المعنى،ينظر جرير إلى بيئته فيستخرج صورة الشجر النقي، الذي يقبل عليه الناس من كل صوب وحدب، يقول[٣]:

فقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزّياً ألفّ العيصِ ليس من النَّواحي

فما شجراتُ عِيصِك في قريشٍ بعشّاتِ الفروعِ ولا ضواحي[٤]

ومدح الأخطل الوليد بن عبد الملك بأن بيته الأرفع نسباً في عبد شمس،فهم من لبّ السلالة وليسوا من الدناة، يقول[٥]:

---

(١) الديوان، ص١٦٦.

(٢) الديوان، ص٢٨٩.

(٣) الديوان، ص١٩٦

(٤) الهزبري: الذهب الخالص. العيص: منبت خيار الشجر، العشات: الشجر لئيم المنبت، الضواحي: الشجرات بادية العيدان ولا ورق عليها.

(٥) الديوان: ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم ذُرا عبدِ شمسٍ في أَرومتِها وهم صميمهُمُ ليسوا من الشّذبِ[١]

ونظر الشعراء إلى شجر النبع، ليكوّنوا من خلاله صوراً فنية قادرة على التأثير؛ إذ إن هذا الشجر صلب شامخ ذو أساس متين، فالنابغة الشيباني يمدح يزيد ابن عبد الملك بأنه من أصل كريم كالنبع الذي لا يرقى إليه باقي الشجر، يقول[٢]:

وعودُك من أعالي النَّبعِ فرعٌ رفيعٌ لا يوازيه السّراءُ[٣]

ويستغل جرير الصورة ذاتها، فيمدح يزيد بن عبد الملك بقوله[٤]:

ما يُنبتُ الفرعُ نبعاً مثلَ نبعتكمْ عيدانها غيرُ عشّاتٍ ولا خُورِ

واستغل الشعراء صورة البحر خاصة في حديثهم عن صفة الكرم في الخليفة[٥]، إذ مثل البحر باتساعه الكبير العطاءَ غير المنقطع للخليفة، ومن هنا جاءت الصورة الفنية التي تتحدث عن صفة الكرم، تفيض مبالغة وتهويلاً لفعل الخليفة، فيصبح كرم الخليفة طاغياً على الفرات في حالة مدّه، فهذا الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بالكرم الغامر،فيقول[٦]:

وما الفراتُ إذا جاشتْ حوالبُهُ في حافّتيهِ وفي أوساطِهِ العشرُ[٧]

يوماً بأجودَ منهُ حين تسألُهُ ولا بأجهرَ منه حين يَجتهرُ

(١) الشذب: ما تقطع من أغصان الشجر ولم يكن في لبه.

(٢) الديوان، ص٣١،

(٣) العود: المنشأة. النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام وينبت في أعالي الجبال. السّراء: شجر تتخذ منه القسي والسهام وليس كالنبع .

(٤) الديوان، ص١٩٦.

(٥) انظرشعر عبد الله بن الزبير الأسدي، ص٨٠، ديوان النابغة الشيباني ، ص٩٠، ص١٥٩، ديوان كثير عزة، ص١٢٣.

(٦) الديوان: ص١٤٨ ،وربما الصورة التي رسمها الأخطل فيها تأثر كبير بالصورة التي رسمها النابغة الذبياني للنعمان في قوله:

وما الفرات إذا هب الرياح له ترمى أواذيه العبرين بالزبد

يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

(٧) حوالبه: أمواجه. العشر: نوع من الشجر العظيم. أجهر: يستثار. يجتهر: يغضب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الأخطل قد نظر إلى الفرات؛ لأنه قريب من ناظريه، فإن كثيّر عزة زار مصر ونظر إلى مكانة النيل عند أهله، فاستوحى من النيل ذلك العطاء ليسبغ على عبد العزيز بن مروان صفة الكرم الدائم، وهو يبالغ المبالغة ذاتها التي وجدت عند الأخطل؛ إذ تتضاءل الصورة الفنية أمام حقيقة الممدوح، وبذلك أعطى الشاعر الخليفة هالة من الصفات يتفوق بها على قدرة الطبيعة، يقول[١]:

فليس النيلُ حين عَلَتْ قُراهُ ... غوالبُهُ بأغلبَ ذي عُبابِ
بأفضلَ نائلاً منه إذا ما ... تسامى الماءُ فانغمسَ الروابي
ويغمرُنا إذا نحن التقينا ... بِطامي الموج مُضطرِبِ الحُبابِ
ويضرب من نَوالِكَ في بلادٍ ... من المعروف واسعةٍ رحابِ

وبذلك مثلت البيئة بكل تفاصيلها معينا خصبا لا ينضب، ساعد الشاعر الأموي على تثبيت ما يريد عرضه من أفكار تتعلق بالخلافة.

(١) الديوان، ص٢٨١، وانظر الصورة ذاتها عند عدي بن الرقاع العاملي مادحاً عمر بن الوليد بن عبد الملك، الديوان، ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتـــمة

يستنتج مما سبق أن النظرة إلى طبيعة الخلافة لم تكن في مسار واحد، فقد تمسك بنو أمية بمبدأ الوراثة في الحكم، وحاولوا أن يوجدوا لهم سنداً تاريخياً يعطيهم الحق في المطالبة بالخلافة، فوجدوا هذا السند في عثمان بن عفان. وأراد بنو أمية أن يثبّتوا مبدأ الوراثة فلجأوا إلى استحداث ولاية العهد، رغبة في أن تظل الخلافة فيهم، واستطاع بنو مروان أن يرسخوا مبدأ الوراثة بتعيينهم وليَّيْ عهدٍ للخليفة، بعد أن كان هنالك ولي عهد واحد في العهد السفياني. وشجع بنو أمية الشعراء والخطباء على بنشر مبدأ الوراثة والحض عليه، فكثرت الأشعار والخطب التي تفيض بالحديث عن ولاية العهد.

ولم يقتصر القول في أمر الوراثة على بني أمية وحدهم بل رأى الشيعة أن الخلافة وراثة في آل البيت، ولتثبيت هذه الفكرة أوجدوا مصطلح الوصي وهو ما يقابل ولي العهد.

ورفضت الفرق والأحزاب الإسلامية الأخرى كالخوارج ومرجئة الجبرية والقدرية مبدأ الوراثة في الخلافة، لأنه يحصر الخلافة في فئة واحدة من فئات المجتمع، لأنه يخالف مبدأ العدل والمساواة بين المسلمين، واختبار الأكفاء من أبناء الأمة لتولي الخلافة.

وشعر بنو أمية أنهم يفتقرون إلى النص الذي يعطيهم الحق في الخلافة، فلجأوا إلى وضع مبدأ جديد في الخلافة وهو مبدأ الجبر، إذ رأوا أن خلافتهم أمر إلهي لا شأن للرعية والبشر به، وحاول بنو أمية أن يستغلوا هذا المبدأ في إعلاء شأن قريش بين القبائل، وفي تقرير مبدأ الوراثة في الحكم.

ورفضت معظم الفرق والأحزاب الإسلامية مبدأ الجبر، فاشتعلت ثورات نادى أصحابها بحرية الإرادة الإنسانية،وكانت فرقة القدرية أكثر الفرق تشديدا على حرية الإرادة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يتمسك بنو أمية بمبدأ الشورى في الحكم بمعناه الإسلامي، ولكنهم لجأوا إلى الشورى الداخلية لتخفيف حِنق المعارضة، فكانت هنالك شورى في تعيين الولاة والعمال والقضاة، وحاول بعض خلفاء بني أمية أن يجعلوا الخلافة شورى كمحاولة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ومحاولة عمر بن عبد العزيز.

وتباينت مواقف الفرق والأحزاب الإسلامية فيمن تكون الشورى؟ فمنهم من حصرها في أسرة معينة، كما هو عند الشيعة ومنظري الدعوة العباسية، ومنهم من نادى بالشورى العامة بين المسلمين كالخوارج والقدرية ومرجئة الجبرية.

وأرادت بعض الفرق الإسلامية الدعوة إلى الشورى بالقوة، فقامت ثورات كثيرة تدعو إلى مبدأ الشورى كثورة مطرف بن المغيرة وعبد الرحمن بن الأشعث، ويزيد بن المهلب، وقام الموالي بتأييد معظم الثورات، لأنهم أحوج الناس إلى الشورى والمساواة.

وكشفت الدراسة عن الأهمية الكبيرة للخليفة عند الرعية، وأدرك الناس أيضاً أهمية توافر بعض الصفات في الخليفة أو ولي العهد المرشح للخلافة، فكان هناك تركيز على الصفات العربية الممثلة في السن ومعدن المُلك والقرشية والتراث القبلي، فضلاً عن الصفات العربية المشهورة كالحلم، والشجاعة والكرم والفصاحة.

وكشفت عن قيمة الصفات الإسلامية في الخلفاء، كالعدل والتقوى و الفقه في الدين. وتعرّض خلفاء بني أمية لنقد كبير إذا أخلّوا بهذه الصفات .

وسعى خلفاء بني أمية أن يُشعروا الرعية بالأهمية الكبيرة للخلفاء فركزوا على قدسية الخليفة، وأنه خليفة الله في أرضه ووصيه على العباد، وبالغ بعض أنصارهم في ذلك مبالغة شديدة، وغلوا في غلوّاً بعيدا.

ولم تعبأ بعض الفرق بما أشيع من قدسية الخليفة، كما هو واضح عند الخوارج والقدرية، فإنهم عدّوا الخليفة إنساناً يُنقد ويُناشد ويطعن عليه.

وكان للخليفة سلطات متنوعة، أهمها السلطة السياسية؛ وهي متمثلة في تعيين ولي العهد والولاة، وتحقيق الاستقرار، وإحداث التوازن، واتخاذ قرار السلم والحرب. ومارس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة السلطة الأمنية الممثلة في المحافظة على الوحدة والتماسك والجهاد، والسلطة الاقتصادية الممثلة في الحرص على أموال المسلمين، واستغلال المال لتوطيد المجتمع، وتوفير الراحة للناس.

وأنيطت بالخليفة سلطة مهمة، هي السلطة الاجتماعية، وهي تتمثل في إعالة الفقراء والمساكين، والسهر على راحة الرعية وخدمتهم، والعمل على رد المظالم وتطبيق العدل.

وعمل خلفاء بني أمية على تطبيق الإسلام وحمايته والمحافظة على الشخصية الإسلامية، وتولية المسلمين شؤون الرعية. وذلك من خلال سلطة الخليفة الدينية.

وتباينت رؤية الفرق والأحزاب الإسلامية لسلطة الخليفة أهي مطلقه أم محدودة؟ فرأى معظم خلفاء بني أمية وأنصارهم أن سلطة الخليفة مطلقة مقدسة، فأُعطيت للخليفة الحرية الكاملة في تولية العهد وتوزيع الأرزاق.

ورأت بعض الفرق الإسلامية أن سلطة الخليفة محدودة غير مقدسة، وقامت هذه الفرق بنقد سلطة الخليفة نظرياً من خلال الخطب والأشعار، وعملياً من خلال الثورات، فحدثت الثورات التي قام بها الخوارج والشيعة، و مرجئة الجبرية وغيرها... وكانت هذه الثورات ترى أن بني أمية أخلّوا بسلطاتهم فعطّلوا حدود الله وأحكامه.

ووظّفت الفرق الإسلامية اللغة والأسلوب والصور الفنية لخدمة آرائها وأفكارها السياسية، ففي مجال اللغة كان للقرآن الكريم، والمعجم العربي الفني الموروث، دور كبير في إثراء الأفكار السياسية للفرق والأحزاب الإسلامية، فنهل الشعراء والأدباء من هذين المعينين لتوضيح آرائهم في الخلافة.

واستغل الأدباء والشعراء أساليب متنوعة لخدمة أفكارهم، فاستخدموا أسلوب الجدل والحجاج العقلي، وأسلوب السخرية والرمز والمثل...، وكانت هذه الأساليب عاملاً مهما في توضيح المعاني المراد عرضها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووظفت الصور الفنية لتخدم غايات ومقاصد سياسية، فلجأ الشعراء إلى المصـــدر العربي الجاهلي، والمصدر الديني، والمصدر البيئي، لاستخراج صور تســـاعدهم علـــى الحديث عن طبيعة الخلافة وصفات الخليفة وسلطاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر المطبوعة:

-القرآن الكريم .

-الآبي ، منصور بن الحسين،(ت٤٢١هـ)،نثر الدر،تحقيق محمد علي قرنة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨١.

-آدم،يحيى بن آدم ،(ت٢٠٣هـ)، الخراج،صححه وشرحه أحمد محمد شاكر،دار المعرفة،بيروت.

-ابن الأثير،عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم،(ت٦٣٠هـ)،الكامل في التاريخ،ط١١،١م،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٩٧

-الأحوص،أبو عبد الله محمد بن عاصم،(ت١٠٥هـ)،ديوان الأحوص،ط٢،تحقيق عادل سليمان جمال،مكتبة الخانجي،القاهرة،١٩٩٠.

-الأخطل،غياث بن غوث،(ت٩٠هـ)،ديوان الأخطل،ط٤،تحقيق فخر الدين قباوة،دار الفكر،سوريا،١٩٩٦.

-إسماعيل بن يسار،(ت١٣٠هـ)،ديوان إسماعيل بن يسار،ط١،تحقيق يوسف بكار،دار الأندلس،بيروت،١٩٨٤.

-الأشعري،أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت٣٢٤هـ)،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار النهضة،مصر،١٩٦٩.

-الأصفهاني،أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ)،الأغاني،تحقيق عبد الستار فراج،دار الثقافة،بيروت،١٩٥٥.

-مقاتل الطالبيين،شرح السيد أحمد صقر،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،١٩٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-أعثم،أحمد بن أعثم الكوفي،(ت ٣١٤هـ)،الفتوح،ط١،دائرةالمعارف العثمانية،حيدر آباد،١٩٦٨.

-الأعشى،ميمون بن قيس،(ت٧هـ)،الصبح المنير في شعر أبي بصير(الأعشى والأعشيين الآخريين)،ط٢،مطبعة آدلف هلز هوسن،١٩٩٣.

-ابن بابويه القمي،(ت٣٨١هـ)،من لا يحضره الفقيه،٤م،تحقيق حسن الموسوي،دار الكتب الإسلامية،طهران،١٩٧٠.

-البخاري،محمد بن إسماعيل،(ت٢٥٦هـ)،صحيح البخاري،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٢.

-البغدادي،عبد القادر بن عمر،(ت١٠٩٣هـ)،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،تحقيق عبد السلام هارون،١٣ج، الهيئة المصرية العامة،القاهرة،١٩٧٩.

البغدادي،عبد القاهر بن طاهر،(ت٤٢٩هـ)،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم،تحقيق محمد عثمان الخشن،مكتبة ابن سينا،مصر،١٩٨٨.

-البلاذري،أحمد بن يحيى،(ت٢٧٩هـ)،أنساب الأشراف،١٣ج،ط١،تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي،دار الفكر،بيروت،١٩٩٦.

-فتوح البلدان،٢ج،تحقيق عبد الله الطباع وعمر انيس الطباع،دار النشر للجامعيين،١٩٥٨.

-التبريزي،أبو زكريا يحيى بن علي،(ت٥٠٢هـ)،شرح ديوان الحماسة،تحقيق محي الدين عبد الحميد،مكتبة محمد صبيح،القاهرة،١٩٦٢.

-أبو تمام،حبيب بن أوس الطائي،(ت٢٣١هـ)،نقائض جرير والأخطل،عني بشرحه أنطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت،١٩٢٢.

-التوحيدي،أبو حيان علي بن محمد،(ت٤٠٠هـ)،البصائر والذخائر،٤ج،تحقيق إبراهيم الكيلاني،مكتبة أطلس،دمشق،١٩٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-الجاحظ،أبوعثمان عمرو بن بحر،(ت٢٥٥هـ)،البيان والتبيين،٤ج،تحقيق عبد السلام هارون،ط٥،مكتبة الخانجي،القاهرة،١٩٨٥.

-التاج في أخلاق الملوك،نشره أحمد زكي باشا،المطبعة الأميرية،القاهرة،١٩١٤.

-الحيوان،٧ج،ط٣،تحقيق عبد السلام هارون،المجمع العلمي العربي الاسلامي،بيروت،لبنان،١٩٦٩.

-رسائل الجاحظ،جمعها حسن السندوبي،المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،١٩٣٣.

-جرير بن عطية الخطفي، (ت٧٢٨هـ)، ديوان جرير،دار صادر،بيروت،١٩٦٤.

- جرير بن عطية الخطفي، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

-ابن الجوزي،جمال الدين بن عبد الرحمن(ت٢٧٥هـ)،سيرة عمر،جمعه محب الدين الخطيب،مطبعة المؤيد،مصر.

-ابن حبيب،محمد بن حبيب،(ت ٢٤٥هـ)،المحبّر،تحقيق إيلزه ليختن شتيتر،مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية،حيدر آباد،١٩٤٢.

-ابن حجر العسقلاني،علي بن محمد،(ت٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،١٤م،ط٤،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٩٨٨.

-ابن أبي الحديد،عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله،(ت ٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة،١٧ج،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،مطبعة عيسى البابي الحلبي،مصر،١٩٦٢.

-ابن حمدون،محمد بن علي،(ت٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونية،تحقيق إحسان عباس،معهد الإنماء العربي،بيروت،١٩٨٣.

-الحموي،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله،(ت٦٢٦هـ)،معجم البلدان،ج،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٩٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-حميد بن ثور الهلالي،(ت ٣٠هـ)،ديوان حميد بن ثور،تحقيق عبد العزيز الميمني،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٥.

-ابن خلدون،عبد الرحمن بن خلدون،(ت٨٠٨هـ)،المقدمة،ج ،ط ،دار الكتاب المصري،مصر،١٩٩٩.

- ديوان الخوارج(جمع وتحقيق) ،ط٤،دار الشروق،بيروت،١٩٨١م.

-ابن خياط،خليفة بن خياط العصفري،(ت٢٤٠هـ)،تاريخ خليفة بن خياط،ج، ط٢،تحقيق أكرم ضياء العمري،دار دمشق،١٩٧٧.

-الدينوري،أبو حنيفة أحمد بن داود،(ت ٢٨٢هـ)،الأخبار الطوال،تحقيق عبد المنعم وجمال الشيال،ط١،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،١٩٦٠.

-الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ،٣ج، ط١، وضع حواشيه زكريا عميرات،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨.

-سير أعلام النبلاء،٣ج،تحقيق صلاح الدين المنجد وإبراهيم الإبياري،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٢.

-الزبيري،أبو عبد الله مصعب بن عبد الله،(ت٢٣٦هـ)،نسب قريش،تحقيق ليفي بروفنسال،دار المعارف،القاهرة،١٩٥٣.

-زياد الأعجم،زياد بن سليمان،(ت١٠٠هـ)،الديوان،جمع وتحقيق يوسف بكار،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،١٩٨٣.

-ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري،(ت٢٣٠هـ)،الطبقات الكبرى،٨ج،دار صادر، بيروت،١٩٥٧،

-سيف بن عمر،(ت ٢٠٠هـ)،الردة والفتوح،تحقيق قاسم السامرائي،ط٢،دار أمية،الرياض،١٩٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-السيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن،(ت٩١١هـ)،تاريخ الخلفاء،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ط١،المطبعة التجارية الكبرى،مصر،١٩٥٢.

-السيد الحميري،إسماعيل بن محمد الحميري،(ت١٧٣هـ)،الديوان،تحقيق شاكر هادي شكر،دار مكتبة الحياة،بيروت،١٩٦٠.

-الشهرستاني،أبومحمد بن عبد الكريم،(ت٥٤٨هـ)،الملل والنحل،٢ج،تخريج محمد بن فتح الله بدران،المكتبة الأنجلومصرية،١٩٥٦.

-ابن أبي شيبة،ابو بكر بكر بن عبد الله،(ت٢٣٥هـ)،المصنف في الأحاديث والآثار،٤ج،تحقيق عبد الخالق أفغاني،مطبعة العلوم الشرقية،حيدر آباد،١٩٦٦.

-ابن أبي طاهر،أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر،(ت٢٨٠هـ)،بلاغات النساء،دار النهضة الحديثة،بيروت،١٩٧٢.

-ابن طباطبا،محمد بن أحمد العلوي،(ت٣٢٢هـ)،عيار الشعر،تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام،مصر،١٩٥٦.

-الطبري،محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ)،تاريخ الرسل والملوك،١٠ج،ط٤،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،دار المعارف،القاهرة،١٩٧٩.

-الطرماح،الطرماح بن حكيم الطائي،(ت١٢٥هـ)،الديوان،تحقيق عزة حسن،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،دمشق،١٩٦٨.

-طريح بن إسماعيل الثقفي،(ت١٦٥هـ)،الديوان،تحقيق أحمد ضيف،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،١٩٨٧.

-العاملي،عدي بن الرقاع،(ت١٠١هـ)،الديوان،تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٨٧.

-عبد الجبار بن أحمد،(ت٤١٥هـ)،شرح الأصول الخمسة،تحقيق عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة،القاهرة،١٩٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة،ط٢،تحقيق فؤاد سيد،الدار التونسية،تونس،١٩٨٦.

-المغني في أبواب العدل والتوحيد،تحقيق عبد الحليم محمود وسليمان دنيا،الدار المصرية للتأليف والترجمة.

-ابن عبد الحكم،عبد الرحمن بن عبد الله،(ت٢٧٥هـ)،سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه،دار الفكر،بيروت،١٩٧٨.

-فتوح مصر وأخبارها،ط١،تحقيق محمد الحجيري،دار الفكر ،بيروت،١٩٩٦.

- عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم بن أبي العلاء، دار الشروق،عمان،١٩٨٨م.

-ابن عبد ربه الأندلسي،أبو عمر أحمد بن محمد،(ت٣٣٨هـ)،العقد الفريد، ٥م،شرحه وضبطه أحمد الزين وأحمد أمين وإبراهيم الإبياري،دار الأندلس،بيروت،١٩٩٦.

-أبوعبيد،القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)،كتاب الأموال،ط١،تحقيق محمد خليل الهراس،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،١٩٦٨.

-عبيد الله بن قيس الرقيات،(ت٨٥هـ)،الديوان،تحقيق محمد يوسف نجم،دار صادر،بيروت،١٩٥٨.

-ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي،(ت٥٧١هـ)،تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ٨٠م،تحقيق محب الدين عمر بن عراقة العمروي،دار الفكر ،بيروت،١٩٩٥.

-تهذيب تاريخ دمشق،٧ج،صححه عبد القادر بدران،طبعة دار المسيرة،بيروت،١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-العسكري،أبو هلال الحسن بن عبد الله،(ت٣٩٥هـ)،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة،١٩٥٢.

-الفرزدق،همام بن غالب،(ت١١٠هـ)،الديوان،شرحه ضبطه علي فاعور،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٧.

-ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم،(ت٢٧٦هـ)،الإمامة و السياسة،٢ج،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،١٩٥٧.

-الشعر والشعراء،٢ج،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر،دار المعارف،القاهرة،١٩٨٢.

-عيون الأخبار،٤ج،ط١،تحقيق محمد الإسكندراني،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٩٤.

-المعارف،ط٢،تحقيق ثروت عكاشة،دار المعارف،مصر،١٩٦٩.

-القرطاجني،حازم بن محمد،(ت ٦٨٤هـ)،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ط٣،تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،دار الغرب الإسلامي،١٩٨٦.

-القطامي،عمير بن شييم،(ت١٣٠هـ)،الديوان،ط١،تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب،دار الثقافة،بيروت،١٩٦٠.

-القلقشندي،أحمد بن علي،(ت٨٢١هـ)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١٤ج،تحقيق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٧.

-القيرواني،ابو علي الحسن بن رشيق،(ت٤٥٦هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،٢ج،ط٣،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،١٩٦٣.

-الكتبي،محمد بن شاكر،(ت٧٦٤هـ)،فوات الوفيات،٥ج،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،١٩٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-الكليني،أبو جعفر محمد بن يعقوب،(ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي،٨ج،ط٤،تحقيق علي أكبر الغفاري،دار صعب،بيروت،١٩٨١.

-الكميت بن زيد الأسدي، (ت١٢٦هـ) ، الديوان ، جمعه داود سلوم،مكتبة الأندس،بغداد،١٩٦٩م.

- الروضة المختارة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٩٧٢م.

- الهاشميات،ط٣،مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة،١٩١٢م.

- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية،١٠م، ط٢، توثيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد بيضون، دار المعرفة ، بيروت،١٩٩٧م.

- كثيّر عزة،كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي، (ت١٠٥هـ)، الديوان، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م.

- ليلى الأخيلية، (ت ٨٠ هـ)، الديوان، تحقيق خليل وجليل إبراهيم عطية،دار الجمهورية،بغداد،١٩٧٦م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة،١٩٦٠م.

- المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٧٦هـ)، الكامل في اللغة والأدب،٢ج، مؤسسة المعارف، بيروت.

- المتوكل الليثي، عبد الله بن نهشل،(ت٨٥هـ) ،الديوان، تحقيق يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد.

- ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، (ت٤٨٠هـ)، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ريفلد فلز، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

- المرزباني، محمد بن عمران، (ت٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فرّاج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

- المسعودي ،علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ)، التنبيه والأشراف، بيروت،١٩٦٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢ ، وضع الفهارس أسعد داغـر، دار الأنـدلس، بيروت، ١٩٦٥م.

- مسلم بن الحجاج ، (ت٢٦١هـ) ،صحيح مسلم ، شرح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، استانبول،١٩٩٢م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ،تقـديم الشـيخ عبـد الله العلايلي ،إعداد يوسف الخياط، دار الجيل، و دار لسان العرب، بيروت،١٩٨٨.

- المنقري، نصر بن مزاحم، (ت٢١٢هـ) ، وقعة صفين،ط٢، تحقيـق عبـد السـلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة،١٩٦٢م.

- مؤلف من القرن الثالث الهجري، أخبار العباس وولده(أخبار الدولة العباسية) ،تحقيق عبد العزيز الدوري وعبـد الجبـار ا لمطلبـي، دار الطليعـة للطباعـة والنشـر، بيروت،١٩٧٩م.

- الميداني، أحمد بن محمد،(ت٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال ،٤ج،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل،بيروت،١٩٨٧م.

- النابغة الشيباني ،عبد الله بن مخارق ،(ت١٢٥هـ) ، الديوان، ط١ ، شـرح قـدري مايو، دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٩٥م.

- النوبختي ،الحسن بن موسى،(ت ٣١٠ هـ) ، فـرق الشـيعة ، تحقيـق هلمـوت ريتر،مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣١م.

- النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب فـي فنـون الأدب، تحقيق محمد علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٦م.

- الهمداني ،أبو مجمد الحسن أحمد بن يعقوب، (ت٣٣٤هـ)، الإكليـل،١٠ج، تحقيـق محمد بن علي الأكوع، مطبعة الجيل الجديد،صنعاء ،١٩٩٠م.

- الهيثمي ،شهاب الدين أحمد بن يعقوب،(ت٩٧٤هـ) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، علّق عليه عبد الوهاب بن عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ١٩٦٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- يزيد بن مفرغ الحميري، (ت٦٩هـ)، الديوان،ط٢ ،تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر،(ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي،٢ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

المراجع الحديثة:

_ إحسان عباس ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان،١٩٨٦م.

– الحسن البصري(سيرته شخصيته تعاليمه وآراؤه) ،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.

- إحسان النص ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي ،دار المعارف،مصر،١٩٦٣م.
- أحمد أمين ،ضحى الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦١م.
- فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط٣، ٣ج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٢م.
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ٤ج،المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- حسين عطوان ،الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل،بيروت، ١٩٨٤م.
- الدعوة العباسية مبادىء وأساليب، دار الجيل ،بيروت.
- شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ط٢،دار الجيل، بيروت،١٩٨١م.
- الشورى في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي،ط١، دار الجيل، بيروت،١٩٨٦م.
- المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الأموي، دار الجيل،بيروت،١٩٩٣م.
- الوليد بن يزيد عرض ونقد ،دار الجيل، بيروت،١٩٨١م.
- ابن حميد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، دار اليقظة،سوريا،١٩٧٢م.
- سعيد حسين منصور ،القيم الخلقية في الخطابة العربية، ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- صالح العلي ،محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م.
- عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية،ط١ ،وزارة المعارف، بغداد.
- عبد القادر القط ،في الشعر الإسلامي والأموي، دار الشباب، القاهرة،١٩٨١م.
- غوستاف لوبون ،روح الجماعات ، ترجمة عادل زعيتر،مصر،١٩٥٠م.
- فان فلوتن ،السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسن،ط١، ١٩٣٤.
- محمد كرد علي، أمراء البيان، ط٣، ٢ج، دار الأمانة ، بيروت، ١٩٦٩م.
- ناصر بن سليمان بن سعيد السامي، الخوارج والحقيقة الغائبة، ط١، ١٩٩٩م.
- نبيه عاقل ، مولد الحزبية السياسية وقضية التحكيم،(المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام] ،تحرير محمد عدنان البخيت) ، الجامعة الأردنية،عمان،١٩٨٨
- نوري حمودي القيسي ، شعراء أمويين (جمع وتحقيق) ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٢م.
- (مشارك) ،نصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة وتحليل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ،١٩٩٤م.
- وداد القاضي ، الكيسانية في التاريخ والأدب، دار الثقافة، بيروت،١٩٧٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- يوسف خليف ،حياة الشعر في الكوفة في القرن الثاني الهجري، دار الكتاب العربي،القاهرة،١٩٦٨م.
- يوليوس فلهوزن ،الخوارج والشيعة المعارضة السياسية الدينية، ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي ، ط٥ ،دار الجليل للكتب والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit